إن الذَّليل الذي ليست له عضد.
يدٌ تشجُّ، وأخرى منك تأسوني.
على اليد ردُّ ما أخذت.
وما الكفُّ إلا إصبعٌ ثم إصبع.

ومن الأبيات:

قد تطرف الكفُّ عين صاحبها، ولا يرى قطعها من الرَّشدِ.

وقال آخر:

فلو أنَّها إحدى يديّ رزئتها؛ ولكن يدي بانت على إثرها يدُ.

وقال أبو تمام:

وهل يستعيض المرء من خمس كفِّه، ولو صاغ من حُرّ اللُّجين بنانها؟

ذكر الصدر والقلب

صدرك أوسع لسِّك. صدور الأحرار، قبور الأسرار. لا بدّ للمصدور من أن ينفث. ألزم له من شعرات صدره. ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه. القلب طليعةٌ. القلوب تتقلَّب.

قال بعض الشعراء:

متى تجمع القلب الذَّكي وصارماً وأنفاً حمياً، تجتنبك المظالم.

وقال آخر:

إنَّ التباعد لا يض رّ إذا تقاربت القلوبْ.

ذكر الظهر والبطن والجنب

استظهر على الدّهر بخفَّة الظَّهر. قلب الأمر ظهراً لبطنٍ. لا تجعل حاجتي بظهرٍ. أي لا تلقها وراء ظهرك. انقطع السَّلى في البطن. لتناهي الشِّدة. نزت به البطنة. لمن لا يحتمل النِّعمة. لكُلِّ جنبٍ مصرعٌ. لجنبه فلتكن الوجبة، في الدعاء عليه. دمِّث لجنبك قبل النَّوم مضطجعاً.

ذكر الكبد والدّم والعروق

يا بردها على الكبد! فلانٌ بين الخلب والكبد. ما ينفع الكبد يضرّ الطِّحال. ويقال: جرى منه مجرى الدّم في العروق. هو أعزُّ من دم الفؤاد. سرُّك من دمك. لا تكايل بالدّم. لا يحزنك دمٌ هراقه وأهلكه. للجاني على نفسه. فلانٌ لا يشرب الماء إلا بدمٍ. العرق نزَّاع. ألا إنَّ عرق السُّوء لا بدّ مدرك!

ذكر الساق والقدم

يقال: التفَّت الساق بالساق. في الشدّة. كشفت الحرب عن ساقها، وكشرت عن نابها. قدح في ساقه، إذا عمل في شيء يكرهه. لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً. قد شمَّرت عن ساقها، فشمِّري! في الحثِّ على الجدّ. ويقال:
له قدم في الخير. أي سابقةٌ. إنك لا تسعى برجلي من أتى.
وقال الشاعر:

إنَّ قُريشاً - وهي من خير الأمم - لا يضعون قدماً على قدمْ.

من ضُرب به المثل من الرجال
يقولون:
أسخى من حاتم. أجود من كعب بن مامة. أجود من هرم. قال الميداني: هو هرم بن سنان بن أبي حارثة. وفيه يقول زهير بن أبي سلمى:
إن البخيل ملومٌ حيث كان ول كنَّ الجواد على علاَّته هرم.
أقرى من مطاعيم الرِّيح. ومطاعيم الريح أربعة: منهم أبو محجن الثقفيّ. وكان لبيد بن ربيعة العامريّ يُطعم إذا هبت الصَّبا.
أشجع من ربيعة بن مُكدَّم. أعزُّ من كُليب بن وائل. أعزُّ من مروان القرظ. أسود من قيس بن عاصم. أحلم من الأحنف بن قيس. أزكن من إياس بن معاوية.
أفتك من البرَّاض بن قيس النمريّ، خليع بني كنانة. فتك بعروة الرحَّال، والمساور بن مالك الغطفانيّ، وأسد بن خيثم الغنويّ بسبب لطيمة النعمان. وبسبب ذلك كانت أيام الفجار الأخر؛ وسنذكرها في وقائع العرب إن شاء الله تعالى.
أوفى من الحارث بن عباد. وخبره مشهور مع مهلهل أخي كليب لما أمنه يوم تحلاق اللِّمم. أوفى من عوف بن مُحلِّم. أوفى من هانئ بن قبيصة. وخبره مشهور في أدرع النعمان؛ وبسببها كانت وقعة ذي قار. أوفى من السَّموءل بن عادياء.
أجمل من ذي العمامة. وهو سعيد بن العاص بن أمية، ويكنى أبا أحيحة؛ وهو المقول فيه:
أبو أحيحة من يعتمُّ عمَّته يضرب ولو كان ذا مالٍ وذا ولدِ.
أمضى من سليك المقانب. أغلى فداءً من حاجب بن زُرارة؛ ومن بسطام بن قيس؛ ومن الأشعث. أسرته مذحج
ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير. أعدى من الشَّنفري؛ ومن السُّليك بن السُّلكة.
أبطأ من فند. وهو مولى لعائشة بنت طلحة؛ وقال أبو هلال العسكري: عائشة بنت سعد بن أبي وقَّاص، بعثت به مولاته ليقتبس ناراً، فأتى مصر، فأقام بها سنة، ثم جاء يشتد ومعه نارٌ، فتبددت فقال: تعست العجلة!
أنوم من عبُّود. كان عبود عبداً أسود؛ وكان الله عز وجل قد بعث نبياً إلى قومه. قال الميداني: إن النبيّ هو خالد بن صفوان، نبيُّ أهل الرَّسِّ. فلم يؤمن به أحد منهم إلا ذلك العبد الأسود، وإن قومه احتفروا له بئراً فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرةً. فكان ذلك الأسود يخرج من القرية فيحتطب، ويبيع الحطب فيشتري به طعاماً وشراباً، ثم يأتي به إليه فيعينه الله تعالى على الصخرة فيرفعها ويدلي إليه الطعام والشراب. فاحتطب يوماً وجلس

فنام على شقِّه الأيسر سبع سنين. ثم هبَّ من نومه فانقلب على شقِّه الأيمن، فنام سبع سنين، وهو يظن أنه نام ساعة من نهار. ثم احتمل حُزمته وأتى القرية، فباع الحطب وجاء إلى الحفرة فلم يجد النبيّ وكان قد بدا للقوم فأخرجوه. فكان يسأل عن الأسود، فيقولون: لا ندري. فضُرب به المثل لمن ينام نوماً طويلاً. وقيل فيه غير ذلك. وذكره الميداني في أمثاله ولم يذكر السبعة الثانية، وإنما ذكرها صاحب كتاب المفاخر.

أنعم من خريم الناعم. هو رجل من ولد سنان بن أبي حارثة، كان في زمن الحجاج. أبلغ من سحبان وائل. ويقال أخطب من سحبان: وهو الذي يقول:

لقد علم الحيُّ اليمانون أنَّني إذا قلت: أمَّا بعد، أنِّي خطيبها.

أخطب من قُسٍّ. هو قُسٌّ بن ساعدة بن حُذافة بن زهير بن إياد بن نزار. وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب من فلان إلى فلان؛ وأوّل من أقر بالبعث من غير علم؛ وأوّل من قال: "البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر". وقيل: إنه عُمِّر مائةً وثمانين سنةً.

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: وفد وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم! فلما فرغ من حوائجهم قال: أفيكم من يعرف قُسَّ بن ساعدة الإياديّ؟ فقالوا: كلنا نعرفه! قال: ما فعل؟ قالوا: هلك! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: كأنِّي به على جملٍ أحمر بعكاظ قائماً، يقول: "أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا! كلُّ من عاش مات، وكلُّ من مات فات، وكل ما هو آتٍ أت! إنَّ في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً: مهادٌ موضوع، وسقف مرفوع، وبحارٌ تموج، وتجارةٌ لن تبور وليلٌ داج، وسماءٌ ذات أبراج! أقسم قُسٌّ حقاً: إن كان في الأرض رضاً ليكوننَّ بعده سخط! وإن لله عز وجل ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه! مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا؟ أم تُركوا فناموا!" ثم أنشد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه شعراً حفظه له، وهو:

في الذاهبين الأوّلِ ين من القرون لنا بصائر.
لمَّا رأيتُ مواردا للموت ليس لها مصادرْ.
ورأيت قومي نحوها تسعى: الأصاغر والأكابرْ.
لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر.
أيقنت أنِّي لا محا لة حيث صار القوم صائر!

ويقال: أعيا من باقلٍ. وهو رجل من ربيعة ابتاع ظبياً وحشياً بأحد عشر درهماً، وجعل بقية الدراهم في فيه. فسئل عن ثمنه، ففعل بيديه تجاه السائل أي فتح أصابعه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه. فحصل من ذلك انفلات الظبي؛ وسقوط الدراهم؛ والإساءة على السائل فضُرب به المثل.

أبرُّ من العملَّس. كان برّاً بأمه يحملها على عاتقه. أبرُّ من فلحسٍ. وهو رجل من شيبان. حمل أباه على ظهره وحج به.

وفيه أيضاً يقال: أسأل من فلحسٍ كان سيداً عزيزاً، يسأل سهماً في الجيش وهو في بيته فيُعطى لعزه؛ فإذا أعطي سأل لامرأته؛ فإذا أعطي سأل لبعيره، وكان له ولد يقال له زاهر، فكان مثله، فقيل فيه: "العصا من العصيَّة".
ويقال: أخيب صفقةً من شيخ مهو. وهو حيّ من عبد القيس اشتروا الفسو من إياد وكانوا يعرفون به، فعرفت به عبد القيس. قال الميداني: هذا الشيخ اسمه عبد الله بن بيدرة، اشترى الفسو من إياد ببردى حبرةٍ، وقال لقومه: اشتريت لكم عار الدهر، فقالت عبد القيس في ذلك:

إن الفساة قبلما إيادُ ونحن لا نفسو ولا نكادُ.

وفيهم يقول شاعر:

يا من رأى كصفقة ابن بيدرة من صفقةٍ خاسرة مُخسَّرة؟
المشتري العار ببردى حبره! شلّت يمين صافقٍ ما أخسره!

أخسر صفقةً من أبي غبشان. فإنه باع مفاتيح الكعبةً من قصيّ بزقِّ خمر. أضلُّ من سنانٍ. وهو ابن أبي حارثة المرّي؛ وكان قومه عنفوه على الجود، فركب ناقة له ورمى بها الفلاة، فلم يُر بعد ذلك. وسمته العرب ضالَّة غطفان؛ وقالوا: إن الجانَّ استفحلته تطلب كرم نجله.
أبطش من دوسر. وهي كتيبة النعمان. أهدى من قيس بن زهير. أفرغ من حجَّام ساباط. يقال إنه كان إذا أعوزه من يحجمه حجم أمَّه. فلم يزل يحجمها حتى نزف دمها، فماتت. أندم من الكُسعيّ. واسمه مُحارب بن قيس، وقيل غامد بن الحارث. وكان أرمى الناس، لا يخطئ له سهم، فخرج ومعه قوس سهام فرمى صيداً في الليل فأصاب سهمه ونفذ، فوقع في الحجر فقدح ناراً. ثم رمى كذلك حتى استنفذ السِّهام. وهو يظن أنه أخطأ في الجميع فكسر قوسه، وخلع إبهامه. فلما أصبح رأى رميَّته، فندم على فعله.
أمنع من الحارث بن ظالم. وسيأتي خبره في وقائع العرب. أبخل من مادر. وسيأتي خبره في باب الهجاء. أكذب من مسلمة الحنفيّ، وخبره مشهور في دعواه النبوّة ومن المُهلَّب، وكان يكذب لأصحابه في حرب الأزارقة، يعدهم بالنجدة والإمداد.
أحمق من راعي ضأنٍ ثمانين، وذلك أن أعرابياً بشَّر كسرى ببشارة سُرَّ بها، فقال له كسرى: سلني ما شئت! فقال: أسألك ضأناً ثمانين؛ ومن هبنَّقة، وهو ذو الودعات؛ واسمه يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة؛ وبلغ من حمقه أنه ضلّ له بعير، فنادى من وجد بعيري فهو له، فقيل له: فلم تُنشده؟ قال: فأين حلاوة الوجدان. وفيه يقول الشاعر:

عش بجدّ وكن هبنَّقة القي سي نوكاً أو شيبة بن الوليدِ.
رُبَّ ذي إربةٍ مُقلٍّ من الما ل وذي عُنجهيةٍ مجدودِ.

العنجهية الجهل.

أحمق من ربيعة البكَّاء. هو ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ومن حُمقه أن أمّه تزوجت بعد أبيه، فدخل عليها الخباء، وكان قد التحى فوجد زوجها يباضعها، فتوهم أنه يريد قتلها، فبكى وهتك الخباء، فاجتمع الناس وسألوه عن شأنه، فأخبرهم أنه وجده على بطنها يريد قتلها، فقالوا: "أهون مقتول" فصار مثلاً.
أتيه من أحمق ثقيفٍ. وهو يوسف بن عمرو. ألصُّ من شظاظٍ. وهو رجل من بني ضبَّة. أزنى من قرد. وهو قرد بن معاوية بن هُذيل. أمطل من عرقوب.
وقال كعب بن زهير:
كانت مواعيد عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل
أشأم من خوتعة. وهو رجل من بني عُفيلة بن قاسط أخي النمر بن قاسط. أشأم من قدار وهو عاقر الناقة؛ ومن أحمر ثمود وهو عاقرها أيضاً. أشأم من طويس. وهو مخنث، كان يقول إنه ولد يوم مات النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وفُطم يوم مات أبو بكر؛ وبلغ يوم قتل عُمر؛ وتزوَّج يوم قتل عثمان؛ وولد له يوم قتل عليّ. أمكر من قيس بن زهير.

من النساء
يقال. أنجب من مارية. ولدت لزرارة: حاجباً، ولقيطاً، وعلقمة. أنجب من بنت الحارث. ولدت لزياد العبسيّ بنيه الكملة، وهم: ربيعة الكامل، وعمارة الوهاب، وقيسٌ الحافظ، وأنس الفوارس. أنجب من أمِّ البنين. ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب، ملاعب الأسنة عامراً، وفارساً. أنجب من عاتكة: ولدت لعبد مناف هاشماً، وعبد شمس، والمطّلب. أسرع من نكاح أُمِّ خارجة. وهي عُميرة بنت سعد بن عبد الله بن قُدار بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان. ولدت في نيِّف وعشرين حيّاً من العرب. كان الرجل يقول لها: خِطبٌ! فتقول: نكحٌ!
قال أبو الفرج الأصبهاني: فمن ولدت، الدِّيل، وليث، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة؛ وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزيمة؛ والعنبر، وأسيد، والهجيم بنو عمرو بن تميم؛ وخارجة بن يشكر وبه كانت تكنى؛ وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مُزيقيا وهو أبو المصطلق.
قال: زعموا أن بعض أزواجها طلَّقها فرحل بها ابن لها عن حيه إلى حيها فلقيها راكب، فلما تبينته، قالت لابنها: هذا خاطب لي لا شكَّ فيه، أفتراه يعجلني أن أنزل عن بعيري، فجعل ابنها يسُّبها.
أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها. وذلك أن زوجها طلقها، فطالبته بمهرها، فأخذ أحد خلخاليها من رجلها وأعطاها إيَّاه، فرضيت به. أحمق من دغة. وهي مارية بنت مغنج بن ربيعة بن

عجل، وقيل بنت منعج؛ تزوّجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم، فحملت. فلما أدركها المخاض، ظنَّت أنها تريد الخلاء فتبرزت فولدت فاستهلَّ الولد. فانصرفت وهي تقدر أنها إنما أحدثت. فقالت لضرَّتها يا هنتاه، هل يفغر الجعرفاه؟ قالت: نعم، ويدعو أباه! فمضت ضرَّتها للولد فأخذته، فبنو العنبر تسمي بنى الجعراء.
أبصر من زرقاء اليمامة وهي امرأة من طسم، كانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال. وسيأتي إن شاء الله تعالى خبرها في وقعة طسم وجديس.
أزنى من هرٍّ. وهي امرأة يهودية؛ وهي التي قطع المهاجر يدها فيمن قطع من النساء حين شمتن بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم. أشبق من حُبَّي المدنيَّة. أشأم من البسوس. وهي جارة جساس بن مرة، صاحبة الناقة التي قتل بسببها كُليب، وثارت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة.
ويقال: أمنع من أمِّ قرفة. وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري. كان يُعلَّق في بيتها سبعون سيفاً، كلُّ سيفٍ لذي محرم منها. فضرب بها المثل. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثالث من القسم الأوّل من الفن الثاني

الغزل، والنَّسيب، والهوى..، والمحبة، والعشق

ولنبدأ بذكر الهوى، لأنه السبب الباعث على الغزل. وذلك أنه إذا حلَّ في الأجسام ارتاحت النفوس، ورقَّت القلوب، وانجذبت الخواطر، وصفت الأذهان، وسهل على القرائح فأبرزته الألسن. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.
ذكر شيء مما قيل في الهوى، والمحبة ، والعشق، وما قيل في ماهية العشق، وحقيقته وسببه، وما قيل في مدحه، وذمّه، والممدوح منه، والمذموم، وضرر العشق في الدّنيا، والآفات التي تجري على العاشق: من المرض، والجنون، والضَّنا، والمخاطرات بالنفوس، وإلقائها إلى الهلاك.
ثم نذكر أخبار . . ومن أخرجه عن دينه حتى كفر بربه، ومن قتل، وقُتل فيه، ومن قتل نفسه.
ثم نذكر ما ورد في التحذير من فتنة النساء، وذمِّ الزنا، والنظر إلى المردان، والتحذير من اللِّواط، وعقوبة اللائط، وغير ذلك من أمر العشق، على ما سنشرحه إن شاء الله تعالى فنقول، وبالله التوفيق.

أمَّا ماهية العشق وحقيقته، فقد تكلم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من المسلمين، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى.
كلام الحكماء والفلاسفة
فقال أفلاطون: العِشق، حركة النفس الفارغة بغير فكرة.
وسئل ديوجانس عن العشق، فقال: سوء اختيارٍ صادف نفساً

فارغة. وقال أرسطاطاليس: العشق، هو عمى الحسِّ عن إدراك عيوب المحبوب. وقال فيثاغورس: العشق، طبع يتولد في القلب ويتحرّك وينمى ثم يتربى، ويجتمع إليه موادّ من الحرص، وكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللّجاج، والتمادي في الطمع، والفكر في الأمانيّ، والحرص على الطلب، حتى يؤدّيه ذلك إلى الغم المقلق.
وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:
وما العشق إلا غرّةٌ وطماعةٌ: يعرض قلبٌ نفسه فيُصاب.
وقال بعض الفلاسفة: لم أر حقّاً أشبه بباطل، ولا باطلاً أشبه بحق من العشق: هزله جدّ، وجدّه هزْل، وأوّله لعب، وآخره عطب. وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرضٌ وسواسيٌّ شبيه بالماليخوليا.

كلام الإسلاميين في العشق
فقد حكي عن أبي العالية الشاميّ، قال: سأل المأمون بن يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟ فقال: هو سوانح للمرء يهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه! قال فقال له ثمامة: اسكت يا يحيى! إنما عليك أن تجيب في مسئلة طلاقٍ أو مُحرم صاد ظبياً، أو قتل نملة؛ فأما هذه فمسائلنا نحن! فقال له المأمون: ما العشق؟ يا ثمامة، فقال: العشق جليسٌ ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب مملّك، ومالك قاهر، ومسالكة لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة؛ ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، وأعطى عنان طاعتها، وقيود تصرفها، وتوارى عن الأبصار مدخله، وغيض في القلوب مسلكه! فقال له المأمون: أحسنت والله، يا ثمامة! وأمر له بألف دينار.
وحكي عن الفضل بن يعقوب: قال لما اجتمع ثمامة بن أشرس، ويحيى بن أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبِّرني عن العشق ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سوانح تسنح للعاشق يؤثرها، ويهيم بها تسمَّى عشقاً! فقال له ثمامة: يا يحيى، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، ونحن بهذا أحذق منك! فقال المأمون: فهات ما عندك! فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجت خواطر النفوس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقول، ويتصوّر من ذلك اللمح نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمَّى عشقاً! فقال له المأمون: صدقت، هذا وأبيك الجواب!
وحكي عن الأصمعيّ، قال: دخلت على هارون الرشيد، فقال: يا أصمعيّ، إني أرقت ليلتي هذه، فقلت: ممّ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين، قال: فكَّرت في العشق ممَّ هو، فلم أقف عليه، فصفه لي حتَّى أخاله جسماً مجسماً! قال الأصمعيّ: لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء فأطرقت مليّاً، ثم قلت: نعم يا سيدي، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح

المشابهة، لمح نورٌ ساطع يستضيء به العقل، وتهتز لإشراقه طباع الحياة، ويتصوّر من ذلك النور خُلُق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمَّى العشق! فقال: أحسنت والله! يا غلام، أعطه وأعطه وأعطه! فأعطيت ثلاثين ألف درهم.
وحكي عن الأصمعيّ أنه قال: لقد أكثر الناس في العشق، فما سمعت أوجز ولا أجمل من قول أعرابية وقد سئلت عن العشق فقلت: ذلٌّ وجنونٌ. قلت: هذه صفة ثمرة العشق ومآله.
والتحقيق أن العشق شدّة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قوي فكرها فيه تصوّرت حصولها وتمنت ذلك، فيجدد من شدّة الفكر مرضٌ.
وقيل لبعضهم: ما العشق؟ فقال: ارتياح في الخلقة، وفرح يجول في الرُّوح، وسرور ينساب في أجزاء القوى. وقال أبو العيناء: سألت أعرابياً عن الهوى؛ فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ ككمون النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى. وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة، فقال: التي لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء. وسئل بعض الصوفية عن الهوى والمحبة فقال: الهوى يحلّ في القلب، والمحبة يحلّ فيها
القلب!.
وللعشق مراتب من ابتدائه إلى انتهائه.
مراتب العشق وضروبه
قالوا: أوّل ما يتجدّد الاستحسان للشخص تحدُث إرادة القرب منه، ثم المودّة، وهو أن يودّ لو ملكه، ثم يقوى الودّ فيصير محبة، ثم يصير هوىً فيهوي بصاحبه في محابِّ المحبوب من غير تمالك، ثم يصير عشقاً، ثم يصير تتيُّماً والتتيّم حالة يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق لا يوجد في قلبه سواه، ثم يزيد التتيّم فيصير ولهاً والوله الخروج عن حدّ الترتيب، والتعطيل عن أحواله التمييز.
وقال بعضهم: أوّل مراتب العشق الميل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودّة تزيد بالمؤانسة، وتدرس بالجفاء والأذى، ثم الخُلّة، ثم الصَّبابة وهي رقة الشوق تولدها الألفة، ويبعثها الإشفاق، ويهيجها الذكر، ثم يصير عشقاً. وهو على أضرب. فمبدؤه يصفي الذهن، ويهذِّب العقل. كما قال ذو الرياستين لأصحابه: اعشقوا، ولا تعشقوا حراماً! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلّد ويطلق كفّ البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد؛ مرض الجسد، فإذا زاد؛ أخرج العقل وأزال الرأى فاستهلك، ثم يترقَّى فيصير ولهاً، ويسمَّى ذو الوله مُدلهاً، ومستهاماً، ومستهتراً، وحيران؛ ثم بعدها التتيّم فيدعى متيماً، والتتيّم نهاية الهوى، وآخر العشق؛ ومن التتيّم يكون الداء الدَّويّ، والجنون الشاغل.

وقال بعض الحكماء: أوّل الحب العلاقة وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطر للبال، ويعرض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، واللّجاج، وإدمان الذكر، ثم يقوى فيصير حُبّاً، ثم يصير هوىً، ثم يصير خُلّة، ثم عشقاً، ثم ولهاً، فيسمَّى صاحبه مُدلّهاً، ومستهاماً، وهائماً، وحيران، ثم يصير متيمّاً، وهو أرفع منازل الحب، لأن التتيم التعبُّد؛ والوجد ألم الحب، والهيمان الذهاب في طلب غرض لا غاية له؛ والكلف والشَّغف اللّهج بطلب
الغرض.
وقال الفرّاء: اللَّوعة، وحرقة القلب من الحب. وقال أبو عُبيد القاسم بن سلاّم: العلاقة الحب اللازم للقلب؛ والجوى الهوى الباطن؛ واللّوعة حرقة الهوى؛ واللاعج الهوى المحرق؛ والشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب وهو
جلد دونه؛ والتتيم أن يستعبده الهوى؛ والتَّبل أن يُسقمه الهوى، يقال: رجل متبول؛ والتّدْليه، ذهاب العقل من الهوى، يقال: رجل مُدلَّهٌ؛ والهيوم أن يذهب على وجهه؛ والشَّغف إحراق القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللّوعة.
وقال أبو عبد الله بن عرفة: الإرادة قبل المحبة، ثم المحبة، ثم الهوى، ثم العشق. وقال ابن دُريد: الصَّبابة رقَّة الهوى.
واشتقاق الحب من أحب البعير، إذا برك من الإعياء.

الفرق بين المحبة والعشق
قالوا: المحبة جنس، والعشق نوع. فإن الرجل يحب أباه وأمه، ولا يبعثه ذلك على تلف نفسه، بخلاف العاشق.
وقد حكي أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهواها، فارتعدت فرائصه وغُشي عليه، فقيل لبعض الحكماء: ما الذي أصابه؟ فقال: نظر من يحبُّه، فانفرج قلبه، فتحرّك الجسم لانفراج القلب! فقيل له: فنحن نحب أهالينا ولا يصيبنا ذلك فقال: تلك محبة العقل، وهذه محبة الرُّوح!
وقالوا: كل عشق يسمَّى حُبّاً، وليس كل حب يسمَّى عشقاً. لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السَّرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما نقص عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل عن شدّة الاحتراس، والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة.
قال الشاعر:
ثلاثةُ أحبابٍ: فحبٌّ علاقةٌ، وحُبٌّ تملاَّقٌ، وحُبٌّ هو القتلُ!
وأما سبب العشق وما قيل فيه، فقالوا: سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعها فتستحسنه وتميل إليه. وأكثر أسباب المصادفة النظر. ولا يكون ذلك باللمح، بل بالتثبت في النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس، ورامت التقرب منه، وتمنَّت الاستمتاع به. فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه في الغيبة حاضراً، وشغلها كله به، فيتجدّد من ذلك أمراضٌ لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى. وكلما قويت

الشهوة البدنية، قوي الفكر في ذلك. وقد أمر الله عز وجل بغضِّ البصر فقال: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ" "وَقُلْ لِلْمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ". فقرن غض البصر بحفظ الفرج، لأنه يسببه ويؤول إليه.

وعن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: "لا تُتْبِع النظرة النظرة، فإن لك الأولى! وليست لك الآخرة". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العينان تزنيان، وزناهما النظر".

وعن عليّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم! "يا عليّ، اتَّقِ النظرة بعد النَّظْرة! فإنها سهم مسمومٌ، يورث الشَّهوة في القلب". وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نظر الرجل إلى محاسن المرأة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس".

وعن يحيى بن سعيد قال: كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: "النظر يزرع في القلب الشهوة، وكفى بها خطيئةً!".

وعن سفيان قال: قال عيسى عليه السلام: "إياكم والنظر! فإنَّه يزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنةً!". وقال الحسن البصريّ: من أطلق طرفه، أطال أسفه. وقال ذو النون: اللَّحظات تورث الحسرات: أوّلها أسفٌ، وآخرها تلفٌ. فمن تابع طرفه، تابع حتفه.

وقال حكيم: أوّل العشق النظر، وأوّل الحريق الشَّرر. وقال أبو الفرج بن الجوزيّ: البصر صاحب خبر القلب. ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول الفكر فيها فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة. فاحذر من شر النظر! فكم أهلك من عابد، وفسخ عزم زاهد! وهو سبب الآفات، إلا أن علاجه في بدايته قريب. فإذا كرر تمكن الشرّ فصعب علاجه. فإن النظرة إذا أثَّرت في القلب، فإن أعجل الحازم بغضها وحسم المادّة من أوّلها سُهل علاجه، وإن كرر النظر نقَّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرّغ ونقشها فيه. فكلما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بها الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسد القلب، ويُعرض عن الفكر فيما أمر به، ويخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات، ويلقى في التلف.

وقد أكثر الشعراء في وصف ما يحدثه النظر من البلايا، فمن ذلك، قول الفرزدق:

تزوّد منها نظرةً لم تدع له فؤاداً، ولم يشعر بما قد تزوّدا.
فلم أر مقتولاً ولم أر قاتلاً بغير سلاح مثلها حين أقصدا.

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب:

فمن كان يُؤتى من عدوٍّ وحاسدٍ، فإنّي من عيني أُتيت ومن قلبي!
هما اعتوراني نظرةً ثم فكرةً، فما أبقيا لي من رقاد ولا لُبِّ!

وقال إسمعيل بن عمار الأعرابيّ:
عينان مشؤمتان، ويحهما! والقلب حيرانُ مُبتلىً بهما.
عرَّفتاه الهوى لظلمهما، يا ليتني قبله عدمتهما!
وقال أبو عبد الله المارستانيّ:
رماني بها طرفي فلم يُخطِ مقتلي، وما كُلُّ من يُرمى تُصاب مقاتله!
إذا مُتُّ، فابكوني قتيلاً لطرفه قتيل عدُوٍّ حاضر ما يُزايله!
وقال ابن المعتزّ:
متيَّمٌ يرعى نجوم الدُّجى يبكي عليه رحمةً عاذلُه!
عيني أشاطت بدمي في الهوى، فابكوا قتيلاً بعضه قاتله!
وقال المتنبي:
وأناالّذي اجتلب المنيَّة طرفه فمن المطالب؟ والقتيل القاتلُ!
وقال ابن المعتز:
وما أدري، إذا ما جنّ ليلٌ، أشوقاً في فؤادي أم حريقاً؟
ألا يا مقلتيّ، دهيتماني بلحظكما فذوقا! ثم ذُوقا!
وقال أبو عبد الله بن الحجاج:
يا من رأى سُقمي يزي د وعلَّتي تُعيي طبيبي.
لا تعجبنَّ فهكذا تجني العيون على القلوبِ!
وقال أبو منصور بن الفضل:
لواحظنا، تجني ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذةٌ بالجرائرِ.
ولم أر أغبى من نفوسٍ عفائفٍ تُصدِّق أخبار العيون الفواجرِ.
ومن كانت الأجفان حُجَّاب قلبه أذنَّ على أحشائه بالفواقر!
وقال أبو محمد بن الخفاجيّ:
رمت عينها عيني، وراحت سليمةً! فمن حاكمٌ بين الكحيلة والعبرا؟
فيا طرف، قد حذَّرتك النظرة التي خلست فما راقبت نهياً ولا زجرا!
ويا قلب، قد أرداك من قبل مرةً! فويحك! لم طاوعته مرةً أخرى؟
وقال عبد المحسن بن غالب الصوريّ:
ما نظرةٌ إلا لها سكرةٌ كأنَّما طرفك خمَّارُ.
هذا هوىً يصدر عنه جوىً يتلوه لوعاتٌ وأفكارُ.
وهذه أفعالها، هذه! ما بعد رأى العين إخبارُ.
ولم يكن أوّل من غرني! كلُّ غرير الطَّرف غرَّارُ!
وقال أبو شجاع الوزير:
لأعذِّبنَّ العين غير مفكِّرٍ فيها، جرت بالدمع أم فاضت دما!
ولأهجرنَّ من الرُّقاد لذيذَه حتى يصير على الجفون مُحرَّما!
سفكت دمي، فلأسفكنّ دموعها وهي التي بدأت فكانت أظلما!

هي أوقعتني في حبائل فتنةٍ: لو لم تكن نظرات، لكنت مسلَّما!

وقال آخر عفا الله عنه:

يا عين أنت قتلتني، وجعلت ذنبك من ذنوبي!
وأراك تهوين الدِّمو ع كأنَّها وفق الحبيبِ.
تالله، أحلف صادقاً والصِّدق من شيم الأريبِ!
لو مُيِّزت نوب الزما ن من البعيد إلى القريبِ،
ما كُنَّ إلا دون ما جنت العيون على القلوبِ!

وقال آخر، وأجاد:

أنا ما بين عدوّي ن هما: قلبي وطرفي.
ينظر الطَّرف ويهوى ال قلب، والمقصود حتفي.

وقال ابن الحريريّ:

فتصبَّرْ، ولا تشمْ كلَّ برقٍ! رُبَّ برقٍ فيه صواعق حينِ!
واغضض الطَّرف، تسترح من غرامٍ تكتسي فيه ثوب ذُلٍّ وشينِ.
فقياد الفتى موافقة النف س، وبدء الهوى طموح العينِ.

سماع الغناء، وإنشاد الغزل

قالوا: ومن أسباب العشق، سماع الغناء، وإنشاد الغزل. فإن ذلك يصوّر في النفس نقوش صور فتخمِّر خميرة صورة موصوفة، ثم تصادف نظراً مستحسناً، فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف. لا يقع العشق إلا لمجانس

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس ، وأنه يضعف ويقوى على قدر التشاكل. واستدل بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم! "الأرواح جنودٌ مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف". قال: وقد كانت الأرواح موجودة قبل الأجسام، فمال الجنس إلى الجنس. فلما افترقت في الأجساد، بقي في كل نفس حب ما كان مقارناً لها. فإذا شاهدت النفس من نفسٍ نوع موافقة، مالت إليها ظانَّة أنها هي التي كانت قرينتها. فإن كان التشاكل في المعاني كانت صداقةً وموّدة، وإن كان في معنى يتعلق بالصورة، كان عشقاً. وإنما يوجد الملل والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة. وأنشدوا على ذلك:

وقائلٍ: كيف تهاجرتما؟ فقلت قولاً فيه إنصافُ:
لم يك من شكلي ففارقته، والناس أشكال وأُلاَّفُ.

قال أبو الفرج بن الجوزيّ: فإن قيل إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين شخصين في الطباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟ فالجواب أنه يتفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق. فإذا كان سبب العشق اتفاقاً في الطباع بطل قول من قال: إن العشق لا يكون إلا للأشياء المستحسنة. إنما يكون العشق لنوع مناسبة وملاءمة، ثم قد يكون الشيء حسناً عند شخص غير

حسن عند آخر. وحكي على ذلك حكاية رفعها بالسند إلى عليّ بن الحسين القرشيّ، عن رجل من أهل المدينة كان أديباً ظريفاً طلاَّباً للأدب والملح، قال: كنت يوماً في مجلس رجل من قريش ومعنا قينة ظريفة حسنة الصورة، ومعنا فتىً من أقبح ما رأته العين، والقينة مقبلة عليه بحديثها وغنائها. فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا فتىً من أحسن الناس وجهاً، وأثراهم ثوباً، وأطيبهم ريحاً، فأقبل عليّ صاحب البيت، فقال: إن في أمر هذين لعجبا! قلت: وما ذاك؟ قال: هذه الجارية تحب هذا (يعني القبيح الوجه) وليس لها في قلبه محبة، وهذا الحسن الوجه يحبها، وليس له في قلبها محبةٌ. فبينما نحن على شرابنا إذ سرّ الفتى الحسن الوجه فتغنّى وقال:

بيد الذي شُغف الفؤاد بهم فرج الذي ألقى من السُّقْم!
فاستيقني أن قد كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم!

فأقبلت عليه، وقالت: قد علمنا ذاك، فمه! ثم تركته، وأقبلت على القبيح الوجه، فلبثنا ساعة، ثم تغنى الفتى أيضاً:

ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بثينة لا يخفى عليَّ كلامها!

فقالت: اللهم أعط عبدك ما سأل! فغاظتني، فقلت لها: يا فاجرة تختارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المصرِّين، على هذا الذي هو أحسن من توبة التائبين، فقالت لي: ليس الهوى بالاختيار! ثم أنشأت تغني وتقول:

فلا تلم المُحبَّ على هواه فكل متيمٍ كلفٍ عميدِ
يظُنُّ حبيبه حسناً جميلاً، وإن كان الحبيبُ من القرود!

فقلت: أجل! إنه لكما قلت، وليس في هذا حيلة، وذكرت قول عمر بن أبي ربيعة:

فتضاحكن، وقد قلن لنا: حسنٌ في كلِّ عينٍ ما تودّ!

ادمان النظر

قالوا: ويتأكد العشق بإدمان النظر، وكثرة اللقاء، وطول الحديث. فإن انضم إلى ذلك معانقة أو تقبيل فقد تمَّ استحكامه. وقد ذكر حكماء الأوائل أنه إذا وقعت القبل بين المتحابين ووصلت بلَّة من ريق كل واحد منهما إلى معدة الآخر، واختلط ذلك بجميع البدن ووصل إلى جرم ، وهكذا إذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس شيءٌ من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا استنشق من ذلك الهواء دخل في الخياشيم، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كسريان النور في جرم البدن فينعقد في بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجاً، فيتولد به العشق وينمى.

هذا ما قيل في سبب العشق والله أعلم.

وأما ما قيل في مدحه وذمّه والممدوح منه والمذموم، قال ابن الجوزيّ في كتابه المترجم ب"ذمِّ الهوى": اختلف الناس في العشق، هل هو ممدوح أو مذموم. فقال قوم: هو ممدوح، لأنه لا يكون إلا من لطافة الطبع، ولا يقع عند جامد الطبع. ومن لم يجد

منه شيئاً فذلك من غلظ الطبيعة. فهو يجلو العقول، ويصفِّي الأذهان، ما لم يُفرط. فإن أفرط عاد سُماً قاتلاً. وقال آخرون: هو مذموم، لأنه يستأسر العاشق ويجعله في مقام المستعبد.
قال: قلت:
وفصل الحكم في هذا الفصل أن نقول: أما المحبة والودّ والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يُذم، وأما العشق الذي يزيد على حدّ الميل والمحبة فيملك العقل ويصرف صاحبه على غير مقتضى الحكمة فذلك مذموم. ويتحاشى من مثله الحكماء. هذا ما قيل في مدحه وذمّه مجملاً. والله تعالى أعلم.
فأما الممدوح منه، وهو الذي قدّمنا ذكره، فقد وقع فيه جماعة من الخلفاء والأكابر فلم يُعب عليهم ولا نقصهم. وقد تكلموا في مدحه وتفضيله بما سنذكر منه إن شاء الله تعالى طرفاً.
فقالوا: العشق يولِّد الأخلاق الحميدة! وقالوا: لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجع الجبان، ويصفِّي الأذهان، ويبعث حزم العاجز، لكفاه شرفاً! وقال أعرابيّ: من لم يُحبَّ قط فهو رديء التركيب جافي الطبع كزُّ المعاطف.
وقد روي أن الشعبيّ كان ينشد:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى، فأنت وعيرٌ في الفلاة سواء!

وسمع ابن أبي مليكة غناء وهو يؤذَّن، فطرب. فقيل له في ذلك، فقال:

إذا أنت لم تطرب ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا.

وسئل أبو نوفل: هل يسلم أحدٌ من العشق؟ فقال: نعم الجلف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم. فأما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز ورقّة أهل العراق، فهيهات!
وحكى أبو الفرج بن الجوزيّ بسند يرفعه إلى اليمان بن عمرو مولى ذي الرياستين، قال: كان ذو الرياستين يبعثني ويبعث أحداثاً من أهله إلى شيخ عالم بخراسان، له أدبٌ وحسن معرفة بالأمور، ويقول لنا: تعلَّموا منه الحكمة، فإنه حكيم!، وكنا نأتيه. فإذا انصرفنا من عنده، سألنا ذو الرياستين واعترض ما حفظناه فنخبره به. فقصدناه ذات يوم، فقال: أنتم أدباء، وقد سمعتم الحكمة ولكم جداتٌ ونعمٌ، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا: لا. فقال: اعشقوا، فإن العشق يُطلق اللسان العييّ، ويفتح جبلة البليد، ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذَّكاء، ويُشرِّف الهمة! وإياكم والحرام! فانصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين، فسألنا عما أخذنا في يومنا ذلك فهبناه أن نخبره. فعزم علينا فأخبرناه، فقال: صدق والله!
فهل تعلمون من أين أخذ هذا؟ فقلنا: لا. قال ذو الرياستين: إن بهرام جور كان له ابن، وكان قد رشَّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقص الهمة، ساقط المروءة، خامل النفس، سيء الأدب.

فغمه ذلك ووكَّل به من يلازمه من المؤدِّبين والحكماء ليعلموه. فكان يسألهم عنه فيحكون عنه ما يغُمُّه من سوء فهمه وقلة أدبه. إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوماً، فقال له المؤدب: قد كنا نخاف سوء أدبه، فحدث من أمره ما صيرنا إلى اليأس من فلاحه، قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: إنه رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها حتى غلب عليه هواها، فهو لا يهذي إلا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها. فقال بهرام: الآن رجوت فلاحه! ثم دعا بأبي الجارية، فقال: إني مُسرٌّ إليك سرّاً فلا يعدُونَّك. فضمن له ستره. فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته، وأنه يريد أن ينكحها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها، فإذا استحكم طمعه فيها تجنَّت عليه وهجرته، فإن استعتبها أعلمته أنها لا تصلح إلا لملك ومن همته همة الملوك، وأنه يمنعها من مواصلته أنه لا يصلح للملك. ثم ليعلمه خبرها، فقبل أبوها ذلك منه. ثم قال للمؤدب الموكل به خوّفه مني وشجعه على مراسلة المرأة! ففعل ذلك وفعلت الصبية ما أمرها به أبوها. فلما انتهت إلى التجني عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته له، أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرِّماية وضرب الصوالجة حتّى مهر في ذلك. ثم رفع إلى أبيه أنهمحتاج من الدوابّ والآلت والمطاعم والملابس والندماء إلى فوق ما عنده.
فسُرّ الملك بذلك، وأمر له بما طلب. ثم دعا مؤدبه، فقال: إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حبِّ هذه المرأة لا يُزري به. فتقدّم إليه أن يرفع ذلك إليّ ويسألني أن أزوّجه إياها. ففعل. ورفع الفتى ذلك إلى أبيه، فاستدعى أباها، وزوّجه بها، وأمر بتعجيلها إليه، وقال له: إذا اجتمعت بها فلا تحدث شيئاً حتَّى آتيك! فلما اجتمع أتاه، فقال: يا بنيَّ لا يضعنَّ منها عندك مراسلتها إيَّاك، وليست في حبالك! فإني أنا أمرتها بذلك. وهي أعظم الناس مِنَّةً عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك، حتّى بلغت الحدّ الذي تصلح معه للملك بعدي. فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك! ففعل الفتى ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وعاش أبوه مسروراً به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سره وطاعته، وأحسن جائزة المؤدب، وعقد لابنه على الملك من بعده.
قال اليمان: ثم قال لنا ذو الرياستين: سلوا الشيخ الآن: لم حملكم على العشق؟ فسألناه: فحدّثنا بحديث بهرام جور وابنه. فهذا ممن ارتفع بالهوى وترقَّى بسببه إلى مرتبة الملك.
وحكى ابن الجوزيّ أيضاً، قال: حدّث القاسم بن محمد النميري، قال: ما رأيت شاباً ولا كهلاً من ولد العباس أصون لنفسه، وأضبط لجأشه وأعفَّ لساناً وفرجاً من عبد الله بن المعتزّ! وكان ربما عبثنا بالهزل في مجلسه، فجرى معنا فيما لا يقدح به عليه قادح. وكان أكثر ما يشغل به نفسه سماع الغناء. وكان كثيراً ما يعيب العشق، ويقول: هو ضرب من الحمق! وكان إذا رأى منا

من هو مطرق أو مفكِّر اتهمه بالعشق ويقول: وقعت والله يا فلان! وقلّ عقلك وسخفت! إلى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسمعناه ينشد أشعاراً منها:

ما لي أرى الثَّريَّا ولا أرى الرَّقيبا؟
يا مرسلاً غزالاً، أما تخاف ذيبا؟

وسمعناه مرة أخرى ينشد، وهو يشرب في إناء قد لفه، فاتهمناه فيه. وكتب هذا الشعر:

ما قليلٌ منك لي بقليلِ، يا مُنى عيني وغاية سولي!
سل بحقِّ الله عينيك عنِّي: هل أحسَّت في الهوى بقتيل؟
أنت أفسدت حياتي بهجرٍ، ومماتي بحسابٍ طويلِ!

وأنشد:

أسر الحبُّ أميراً لم يكن قبل أسيرا.
فارحموا ذُلَّ عزيز صار عبداً مستجيرا!

وأنشد يوماً، وقد رأى دار بعض الناس، فقال:

أيا دار كم فيك من لذَّةٍ وعيشٍ لنا، كان ما أطيبه!
ومن قِبنةٍ أفسدت ناسكاً، وكانتْ له في التُّقى مرتبة.

وقال أيضاً مرّة:

لقد قتلت عيناك نفساً كريمةً، فلا تأمنن إن مُتُّ سطوة ثائرِ!
كأنَّ فؤادي في السماء معلَّقٌ، إذا غبت عن عيني، بمخلب طائر.

وأنشد يوماً، وفي يده خاتم:

حصلت منك على خا تم حوته البنانُ!
فما يُفارق كفِّي كأنَّه قهرمانُ.
يا أهل وُدِّي بعدتم وأنتم جيرانُ!

قال النميريّ: فقلت له: جعلنا الله فداك! هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها منا، ونحن الآن ننكرها منك! وكان يرجع عن بعض ذلك تصنعاً، ثم لا يلبث مستوره أن يظهر حتى تحقق عندنا عشقه، ودخل في طبقة المرحومين، فسمعته يوماً ينشد:

مكتومُ، يا أحسن خلق الله لا تتركيني هكذا بالله!

ثم تنفس إثر ذلك فأجبته:

قد ظفر العشق بعبد الله وانتهك السِّتر بحمد الله.
فقل له: سمِّ لنا سيِّدي هذا الذي تهوى، بحقِّ الله!

فضحك وقال: لا، ولا كرامة! فكتبت إليه من الغد:

بكت عينه وشكا حُرقةً من الوجد في القلب ما تنطفي.
فقلت له: سيِّدي، ما الذي أرى بك؟ قال: سقام خفي.
فقلت: أعشقٌ؟ فقال: اقتصر على ما ترى بي، أما تكتفي؟

فكتب إليّ:

يا من يُحدث عنِّي بظنِّ سمع وعينِ!
إن كنت تخطب سرِّي، فارجع بخُفَّي حنينِ!

فكتبت إليه:

هيهات لحظك عندي يُقرُّ فيه بعشيقك!
دع عنك خُفَّيْ حنينٍ واحرص على حلِّ ربقك!

تعال نحتال فيما تهوى، برفقي ورفقك!

وصرت إليه فقال: يا أبا طيب، قد عصيت إبليس أكثر مما عصى ربَّه إلى أن أوقعني في حبائله، فأنشدته:

من أين لا كان إبلي س جاءني بك يسعى؟
أبداك لي من بعيدٍ فقلت: طوعاً وسمعا!

فأخبرني بقصته. فسعيت له بلطيف الحيلة وأعانني بحزم الرأي حتى فاز بالظفر.

قال أبو بكر الصولي: اعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائداً وقال: ما عراك، يا بنيّ؟

فأنشأ يقول:

أيها العاذلون، لا تعذلوني وانظروا حسن وجهها تعذروني!
وانظروا هل ترون أحسن منها، إن رأيتم شبيهها فاعذلوني!
بي جنون الهوى، وما بي جنونٌ وجنون الهوى جنون الجنونِ!

قال: فتتبع أبوه الحال حتى وقع عليها، فابتاع الجارية التي شغف بها بسبعة آلاف دينار، ووجّهها إليه.

وحكي أن الرشيد كان له ثلاث جوارٍ اشتدّ شغفه بهنّ، فقال العباس بن الأحنف على لسانه:

ملك الثّلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكُلِّ مكانِ!
ما لي تطاوعني البريَّة كلُّها وأطيعهنَّ وهُنَّ في عصياني؟
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه عززن أعزّ من سلطاني!

أخذ المعنى والرويّ سليمان بن الحكم المستعين، أحد خلفاء بني أمية بالأندلس، فقال:

عجباً يهاب الليث حدَّ سناني، وأهاب لحظ فواتر الأجفانِ!
وأقارع الأهوال لا متهيباً منها سوى الإعراض والهجرانِ!
وتملكت نفسي ثلاثٌ كالدمى زهر الوجوه نواعم الأبدانِ!
ككواكب الظلماء لحن لناظرٍ من فوق أغصانٍ على كُثبانِ.
هذه الهلال، وتلك بنت المشتري حسناً، وهذه أخت غُصن البانِ!
حاكمت فيهنَّ السُّلوَّ إلى الصِّبا فقضى لسلطانٍ على سلطانِ.
فأبحن من قلبي الحمى وثنينني عن عز ملك كالأسير العاني.
لا تعذلوا ملكاً تذلل في الهوى ذل الهوى عزٌ وملكٌ ثاني.
إن لم أطع فيهنَّ سلطان الهوى! كلفا بهنَّ، فلست من مروانِ!
وإذا كريم أحب، أمَّن ألفه خطب الفلى وحوادث السلوانِ!

وقال العباس:

لا عار في الحبِّ إن الحبَّ؛ مكرمةٌ لكنَّه ربما أزرى بذي الخطر!

وأما القسم المذموم منه، وهو الذي ثنينا بذكره في صدر هذا الفصل فقد أكثر الناس القول في ذمه، وبينوا أسبابه.
فقال ابن الجوزيّ: بيان ذمه أن الشيء إنما يعرف مذموماً أو ممدوحاً بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لهج بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدح، ولا فائدة في العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشهوانية.
وقال بعض الحكماء: ليس العشق من أدواء الحصفاء الحكماء، إنما هو من أمراض الخلعاء الذين جعلوا دأبهم ولهجهم متابعة النفس وإرخاء عنان الشهوة وإمراح النظر في المستحسنات من الصور. فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تتوق، ثم تلهج، فيقال "عشق". وليس هذا من صفة الحكماء: لأن الحكيم من استطال رأيه على هواه، وتسلطت حكمته على شهوته. فرعونات طبعه مقيدة أبداً كصبي بين يدي معلمه أو عبد بمرأى سيده؛ وما كان العشق قط إلا لأرعن بطّال. وقلَّ أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم، فإنها تصرفه عن ذلك. ولهذا لا تكاد تجده في الحكماء.
وقال ابن عُقيل: العشق مرض يعتري النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواع من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فيتأكد الإلف ويتمكن الأنس، فيصير بالإدمان شغفاً. وما عشق قط إلا فارغٌ. فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر، وطلب الحقائق؛ المستدل بها على عظم الخالق. ولهذا قلما تراه إلا في الرُّعن البطرين، وأرباب الخلاعة النَّوكى. وما عشق حكيم قط: لأن قلوب الحكماء أشدّ تمنعاً عن أن توقفها صورة من صور الكون مع شدة تطلبها، فهي أبداً تلحظ وتخطف ولا تقف.
وقلَّ أن يحصل عشق من لمحة، وقلَّ أن يضيف حكيم إلى لمحة نظرةً، فإنه مار في طلب المعاني، ومن كان طالباً لمعرفة الله لا توقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن الصور.
وقال ابن الجوزيّ: واعلم أن العشاق قد جاوزوا حدّ البهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات: لأنهم لم يرضوا أن يصيبوا شهوة الوطء وهي أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أيّ موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضموا شهوة إلى شهوة، وذلّوا للهوى ذل على ذل. والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها حسب. وهؤلاء استخدموا عقولهم في تدبير نيل شهواتهم.
ثم قال: والعشق بين الضرر في الدِّين والدنيا. أما في الدّين فإنه يشغل القلب عن الفكر فيما له خلق: من معرفة الله تعالى، والخوف منه، والقرب إليه. ثم ينفذ ما ينال من موافقة غرضه المحرّم الذي يكون فيه خسران أخرته. ويعرضه لعقوبة خالقه. فكلما قرب من هواه، بعد من مولاه. ولا يكاد العشق يقع في الحلال المقدور عليه فإن وقع، فيا سرعان زواله! قالت الحكماء: كل مملوك مملول. وقال الشاعر:

وزادني شغفاً بالحبِّ أن منعت أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما منعا.

فإن كان المعشوق لا يباح، اشتدّ القلق به والطلب له. فإن نيل منه غرض، فالعذاب الشديد في مقابلته. على أن بلوغ الغرض يزيد ألماً فتر بي مرارة الفراق على لذَّة الوصال.

كما قال الشاعر:

كلُّ شيءٍ ربحته في النَّداني والتلاقي، خسرته في الفراق.

فإن منعه خوف الله تعالى عن نيل غرض، فالامتناع عذاب شديد فهو معذب في كل حال.

هذا ضرره في الدّين.

وأما ضرره في الدنيا فإنه يورث الهمَّ الدائم، والفكر اللازم، والوسواس، والأرق، وقلة المطعم، وكثرة السهر. ويتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة في البدن، والرِّعدة في الأطراف، واللُّجلجة في اللسان، والنُّحول في الجسد. فالرأي عاطل، والقلب غائب عن تدبير مصلحة، والدموع هواطل، والحسرات تتتابع، والزفرات تتوالى، والأنفاس لا تمتدّ، والأحشاء تضطرم. فإذا غشَّى على القلب غشاء ثانياً أخرج إلى الجنون. وما أقربه حينئذ من التلف! قال: هذا، وكم جنى من جناية على العرض، ووهنَّ الجاه بين الخلق. وربما أوقع في عقوبات البدن وإقامة الحدود.

وقال جالينوس: العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد.

وفي الدماغ ثلاثة مساكن: مسكن للتخيُّل، وهو في مقدّم الرأس؛ ومسكن للفكر، وهو في وسطه؛ ومسكن للذَّكر، وهو في مؤخره.

ولا يسمى عاشقاً إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والذكر فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به.

وقال الجاحظ: ذكر لي بعض حكماء الهند أنه قال: إذا ظهر العشق عندنا في رجل أو امرأة، غدونا على أهله بالتعزية. قال: وبلغني أن عاشقاً مات بالهند عشقاً، فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله به. وقال الربعي: سمعت أعرابية تقول: مسكينٌ العاشق! كل شيءٍ عدّوه! هبوب الريح يقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورسوم الديار تحرقه، والعذل يؤلمه، والتذكّر يُسقمه، والبعد والقرب يهيجه، والليل يضاعف بلاءه، والرقاد يهرب منه. ولقد تداويت بالقرب والبعد فلم ينجع فيه دواء، ولا عزَّ بي عزاء.

وقال الشاعر:

وقد زعموا أنّ المحبّ إذا دنا يملُّ، وأن النأي يشفي من الوجدِ!

بكلٍّ تداوينا، فلم يُشف ما بنا! على أنَّ قرب الدار خيرٌ من البعدِ!

وأنشد المارستاني:

إذا قربت دارٌ كلفت، وإن نأت أسفت! فلا بالقرب أسلو ولا البعدِ!
وإن وعدتْ زاد الهوى لانتظارها، وإن بخلت بالوعد مُتُّ على الوعدِ!
ففي كُلِّ حبٍّ لا محالة فرحةٌ، وحبُّك ما فيه سوى محكم الجهدِ!

وحكى الزبير بن بكَّار قال: حدثني موهوب بن راشد قال: وقفت امرأة من بني عقيل على أختٍ لها، فقالت لها: يا فلانة، كيف أصبحت من حبِّ فلان؟ قالت: قلقل والله حبَّه الساكن، وسكن المتحرّك! ثم أنشدتها:

لو أنَّ ما بي بالحصى فلق الحصى، وبالرِّيح لم يسمع لهنَّ هبوبُ!
ولو أنَّني أستغفر الله كلَّما ذكرتك لم يُكتب على ذنوبُ!

قالت: لا جرم والله، لا أقف حتَّى أسأله كيف أصبح من حبِّك! فجاءته فسألته فقال: إنما الهوى هوانٌ، وإنما خولف باسمه، وإنما يعرف ما أقول من كان مثلي قد أبكته المعارف والطلول.

وقال مسلم بن عبد الله بن جندب الهذليّ: خرجت أنا وريان السوّاق إلى العقيق فلقينا نسوةً نازلات من العقيق ذوات جمالٍ وفيهن جارية حسناء العينين، فأنشد ريان قول أبيّ:

ألا يا عباد الله، هذا أخوكم قتيلٌ! فهلاَّ فيكم اليوم ثائرُ؟
خذوا بدمي إن متُّ كلَّ خريدةٍ مريضة جفن العين، والطَّرف ساحرُ!

وأقبل عليّ، وأشار إليها فقال: يا ابن الكرام دم أبيك في أثوابها فلا تطلب أثراً بعد عين! قال: فأقبلت عليّ امرأة جميلة، أجمل من تيك، فقالت: أنت ابن جندب؟ فقلت: نعم. قالت: إن أسيرنا لا يُفكُّ، وقتيلنا لا يودي، فاحتسب أباك، واغتنم نفسك! ومضين.

ذمّ العشق والحب

قال الأصمعيّ: سئل أعرابيّ عن الحبّ، فقال: وما الحب؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلا سحر أو جنون. ثم قال:

هل الحُبُّ إلا زفرةٌ بعد زفرةٍ، وحرٌّ على الأحشاء ليس له برد؟
وفيض دموع العين منِّي كلما بدا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو؟

وقال: قلت لأعرابيّ: ما الحب؟ فقال:

الحبُّ مشغلةٌ عن كلِّ صالحةٍ وسكرة الحبِّ تنفي سكرة الوسنِ.

وقال محمد بن عبد الله بن مبادر:

من فتىً أصبح في الحُ بِّ سقاه الحُبُّ سُمّا؟
كلما أخفى جوى الحُ بِّ، عليه الدمع نمَّا.
ساهر لا يطعم النو م إذا الليل ادلهمَّا.
كلّما راقب نجما فهوى، راقب نجما.
أنتمو هميِّ فإن لم تصلوني متُّ غمَّا.
يا ثقاتي، خطم الحُ بُّ لكم أنفى وزمّا!
يا أخي، دائي جوى الح بُّ وداء الناس حُمَّى.
لا تلم مفتضحاً في ال حُبِّ، إن الحبَّ أعمى!

وقال محمد بن أبي أمية:

فو الله، ما أدري أمن لوعة الهوى صبرت على التقصير أم ليس لي قلبُ؟
أقبِّح أمراً، والفؤاد يودّه، أجُنَّ فؤادي في الهوى؟ بل هو الحُبُّ.

وقال أبو عبادة البحتريّ:

قال بطلاً وأفال الراي من لم يقلْ إن المنايا في الحدقْ!
إن تكن محتسباً من قد ثوى بحمام، فاحتسب من قد عشق!

وقال أبو تمام:

أما الهوى فهو العذاب، فإن جرت فيه النَّوى فالتَّيم كلّ التَّيمِ.

وقال ابن أبي حصينة:

والعشق يجتذب النفوس إلى الرَّدى بالطبع، واحسداً لمن لم يعشقِ!
طرق الخيال فهاج لي بطروقه ولهاً، فليت خيالها لم يطرقِ!

وقال صالح بن عبد القدّوس:

عاص الهوى إن الهوى مركبٌ يصعب بعد اللِّين منه الذَّلول!
إن يجلب اليوم الهوى لذَّةً ففي غدٍ منه البكا والعويل.

وقال ابن المعتز:

فكأنّ الهوى امرؤ علويٌّ ظنَّ أنِّي وليت قتل الحسين!
وكأنِّي لديه نجل زيادٍ فهو يختار أوجع القتلتين!

وقال أبو عبد الله بن الحجاج:

ويحك، يا قلبي ما أغفلك! تعشق من يعشق أن يقتلك؟
وأنت يا طرفي أوقعتني، ويحك يا طرفي ما لي ولك؟
قد كان من حقِّ بكائي على تبتُّلي بالحُبِّ أن يشغلك.
حتى توصلت لقتلي، فلا كنت ولا كان الذي أرسلك!

وقال عبد المحسن بن غالب الصوريّ:

وكان ابتداء الذي بي مجوناً، فلمَّا تمكن أمسى حنونا.
وكنت أظنُّ الهوى هيناً فلاقيت منه عذاباً مهينا.

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبريّ:

يا صاح، إنِّي مذ عرفت الهوى غرقت في بحر بلا ساحلِ!
عيني لحيني نظرت نظرةً رحت بها في شغلٍ شاغلِ.
عُلِّقته في البيت من فارسٍ؛ لكنَّه في السِّحر من بابلِ.

يظلمني، والعدل من شأنه! ما أوجع الظُّلم من العادل!

وقال آخر:

من سرَّه أن يرى المنايا بعينه منظراً صراحا.
فليحس كأساً من التجنِّي وليعشق الأوجه الملاحا!
يا أعيناً أرسلت مراضاً فاختلست أعيناً صحاحا!

وقال آخر:

ما أقتل الحُبَّ! والإنسان يجهله وكلُّ ما لم يذقه فهو مجهولُ.
راح الرُّماة إلى بعض المها، فإذا بعض الرُّماة ببعض الصيد مقتولُ!

وأما الآفات التي تجري على العاشق من المرض والضَّنا والجنون والمخاطرات بالنفوس وإلقائها إلى الهلاك، فهي كثيرة جداً، مشاهدة ومسموعة.

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج بن الجوزيّ بسند يرفعه، قال: لما بعثت قريشٌ عمارة بن الوليد مع عمرو بن العاص إلى النجاشيّ يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين، فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصغت إليه. فاطلع عمرو على ذلك فوكّد على عمارة. وكان عمارة أخبر عمراً أن زوجة النجاشيّ علقته وأدخلته إليها فوشى عمرو بعمارة عند النجاشيّ وأخبره بأُخبر، فقدل له النجاشيّ: ائتني بعلامة أستدلُّ بها على ما يلت! ثم عاد عمارة فأخبر عمراً بأمره وأمر زوجة الوّجاشيّ، فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تُعطيك من دهن الملك الذي لا يدَّهن به غيره. فكلمها عمارة في ذلك، فقالت: أخاف من الملك فأبى أن يرضى منها حتى تعطيه من ذلك الدُّهن فأعطته منه فأعطاه عمراً فجاء به عمرو إلى النجاشيّ فنفخ سحراً في إحليل عمارة. فذهب مع الوحش - فيما تقول قريش - فلم يزل متوحشاً يرد ماء في جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فرصده على الماء فأخذه فجعل يصيح به: يا بجير أرسلني! فإني أموت إن أمسكتني! فأمسكه فمات في يده.

وحكي عن محمد بن زياد الأعرابيّ قال: رأيت بالبادية أعرابياً في عنقه تمائم وهو عريانٌ وعلى سوأته خرقة وفي رجله حبل ومن خلفه عجوز آخذة بطرف الحبل وهو يعضُّ ذراعيه، فقلت للعجوز: من هذا؟ فقالت: ابن ابنتي! فقلت لها: أبه مسٌّ من الجنّ؟ فقالت: لا والله ولكنه نشأ وابنة عمّ له في مكان واحد، فعُلِّقها وعُلِّقته. فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار إلى مق ترى! فقلت لها: ما اسمه قالت: عكرمة. فقلت: أيا عكرمة ما أصابك؟ ڤال: أصابني داء قيس وعروة وجميل: فالجسمِ ني نحيل، والفؤاد عليل. ڤال: فتركته ومضيت.

وحكي عن ابن عبيد، قال: كان بالمدينة جارية ظريفةٌ حاذقةٌ بالغناء فهويت(فتىً من(قريش، فكانت لا تفارقه ولا يفارقها. فملّها الفتى وفارقها، وتزايدت محبتها له حتى ولهت. وتفاقم

الأمر بها حتى هامت على وجهها ومزقت ثيابها، فرآها مولاها في ليلة من الليالي، وهي تدور في السِّكك ومعه أصحاب له، فجعلت تبكي وتقول:

الحُبُّ أوّل ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الأقدارُ.
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمورٌ لا تطاق كبارُ.

قال: فما بقي أحد إلا رحمها. فقال لها مولاها: يا فلانة، امضي معنا إلى بيتنا! فأبت وقالت:

شغل الحلى أهله أن يعارا

قال: وذكر بعض من رآها ليلة وقد لقيتها جاريةٌ أخرى مجنونةٌ فقالت لها: فلانة، كيف أنت؟ قالت: كما لا أحب، فكيف أنت من ولهك وحُبِّك؟ قالت: على ما لم يزل، يتزايد على مرِّ الأيام! قالت لها: فغنِّي بصوتٍ من أصواتك فإني قريبة الشبه بك! فأخذت قصبة تُوقِّع بها وغنَّت:

يا من شكا ألماً للحُبِّ شبهه بالنار في القلب من حُزنٍ وتذكارِ!
إنِّي لأعظم ما بي أن أشبِّهه شيئاً يُقاس إلى مثلٍ ومقدارِ.
لو أنَّ قلبي في نارٍ لأحرقها، لأنَّ أجزاءه أذكى من النارِ!

ثم مضت.

وحكي عن سليمان بن يحيى بن معاذ قال: قدم عليّ بن يسابور إبراهيم بن سبابة الشاعر البصري. فأنزلته عليّ ليلة من الليالي وهو مكروب قد هاج. فجعل يصيح بي: يا أبا أيوب! فخشيت أن يكون قد غشيته بليةٌ، فقلت: ما تشاء؟ فقال: أعياني الشادن الرَّبيبُ! فقلت: بماذا؟ فقال: أشكو إليه فلا يُجيبُ! فقلت: داره وداوه! فقال:

من أين أبغي شفاء دائي؟ وإنما دائي الطَّبيب!

فقلت: إذن يفرّج الله عز وجل! فقال:

يا ربِّ، فرج إذاً وعجِّل، فإنَّك السامع المجيبُ!

ثم انصرف.

وحدث عن علي بن محمد النوفليّ عن أبي المختار عن محمد بن قيس العبديّ، قال: إني لبمزدلفة بين النائم واليقظان إذ سمعت بكاء حرقاً وغناء عالياً. فاتبعت الصوت فإذا أنا بجارية كأنها الشمس حسناً ومعها عجوز. فلطئت بالأرض لأمتع عيني بحسنها، فسمعتها تقول:

دعوتك يا مولاي سراً وجهرة دعاء ضعيف القلب عن محمل الحبِّ!
بليت بقاسي القلب لا يعرف الهوى وأقتل خلق الله للهائم الصبِّ!
فإن كنت لم تقض المودة بيننا فلا تُخلِ من حبٍّ له أبدا قلبي!
رضيت بهذا ما حييت فإن أمت فحسبي معاداً في المعاد به حسبي!

قال: وجعلت تردّد هذه الأبيات وتبكي، فقمت إليها وقلت: بنفسي من أنت؟ مع هذا الوجه وهذا الجمال يمتنع عليك من تريدين؟ قالت: نعم! والله إنه يفعل تصبراً وفي قلبه أكثر مما في قلبي! قلت: فإلى كم البكاء؟ قالت: أبداً! أو يصير الدمع دماً وتتلف نفسي غماً.

فقلت: إن هذه آخر ليلة من ليالي الحج، فلو سألت الله تعالى التوبة مما أنت فيه، رجوت أن يذهب حبه من قلبك! قالت: يا هذا، عليك بنفسك في طلب رغبتك، فإني قد قدّمت رغبتي إلى من ليس يجهل بغيتي! وحوّلت وجهها عني، وأقبلت على بكائها وشعرها.

وحكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ في كتابه المترجم ب ذم الهوى بسند رفعه إلى هشام بن عروة، قال: أذن معاوية بن أبي سفيان يوماً للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذرة. فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذريّ بين السماطين فأنشأ يقول:

مُعاوي، يا ذا الفضل والحلم والعقلِ وذا البرِّ والإحسان والجود والبذلِ!

أتيتك لمَّا ضاق في الأرض مسكني وأنكرت مما قد أُصبت به عقلي.

ففرَّج - كلاك الله - عنِّي فإنني لقيت الذي لم يلقه أحدٌ قبلي!

وخذ لي - هداك الله - حقِّي من الذي رماني بسهم كان أهونه قتلي!

وكنت أرجي عدله إن أتيته فأكثر ترادادي مع الحبس والكبلِ!

سباني سُعدي والنبرى لخصومتي وجار ولم يعدل وغاضبني أهلي.

فطلَّقتها من جهد ما قد أصابني! فهذا أمير المؤمنين من العدلِ؟

فقال معاوية: ادن بارك الله عليكَ! ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! إنني رجل من بني عذرة، تزوجت ابنة عمّ لي. وكانت لي صرمةٌ من الإبل وشويهات فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة الزمان وحادثات الدهر، رغب عني أبوها. وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرهت مخالفة أبيها. فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخاً به راجياً لنصرته. فذكرت له قصتي، فأحضر أباها وسأله عن قضيتي. وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لك، وزوّجني بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابيّ! فرغب أبوها في البذل فصار الأمير لي خصماً وعليّ منكرا! فانتهرني وأمر بي إلى السجن وأرسل إليّ أن أطلقها فلم أفعل. فحبسني وضيق عليّ وعذبني بأنواع العذاب، فلما أصابني مسُّ الحديد وألم العذاب ولم أجد بدّاً عن ذلك، طلقتها. فما استكملت عدّتها حتّى تزوج بها. فلما دخل بها أرسل إليّ فأطلقني. وقد أتيتك يا أمير

المؤمنين مستجيراً بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب. فهل من فرج؟ وبكى وقال في بكائه:

في القلب منِّي نارُ والنار فيها استعارُ!
والجسم منِّي نحيلٌ واللون فيه اصفرارُ.
والعين تبكي بشجوٍ فدمعها مدرارُ.
والحبُّ داء عسيرٌ فيه الطَّبيب يحارُ.
حُمِّلت منه عظيماً فما عليه اصطبارُ.
فليس ليلي ليلاً ولا نهاري نهارُ!

فرقَّ له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتاباً غليظاً، وكتب في آخره:

ركبت أمراً عظيماً لست أعرفه أستغفر الله من جور امرئٍ زاني!
قد كُنت تُشبه صُوفياً له كُتبٌ من الفرائض أو آيات فرقانِ.
حتَّى أتانا الفتى العذريُّ منتحباً يشكو إليّ بحقٍّ غير بهتانِ.
أُعطي الإله عهوداً لا أخيس بها أو لا فبرِّئت من دينٍ وإيمانِ!
إن أنت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنَّك لحماً بين عقبانِ!
طلِّق سُعاد، وجهزها معجَّلةً مع الكميت، ومع نصر بن ذبيانِ!
فما سمعت كما بُلغت من عجب ولا فعالك حقاً فعل إنسانِ!

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذبيان وقال: اذهبا به إليه! قال: فلما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفس الصعداء، وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف! وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر. فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما. فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا: لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين! وكتب ابن الحكم كتاباً لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية. فكان مما كتب فيه يقول:

لا تحنثنَّ أمير المؤمنين فقد أوفي بعهدك في رفق وإحسانِ.
وما ركبت حراماً حين أعجبني، فكيف سُمِّيت باسم الخائن الزاني؟
أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت منك الأماني على تمثال إنسانِ!
وسوف تأتيك شمسٌ ليس يعدلها عند البريَّة من إنس ومن جانِ!
حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت، أقول ذلك في سرٍّ وإعلانِ!

فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، ولكن أطنب في ذكر الجارية! ولئن كانت أعطيت حسن النَّغمة مع هذا الوصف الحسن فهي أكمل البرية! فأمر بإحضارها، فلما مثلت بين يديه، استنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاماً وأكملهم شكلاً ودلالاً. فقال: يا أعرابيّ، هذه

سعدي! ولكن هل لك عنها من سلوة بأفضل الرغبة؟ قال نعم، إذا فرَّقت بين رأسي وجسدي! فقال: أعوّضك عنها يا أعرابيّ بثلاث جوارٍ ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهنّ.
فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات. فقال له: ما بالك يا أعرابيّ؟ قال: أشرُّ بال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعند من أستجير من جورك؟ ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني والأمثال تضرب بي كالمستغيث من الرَّمضاء بالنارِ!
أردد سُعاد على حيران مكتئبٍ يُمسي ويصبح في همٍّ وتذكارِ!
قد شفَّه قلقٌ ما مثله قلقٌ وأسعر القلب منه أيّ إسعارِ!
كيف السُّلوُّ، وقد هام الفؤاد بها وأصبح القلب عنها غير صبارِ؟

قال: فغضب معاوية غضباً شديداً، ثم قال: يا أعرابيّ، أنت مقرٌّ بأنك طلقتها! ومروان مقرٌّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فإن اختارتك أعدناها إليك بعقد جديد، وإن اختارت سواك زوّجناه بها.
ثم التفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين، يا سعدى؟ أيما أحبُّ إليك، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أو مروان بن الحكم في عسفه وجوره، أو هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله؟ فأنشأت تقول:

هذا، وإن كان في فقرٍ وإضرارِ، أعزُّ عندي من قومي ومن جاري!
وصاحب التَّاج أو مروان عامله وكلِّ ذي درهمٍ عندي ودينارِ!

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام! وإن لي معه صحبة لا تنسى ومحبة لا تبلى! والله إني لأحق من صبر معه الضراء كما تنعَّمت معه السرَّاء!
فعجب كلُّ من كان حاضراً. فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لهما بألف دينار. فأخذها وانصرف يقول:

خلُّوا عن الطريق للأعرابي! ألم ترقُّوا، ويحكم مما بي؟

قال: فضحك معاوية وأمر بها فأدخلت في قصوره حتى انقضت عدّتها من ابن الحكم ثم أمر برفعها إلى الأعرابي.
ولقد ساق ابن الجوزيّ في كتابه من أخبار العشاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضنا، وقصّ كثيراً من أخبارهم، تركنا إيراد ذلك رغبةً في الاختصار، لأنه أمر غير منكور.
وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه، فمن ذلك ما روي عن أبي ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان أنه قال: كان عبد الملك يجلس يومين في الأسبوع جلوساً عامّاً للناس: فبينما هو جالس في مستشرفٍ له وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصَّة غير مترجمة. فيها: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنيني ثلاثة أصوات ثم ينفذ فيّ ما شاء من حكمه، فعل!.

فاستشاط من ذلك غضباً وغيظاً، وقال: يا رباح! عليّ بصاحب هذه القصة! فخرج الناس جميعاً فأدخل عليه الغلام كما عدَّر، من أحسن الفتيان، فقال له عبد الملك: يا غلام، هذه قصتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرّك منّي؟ والله لأمثلنّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة! ثم قال: عليّ بالجارية فجيء بها كأنها فلقة قمر! وبيدها عودها ووضع لها كرسيّ، فجلست، فقال عبد الملك: مرها يا غلام! فقال لها: يا جارية، غنيني بشعر قيس بن ذريح:

لقد كنت حسب النفس، لو دام ودنا؛ ولكنما الدنيا متاع غُرورِ!
وكنَّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالي غبطةٍ وسرورِ.
فما برح الواشون حتَّى بدت لنا بطون الهوى مقلوبةً لظهورِ.

فغنت. فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقاً، ثم قال له عبد الملك: مرها تغنك الصوت الثاني! فقال: غنيني بشعر جميل:

ألا ليت شعري! هل أبيتنَّ ليلةً بوادي القرى؟ إني إذاً لسعيدُ!
إذا قلت: ما بي يا بثينة قاتلي من الحُبِّ! قالت: ثابتٌ ويزيدُ!
وإن قلت: رُدِّي بعض عقلي أعش به مع الناس! قالت: ذاك منك بعيدُ!
فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً، ولا حُبُّها فيما يبيد يبيدُ!
يموت الهوى منِّي إذا ما لقيتها، ويحيا إذا فارقتها فيعودُ!

فغنت الجارية. فسقط الغلام مغشياً عليه ساعة. ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مرها فلتغنك الصوت الثالث! فقال يا جارية! غنيني بشعر قيس بن الملوّح:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرةٍ غزالٌ غضيضُ المقلتين ربيبُ.
فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى، ولكنَّ من تنأين عنه غريبُ!

فغنته الجارية فطرح نفسه من المستشرف، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض. فقال عبد الملك: ويحه! لقد عجل على نفسه! ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل! وأمر بإخراج الجارية عن قصره، فأخرجت. ثم سأل عن الغلام فقالوا: غريب، لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادي في الأسواق، ويده على رأسه:

غداً يكثر الباكون منا ومنكم، وتزداد داري من دياركم بُعدا!

وحكي أن هذه الحكاية جرت في مجلس سليمان بن عبد الملك. حكي عن أبي عثمان الجاحظ أنه قال: قعد سليمان بن عبد الملك يوماً للمظالم وعرضت عليه القصص فمرّت به قصة فيها: إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إليّ فلانة إحدى جواريه حتى تغنيني ثلاثة أصوات، فعل. فاغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه. ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخل الرجل إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال: الثقة بحلمك، والاتكال على عفوك! فأمره بالجلوس،

فجلس حتى لم يبق من بني أمية أحد. ثم أمر بإخراج الجارية فأخرجت ومعها عود، ثم قال: اختر! فقال: تغني لي بقول قيس بن الملوّح:

تعلّق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد أن كنَّا نطافاً وفي المهدِ!
فعاش كما عشنا فأصبح نامياً، وليس - وإن متنا - بمنقصف العهدِ.
يكاد فضيض الماء يخدش جلدها، إذا اغتسلت بالماء من رقَّة الجلدِ.
وإني لمشتاق إلى ريح جيبها، كما اشتاق إدريس إلى جنَّة الخلدِ!

فغنت. ثم قال: تأمر لي برطل. فأمر له به فشربه. ثم قال: تغني بقول جميل:

علقت الهوى منها ولیداً، فلم یزل إلى اليوم ينمى حبُّها ويزيدُ.
وأفنيت عُمري في انتظار نوالها وأبليت فيها الدَّهر وهو جديدُ.
فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً، ولا حُبُّها فيما يبيد يبيدُ.
إذا قلت: ما بي يا بثينة طالباً، ولا حُبُّها فيما يبيد يبيدُ.
وإن قلت: ردّي بعض عقلي أعش به مع الناس! قالت: ذاك منك بعيدُ.

فغنت، فقال له سليمان: قل ما تريد؟ قال: تأمر لي برطل، فأمر له فشربه. ثم قال: تغني بقول قيس بن ذريح: لقد كنت حسب النفس الأبيات.

فغنت. فقال له سليمان: قل ما تشاء! قال: تأمر لي برطل! فأمر له به، فما استتمه حتى وثب فصعد إلى أعلى قبة ثم زجَّ نفسه على دماغه فمات. فاسترجع سليمان وقال: أتراه توهم الجاهل أني أخرج إليه جاريتي وأردّها إلى لكي؟ يا غلام خذ بيدها فانطلق بها إلى أهله إن كان له أهل، وإلا فبيعوها وتصدّقوا بثمنها عنه. فلما انطلقوا بها، نظرت إلى حفرة في الدار قد أُعدت للمطر، فجذبت يدها من أيديهم وأنشأت تقول:

من مات عشقاً فليمت هكذا! لا خير في عشق بلا موتِ!

وزجت نفسها في الحفرة على دماغها. فماتت.

وقد حكي أيضاً مثل هذه، وأنها وقعت للرشيد.

روي عن أبي بكر محمدبن عليّ المخزومي قال: اشتريت للرشيد جارية مدنية. فأعجب بها وأمر الفضل بن الربيع أن يبعث في حمل أهلها ومواليها لينصرفوا بجوائزها. وأراد بذلك تشريفها. فوفد إلى مدينة السلام ثمانون رجلاً، ووفد معهم رجل من أهل العراق استوطن المدينة كان يهوى الجارية. فلما بلغ الرشيد خبر مقدمهم أمر الفضل أن يخرج إليهم ليكتب اسم كل واحد منهم وحاجته، ففعل. فلما بلغ إلى العراقيّ قال: ما حاجتك؟ قال له: إن أنت كتبتها وضمنت لي عرضها مع ما

يعرض، أنبأتك بها. فقال: أفعل ذلك، فقال: حاجتي أن أجلس مع فلانة حتى تغنّيني ثلاثة أصوات وأشرب ثلاثة أرطال، وأخبرها بما تُجنّ ضلوعي من حبها! فقال الفضل: أنت موسوس مدخول عليك في عقلك! فقال: يا هذا، قد أُمرت أن تكتب ما يقول كلّ واحد منا فاكتب ما أقول واعرضه، فإن أجبت إليه وإلا فأنت في أوسع العذر، فدخل الفضل مغضباً فوقف بين يدي الرشيد، وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم. فلما فرغ قال: يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون! سأل ما أجلّ مجلس أمير المؤمنين عن التفوّه به. فقال: قل، ولا تجزعنّ! فقال: قال كذا وكذا. فقال: اخرج إليه، وقل له إذا كان بعد ثلاث، فاحضر لينجز لك ما سألت. وكن أنت متولّي الاستئذان له. ثم دعا بخادم فقال له: امض إلى فلانة فقل لها: حضر رجل يذكر كذا وكذا وقد أجبناه إلى ما سأل فكوني على أهبة. وخرج الفضل إلى الرجل وأخبره بما قال الرشيد، فانصرف وجاء في اليوم الثالث. فعرّف الفضل الرشيد خبره فقال: يوضع له بحيث أرى كرسيٌّ من فضة، وللجارية كرسيٌّ من ذهب! وليخرج إليه ثلاثة أرطال! ففعلوا ذلك وجاء الفتى فجلس على الكرسيّ، والجارية بإزائه، فجعل يحدّثها والرشيد يراهما، فقال له الخادم: لم تدخل فتشتو وتصيِّف! فأخذ رطلاً وخرّ ساجداً، قال: إن شئت أن تغنّي فغنّي:

خليليَّ عوجاً! بارك الله فيكما وإن لم تكن هندٌ بأرضكما قصدا!

وقولا لها: ليس الضلال أجازنا؛ ولكنَّما جزنا لنلقاكما عمدا!

غداً يكثر الباكون منا ومنكم، وتزدادا داري من دياركم بعدا!

فغنت، فشرب الرطل، وحادثها ساعة. فاستحثه الخادم فأخذ الرطل بيده وقال: غني جعلني الله فداءك!

تكلَّم منَّا في الوجوه عيوننا، فنحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ!

ونغضب أحياناً ونرضى بطرفنا، وذلك فيما بيننا ليس يُعلمُ!

فغنته وشرب الرطل الثاني وحادثها ساعة. واستعجله الخادم فخرّ ساجداً يبكي وأخذ الرطل بيده واستودعها الله وقام ودموعه تستبق المطر وقال: إذا شئت أن تغنّي فغنّي.

أحسن ما كُنَّا تفرّقنا وخاننا الدّهر وما خُنَّا!

فليت ذا الدهر لنا مرَّةً عاد لنا الدّهر كما كنا!

فغنته الصوت، فقلّب الفتى طرفه فبصر بدرجة في الصحن، فأمها. فاتبعه الخدم ليهدوه الطريق، ففاتهم وصعد الدرجة فألقى نفسه إلى الأرض على رأسه فمات. فقال الرشيد: عجَّل الفتى! ولو لم يعجِّل لوهبتها له!

وممن خاطر بنفسه في هواه وعرَّضها للتلف فنجا ونال خيراً، مال حكاه ابن الجوزيّ بسند يرفعه إلى أبي الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن الترسي قال: كنت جالساً بحضرة أبي، وأنا حدث، وعنده جماعة. فحدّثني حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الظريفة. وكان ممن حضر صديق لأبي. فسمعته يحدّث أبي، قال: حضرت عند صديق لي

من التُّجَّار - كان يتَّجر بمائة ألف دينار - في دعوة. وكان حسن المروءة، فقدّم مائدة وقدّم عليها ديكريكة فلم يأكل منها، فامتنعنا. فقال: كلوا! فإني أتأذّى بأكل هذا اللون. فقلنا: نساعدك على تركه. قال: بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى! فأكل وأكلنا، فلما أراد غسل يده أطال. فعددت عليه أنه قد غسلها أربعين مرة. فقلت: يا هذا، وسوست! فقال: هذه الأذية التي قرفت منها! فقلت: وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب، فلما ألححت عليه، قال: مات أبي وسني عشرون سنة، وخلف لي نعمة وفيرة ورأس مال ومتاعاً في دكانه. فقال لما حضرته الوفاة: يا بُنيّ! إنه لا وارث لي غيرك، ولا دين عليّ ولا ظلمة. فإذا أنا متُّ فأحسن جهازي وتصدّق عني بكذا وكذا، وأخرج عني حجَّة بكذا، وبارك الله لك في الباقي! ولكن احفظ وصيتي! فقلت: قل! قال: لا تسرف في مالك، فتحتاج إلى ما في يدي الناس فلا تجده.
واعلم أن القليل مع الإصلاح كثير، والكثير مع الفساد قليل. فالزم السُّوق وكن أوّل من يدخلها، وآخر من يخرج منها. وإن استطعت أن تدخلها سحراً بليل فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام، ومات. فأنفذت وصيته، وعملت بما أشار به. وكنت أدخل السوق سحراً، وأخرج منها عشاء. فلا أعدم من يجيء يطلب كفناً فلا يجد من قد فتح غيري فأحتكم عليه، ومن يبيع شيئاً والسوق لم تقم فأبتاع منه، وأشياء من هذه الفوائد. ومضى عليّ سنة وكسر، فصار لي بذلك جاه عند أهل السوق وعرفوا استقامتي وأكرموني. فبينما أنا جالس يوماً ولم تتكامل السوق، وإذا بامرأة راكبة حماراً مصرياً وعلى كفله منديل دبيقي ومعها خادم وهي بزيّ القهارمة. فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندي. فقمت إليها وأكرمتها، وقلت: ما تأمرين؟ وتأملتها فإذا بامرأة لم أر قبلها ولا بعدها إلى الآن أحسن منها في كل شيء. فتكلمت وقالت: أريد كذا وكذا ثياباً طلبتها.
فسمعت نغمة ورأيت شكلاً قتلني فعشقتها في الحال أشدّ عشق، وقلت: اصبري حتى يخرج الناس، فآخذ ذلك لك فليس عندي إلا القليل مما يصلح لك. وأخرجت الذي عندي وجلست تحادثني، وكأن السكاكين في فؤادي من عشقها. وكشفت عن أنامل رأيتها كالطَّلع،
ووجه كدارة القمر. فقمت لئلا يزيد عليّ الأمر، وأخذت لها من السوق ما أرادت، وكان ثمنه مع مالي نحو خمسمائة دينار، فأخذته وركبت ولم تعطني شيئاً. وذهب عني لما تداخلني من حبها أن أمنعها من المتاع إلا بالمال، وأن أستدل على منزلها ومن دار من هي؟ فحين غابت عني، وقع لي أنها محتالة وأن ذلك سبب فقري. فتحيرت في أمري وكتمت خبري، لئلا أفتضح بما للناس عليّ. وأجمعت على بيع ما في يدي من المتاع وإضافته إلى ما عندي من الراهم وأدفع أموال الناس إليهم

ولزوم البيت والاقتصار على غلة العقار الذي ورثته. وأخذت أشرع في ذلك مدة أسبوع، وإذا بها قد أقبلت ونزلت عندي، فحين رأيتها أنسيت جميع ما جرى عليّ، وقمت إليها. فقالت: يا فتى، تأخرنا عنك لشغل عرض لنا، وما شككنا في أنك لم تشك أنا احتلنا عليك، فقلت: قد رفع الله قدرك عن هذا! فقالت، هات التخت والطيار، فأحضرته، فأخرجت دنانير عتقاً، فوفتني المال بأسره. وأخرجت تذكرة بأشياء أُخر. فأنفذت إلى التجَّار أموالهم وطلبت منهم الذي أرادت، وحصلت أنا في الوسط ربحاً جيداً. وأحضر التُجَّار الثياب فقمت وثمنتها معهم لنفسي. ثم بعتها عليها بربح عظيم، وأنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر من تألف حبها، وهي تنظر إليّ نظر من فطنت بذلك ولم تنكره.
فهممت بخطابها ولم أقدر عليه. وجمعت المتاع فكان ثمنه ألف دينار. فأخذته، وركبت ولم أسألها عن موضعها. فلما غابت عني، قلت: هذه الآن الحيلة المحكمة! أعطتني خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار، وليس إلا بيع عقاري الآن، والحصول على الفقر!
وتطاولت غيبتها عني نحو شهر. وألّح التجار عليّ بالمطالبة، فعرضت عقاري على البيع، ولازمني بعض التجار فوزنت جميع ما كنت أملكه ورقاً وعيناً. فبينما أنا كذلك، إذ نزلت عندي. فزال عني جميع ما كنت فيه برؤيتها. واستدعيت الطيار والتخت، فوزنت المال ورمت إليّ تذكرة يزيد ما فيها على ألفي دينار بكثير. فتشاغلت بإحضار التجار ودفع أموالهم إليهم وأخذ المتاع منهم، وطال الحديث بيننا. فقالت لي: يا فتى، ألك زوجةٌ؟ فقلت: لا، والله ما عرفت امرأة قط، وأطمعني ذلك فيها، وقلت: هذا وقد خطابها، والإمساك عنها عجزٌ، ولعلها تعود أو لا تعود. وأردت كلامها فهبتُها. وقمت كأني أحُثُّ التجار على جمع المتاع. وأخذت يد الخادم وأخرجت إليه دنانير وسألته أن يأخذها ويقضي لي حاجة. فقال: أفعل، فقصصت عليه قصتي وسألته توسط الأمر بيني وبينها.
فضحك وقال: والله إنها لك أعشق منك لها! ووالله ما بها إلى أكثر هذا الذي تشتريه، وإنما تأتيك محبةً لك وطريقاً إلى مطاولتك، فخاطبها ودعني، فجسَّرني على خطابها فخاطبتها وكشفت لها عشقي ومحبتي وبكيت، فضحكت. وتقبلت ذلك أحسن قبول. وقالت: الخادم يأتيك برسالتي. ونهضت ولم تأخذ شيئاً من المتاع، فرددته على أصحابه. وحصل لي مما اشترته أوّلاً وثانياً ألوف دراهم ربحاً، ولم أعرف النوم في تلك الليلة شوقاً إليها، وخوفاً من انقطاع السبب بيننا. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم، فأكرمته وسألته عن خبرها، فقال: هي والله عليلة من شوقها إليك، فقلت: اشرح لي أمرها، فقال: هذه مملوكة السيدة أم المقتدر وهي من أخص جواريها، واشتهت رؤية الناس والدخول والخروج. فتوصلت حتى جعلتها قهرمانة.

وقد والله حدّثت السيدة بحديثك وبكت بين يديها وسألتها أن تزوّجها منك، فقالت السيدة: لا أفعل أو أرى هذا الرجل. فإن كان يستأهلك وإلا لم أدعك ورأيك. وتحتاج أن تحتال في إدخالك الدار بحيلة، فإن تمت وصلت بها إلى تزويجك بها، وإن انكشفت ضرب عنقك. وقد أنقذتني إليك في هذه الرسالة، وقالت لك: إن صبرت على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إليّ، ولا لي إليك بعدها! فحملني ما في نفسي أن قلت: أصبر، فقال: إذا كانت الليلة فاعبر إلى المحرم، وادخل إلى المسجد، وبت فيه. ففعلت ذلك. فلما كان وقت السَّحر، إذا بطيار قد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغاً. فجعلوها في المسجد وانصرفوا. وخرجت الجارية فصعدت إلى المسجد، والخادم معها. فجلست وفرقت باقي الخدم في حوائج، واستدعتني فعانقتني وقبلتني. ولم أكن نلت ذلك منها قبله. ثم أجلستني في بعض الصناديق وأقفلته. وطلعت الشمس وجاء الخدم بثياب وحوائج من المواضع التي كانت أنفذتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم في باقي الصناديق، وأقفلتها. وحُملت إلى الطيار وانحدر. فلما حصلت فيه ندمت وقلت: قتلت نفسي لشهوة، وأقبلت ألومها تارةً، وأشجعها وأمنيِّها أخرى، وأنذر النُّذور على خلاصي، وأوطِّن مرة نفسي على القتل إلى أن بلغنا الدار. وحمل الخدم الصناديق، وحمل صندوقي الخادم الذي يعرف الحديث، وبادر به أمام الصناديق وهي معي، والخدم يحملون بقيتها. وكلما جازت بطائفة من الخدم والبوّابين، قالوا: نريد أن نفتش الصندوق، فتصيح عليهم وتقول: متى جرى الرسم معي بهذا؟ فيمسكون عنها ورُوحي في السياق إلى أن انتهينا إلى خادم خاطبته هي بالأستاذ.
فعلمت أنه أجل الخدم، فقال: لا بدّ من فتح الصندوق الذي معك، فخاطبته بلين وذل، فلم يجبها. وعلمت أنها ما ذلّت ولها حيلة، فأغمى عليّ. وأنزلوا الصُّندوق ليفتحوه. فبلت من شدة ما نالني من الفزع، فجرى البول من خلال الصندوق. فصاحت: يا أستاذ، أهلكت علينا متاعاً بخمسة آلاف دينار في الصندوق، ثيابٌ مصبَّغات وماء ورد، وقد انقلب على الثياب، والساعة تختلط ألوانها، وهي هلاكي مع السيدة! فقال لها: خذي صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو، مُري! فصاحت بالخدم: احملوا، فأدخلت الدار ورجعت إليّ روحي، فبينما نحن كذلك إذ قالت: واويلاه! الخليفة والله! فجاءني أعظم من الأوّل. وسمعت كلام خدم وهو يقول من بينهم: ويلك يا فلانة! إيش في صندوقك؟ أريني هو، فقالت: ثياب لستي يا مولاي، والساعة أفتحه بين يديها، وتراه، وقالت للخدم: أسرعوا ويلكم! فأسرعوا فأدخلتني إلى الحجرة وفتحت الصندوق وقال: اصعد من هذه الدرجة إلى الغرفة فاجلس فيها، وفتحت صندوقاً آخر فقلبت بعض ما فيه إلى الصندوق الذي كنت فيه، وأقفلت الجميع.

وجاء المقتدر وقال: افتحيه، ففتحته، فلم ير شيئاً فيه. فصعدت إليّ وجعلت تقبلني ترشفني. ونسيت ما جرى. ثم تركتني، وأقفلت باب الحجرة يومها. ثم جاءتني ليلاً فأطعمتني وسقتني وانصرفت. فلما كان من غد جاءتني، فقالت: السيدة الساعة تجيء، فانظر كيف تخاطبها، ثم عادت بعد ساعة مع السيدة، وقالت: انزل، فنزلت. فإذا بالسيدة جالسة على كرسيّ وليس معها إلا وصيفتان وصاحبتي. فقبَّلْت الأرض وقمت بين يديها، فقالت: اجلس، فقلت: أنا عبد السيدة وخادمها، وليس من محلي أن أجلس بحضرتها، فتأملتني وقالت: ما اخترت يا فلانة إلا حسن الوجه والأدب، ونهضت، فجاءتني صاحبتي بعد ساعة، وقالت: أبشر، فقد أذنت لي في تزويجك، وما بقي الآن عقبة إلا الخروج.

فقلت: يسلم الله! فلما كان من غدٍ حملتني في الصندوق. فخرجت كما دخلت بعد مخاطرة أخرى وفزع ثان. ونزلت في المسجد ورجعت إلى منزلي، فتصدّقت، وحمدت الله تعالى على السلامة. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عيناً وقال: أمرتني ستي بإنفاذ هذا إليك من مالها. وقالت: اشتر به ثياباً ومركوباً وخدماً، وأصلح به ظاهرك، واحضر يوم الموكب إلى باب العامَّة، وقف حتَّى تُطلب. فقد وافق الخليفة أن يزوجك بحضرته. فأخذت المال وأجبت عن رقعة كانت معه، واشتريت ما قالوه بشيء يسير منه وبقي الأكثر عندي. وركبت إلى باب العامة في يوم الموكب بزيّ حسن. وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة، ووقفت إلى أن استدعيت ودخلت. فإذا أنا بالمقتدر جالساً والقضاة والقوّاد وغيرهم من الهاشميين. فهبت المجلس وعُلِّمت كيف أُسلِّم.

ففعلت. وتقدّم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب لي وزوّجني. وخرجت من حضرته. فلما انتهيت إلى بعض الدهاليز، عُدل بي إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفرش الفاخرة وفيها من الآلات والخدم والقماش ما لم أر مثله قطّ. وانصرف من أدخلني.

فجلست يومي لا أقوم إلا إلى الصلاة. وخدمٌ يدخلون وخدم يخرجون، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون: الليلة تُزف فلانة باسم صاحبتي إلى زوجها البزّاز، وأنا لا أصدق فرحاً. فلما جاء الليل أثَّر فيّ الجوع وأقفلت الأبواب، ويئست من الجارية، فقمت أطوف الدار فوقعت على المطبخ. ووجدت الطباخين جلوساً فاستطعمتهم فلم يعرفوني وقدّروني بعض الوكلاء. فقدموا إليّ هذا اللون مع رغيفين فأكلتهما وغسلت يدي بأشنان كان في المطبخ وقدّرت أنها قد نقيت. وعدت إلى مكاني.

فلما جنّ الليل إذا طبول وزمور وأصوات عظيمة، وإذا أنا بالأبواب قد فُتِّحت وصاحبتي قد أهديت إليّ وجاءوا بها فجلوها عليّ، وأنا أقدّر أن ذلك في النوم. ثم تركت معي في المجلس.

وتفرّق ذلك البوش. فلما خلونا، تقدمت إليها فقبلتها وقبلتني. فلما شمَّت رائحة لحيتي، رفستني فرمت بي عن المنصة وقالت: أنكرت والله أن تفلح يا عاميِّ، يا سفلة، وقامت لتخرج، فقمت وعلقت بها وقبلت الأرض ورجليها، وقلت: عرفيني ذنبي واعملي بعده ما شئت، فقالت: ويحك، أكلت ولم تغسل يدك! فقصصت عليها قصتي، فلما بلغت إلى آخرها قلت: عليّ وعليّ - وحلفت بطلاقها وطلاق كل امرأة أتزوّجها وصدقة مالي وجميع ما أملكه والحجِّ ماشياً على قدميّ وكلِّ ما يحلف به المسلمون لا أكلت بعدها ديكيريكة إلا غسلت يدي أربعين مرة. فاستحيت وتبسمت وصاحت: يا جواري! فجاء مقدار عشر جوار ووصائف، فقالت: هاتوا شيئاً نأكل، فقدّمت ألوان ظريفة وطعام من أطعمة الخلفاء. فأكلنا وغسلنا أيدينا. واستدعت شراباً فشربنا وغنَّى أولئك الوصائف أطيب غناء وأحسنه، ثم قمنا إلى الفراش فخلوت بها وبتُّ بأطيب ليلة، ولم نفترق أسبوعاً. وكانت يوم الأسبوع وليمةٌ عظيمةٌ اجتمع في ه الجواري. فلما كان من الغد، قالت لي: إن دار الخلافة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا مع جارية غيري، لمحبة سيدتي لي. وجميع ما تراه فهو هبة من السيدة لي. وقد أعطتني خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر. ولي ذخائر في خارج القصر كثيرةٌ من كل لون. وجميعها لك، فاخرج إلى منزلك، وخذ معك مالاً واشتر داراً سريَّةً واسعة الصحن، فيها بستان، كثيرة الحجر. وتحوّل إليها، وعرفني لأنقل إليها هذا كله، ثم آتيك، وسلمت إليّ عشرة آلاف دينار عيناً. فخرجت وابتعت الدار وكتبت إليها بالخبر. فحملت إليّ تلك النعمة بأسرها. فجميع ما أنا فيه منها، فأقامت عندي كذا وكذا سنة أعيش معها عيش الخلفاء. ولم أدع مع ذلك التجارة. فزاد مالي وعظمت منزلتي وأثرت حالي، وولدت لي هؤلاء الفتيان وأومأ إلى أولاده. ثم ماتت رحمها الله وبقي عليّ من مضرة الديكيريكة ما شاهدته.

وبالجملة فلا يغترّ أحد بهذه الحكاية وأمثالها، فيجهل بنفسه فيهلكها. فما المغرِّر محمود وإن سلما.

وأما من كفر بسبب العشق فكثير جداً لا ينحصرون، ومما ورد في ذلك حكاية عجيبة أوردتها لغرابتها وهي مما حكاه ابن الجوزيّ في كتابه المترجم بذم الهوى قال: سمعت شيخنا أبا الحسن عليّ بن عبيد الله الزعفراني يحكي أن رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهويها من وقته، وزاد الأمر به حتى غلب على عقله، فحمل إلى البيمارستان. وكان له صديق يتردّد إليه ويترسل بينه وبينها. ثم زاد الأمر به، فقالت أمُّه لصديقه: إني أجيء إليه فلا يكلمني، فقال: تعالي معي، فأتت معه. فقال له: إن صاحبتك بعثت إليك رسالة، قال: كيف؟ قلت: هذه أمك تؤدّي رسالتها. فجعلت أمه تحدّثه عنها بشيء من الكذب. ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتي في الدّنيا، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة.

فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرجع عن دين محمد، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم. فقال ذلك ومات. فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها عليلة فجعل يحدّثها، وأخبرها بموت صاحبها، فقالت: أنا ما لقيته في الدّنيا وأنا أريد أن ألقاه في الآخرة. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية. فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقال له: قف ساعة؛ فوقف، فما لبث أن ماتت.

قال: وبلغني عن رجل ببغداد يقال له صالح المؤذن، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح أنه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن فرأى بنت رجل نصرانيّ كان بيته إلى جانب المسجد. فافتتن بها، فجاء فطرق الباب فقالت له: من أنت؟ قال: أنا صالح المؤذن. ففتحت له الباب فدخل وضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلتك، فقالت: لا، إلا أن تترك دينك، فقال كلمة الكفر وبرئ من الإسلام. ثم تقدّم إليها فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك. فكل من لحم الخنزير، فأكل منه، قالت: فاشرب الخمر، فشرب. فلما دبَّ الشراب فيه دنا منها فدخلت بيتاً وأغلقت بينها وبينه الباب، وقالت له: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك. فصعد فسقط فمات. فخرجت إليه ولفته في مسح. وجاء أبوها فقصت عليه القصة فأخرجه في الليل ورماه في السكة. وظهر حديثه، فرمي على مزبلة.

وأما من قتل بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرةً، وأعظمه وأشده واقعة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ، لعنه الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا عليّ أشقى الأوّلين عاقر ناقة صالح، وأشقى الأوّلين والآخرين قاتلك، وهو هذا وأشار إلى ابن ملجم قبحه الله تعالى ولعنه، وأوجب له خزيه ومقته وعذابه، وذلك نكالاً لما اجترأ عليه في قتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وذلك أن ابن ملجم قبحه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام، كانت من أجمل النساء وكانت ترى رأى الخوارج، وقد قتل عليّ رضي الله عنه قومها يوم النَّهروان. فلما رآها ابن ملجم عشقها فخطبها فقالت: لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأن تقتل عليّ بن أبي طالب. فحمله العشق على أن خسر الدنيا والآخرة، وتزوجها على ذلك. وكان من خبره في قتل عليّ رضي الله عنه ما نذكره إن شاء الله تعالى في التاريخ. وفي ذلك يقول الشاعر:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحةٍ كمهر قطام بيتَّاً غير مُعجم.
ثلاثة آلافٍ، وعبدٌ، وقينةٌ، وضربٌ عليٍّ بالحسام المصمِّم.
فلا مهر أغلى من عليٍّ وإن علا ولا فتك إلا فتك ابن ملجم!

ومنهم من حمله العشق على قتل أبيه. وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر،

ويعرف هذا بالطليق. كان يتعشق جارية كان أبوه قد ربَّاها معه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها. فحمله العشق على أن انتضى سيفاً ورصد أباه في بعض خلواته بها فقتله. فسجنه المنصور بن ابي عامر سنين، ثم أطلقه. فلُقِّب بالطَّليق واعتراه من ذلك شبه الجنون فكان يُصرع في بعض الأوقات.
وأما من قُتل بسبب العشق، فروي عن الشعبيّ قال: دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا عمرو، أخبرني عن أشجع من لقيت، فقال: نعم يا أمير المؤمنين.
خرجت مرة أريد الغارة. فبينما أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز، وإذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً، وهو محتب بسيف. فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك، فقال: ومن أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، فشهق شهقة فمات. فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين.
وخرجت يوماً حتى انتهيت إلى حيّ. فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجةً. فقلت: خذ حذرك فإني قاتلك، قال: من أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، قال: أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك، وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره. فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس. فقلت له: ما هذا؟ فقال: ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم، فتركته ومضيت. فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت!
ثم إني خرجت يوماً آخر حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه. فلم أر أحداً فأجريت فرسي يميناً وشمالاً فظهر لي فارس. فلما دنا مني إذا هو غلام قد أقبل من نحو اليمامة. فلما قرب مني سلَّم فرددت عليه وقلت: من الفتى؟ قال: أنا الحارث بن سعد، فارس الشهباء، فقلت له: خذ حذرك، فإني قاتلك. فقال: الويل لك! من أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، قال: الحقير الذليل؟ والله ما يمنعني من قتلك إلا استصغارك، فتصاغرت نفسي إليّ وعظُم عندي ما استقبلني. فقلت له: خذ حذرك، فو الله لا ينصرف إلا أحدنا، قال: أغرب، ثكلتك أمُّك! فإني من أهل بيت ما نكلنا عن فارس قط! فقلت: هو الذي تسمع، قال: اختر لنفسك، إما أن تطرد لي، وإما أن أطرد لك، فاغتنمتها منه، فقلت: أطرد لي، فأطرد وحملت عليه، حتى إذا قلت إني وضعت الرمح بين كتفيه، إذ هو قد صار حزاماً لفرسه، ثم اتبعني فقرع بالقناة رأسي، وقال: يا عمرو، خذها إليك واحدة، فوالله لولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك، فتصاغرت إليّ نفسي، وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحبَّ إليّ مما رأيت، فقلت: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اختر لنفسك، فقلت: أطرد لي، فأطرد لي. فظننت أني قد تمكنت منه واتبعته حتى إذا ظننت أني قد

وضعت الرمح بين كتفيه، فإذا هو قد صار لبياً لفرسه، ثم اتبعني فقرع رأسي بالقناة وقال: يا عمرو، خذها إليك اثنتين، فتصاغرت إليّ نفسي فقلت: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اختر لنفسك، فقلت: أطرد لي، فأطرد حتى إذا قلت إني وضعت الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه فإذا هو على الأرض، فأخطأته ومضيت، فاستوى على فرسه واتبعني فقرع بالقناة رأسي وقال: يا عمرو، خذها إليك ثالثة، ولولا أني قتل مثلك لقتلتك، فقلت له: اقتلني، فإن الموت أحب إليّ مما أرى بنفسي وأن تسمع فتيان العرب بهذا، فقال: يا عمرو إنما العفو ثلاث، وإني إن استمكنت منك الرابعة قتلتك، وأنشأ يقول:

وكدَّت أغلاظاً من الأيمانِ إن عدت يا عمرو إلى الطِّعان،
لتوجرنَّ لهب السِّنان أولا، فلست من بني شيبان!

فلما قال هكذا، كرهت الموت، وهبته هيبة شديدة، وقلت: إنّ لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قلت: أكون لك صاحباً، ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين، قال: لست من أصحابي، فكان ذلك والله أشدّ عليّ وأعظم مما صنع. فلم أزل أطلب إليه حتى قال: ويحك، وهل تدري أين أريد؟ قلت: لا، قال: أريد الموت عياناً، فقلت: رضيت بالموت معك، فقال: امضي بنا، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى جنَّا الليل وذهب شطره. فوردنا على حيٍّ من أحياء العرب، فقال لي: يا عمرو في هذا الحيِّ الموت، ثم أومأ إلى قبةٍ في الحيِّ فقال: وفي تلك القبة الموت الأحمر، فإما أن تمسك عليّ فرسي فأنزل فأتي بحاجتي، وإما أن أمسك عليك فرسك فتنزل فتأتيني بحاجتي، فقلت: لا، بل انزل أنت، فأنت أعرف بموضع حاجتك، فرمى إليّ بعنان الفرس ونزل، فرضيت لنفسي يا أمير المؤمنين أن أكون له ساساً.

ثم مضى حتى دخل العقبة فاستخرج منها جاريةً لم تر عيناي قط مثلها حسناً وجمالاً، فحملها على ناقة، ثم قال: يا عمرو، قلت: لبيك، قال: إما أن تحميني وأقود أنا، وإما أن أحميك وتقود أنت، قلت: بل تحميني أنت، وأقود أنا، فرمى إليّ بزمام الناقة، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتى أصبحنا، فقال لي: يا عمرو، قلت: لبيك، ما تشاء؟ قال: التفت فانظر هل ترى أحداً؟ قال: فالتفت، فقلت: أرى جمالاً، قال: أغذّ السير، ثم قال لي: يا عمرو، قلت: لبيك، قال: انظر، فإن كان القوم قليلاً فالجلد والقوة والموت، وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء، قال: فالتفتُّ، فقلت: هم أربعة أو خمسة، قال: أغذَّ السير، ففعلت، وسمع وقع الخيل، فقال لي: يا عمرو، قلت: لبيك! قال: كن عن يمين الطريق، وقف وحوّل وجوه دوابنا إلى الطريق، ففعلت، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها. ودنا القوم منا، فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابان، فسلموا فرددنا السلام، ووقفوا عن يسار الطريق. فقال الشيخ: خلِّ عن الجارية يا ابن أخي، فقال: ما كنت لأخليها ولا

لهذا أخذتها، فقال لأصغر ابنيه: اخرج إليه، فخرج وهو يجرّ رمحه وحمل عليه الحارث وهو يقول:

من دون ما ترجوه خصب الذابل من فارسٍ مستلئم مقاتل،
ينمي إلى شيبان خير وائل ما كان سيرىً نحوها بباطل!

ثم شدَّ عليه فطعنه طعنةً دقَّ منها صلبه، فسقط ميتاً. فقال الشيخ لابنه الآخر: اخرج إليه يا بنيَّ، فلا خير في الحياة على الذل، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول:

لقد رأيت كيف كانت طعنتي! والطعن للقرن الشديد همَّتي.
والموت خيرٌ من فراق خلّتي فقتلتي اليوم ولا مذلَّتي!

ثم شدّ عليه فطعنه طعنةً سقط منها ميتاً. فقال له الشيخ: خلِّ عن الظعينة يا ابن أخي، فإني لست كمن رأيت، قال: ما كنت لأخلّيها ولا هذا قصدت، فقال له الشيخ: اختر يا ابن أخي، فإن شئت طاردتك، وإن شئت نازلتك، فاغتنمها الفتى ونزل. ونزل الشيخ وهو يقول:

ما أرتجي بعد فناء عُمري؟ سأجعل السِّنين مثل الشهرِ.
شيخٌ يحامي دون بيض الخدرِ إن استباح البيض قصم الظَّهر.

سوف ترى كيف يكون صبري فأقبل الحارث وهو يقول:

بعد ارتحالي وطويل سفري وقد ظفرت وشفيت صدري.
والموت خيرٌ من لباس الغدر، والعار أهديه لحيِّ بكر.

ثم دنا فقال له الشيخ: يا ابن أخي، إن شئت نازلتك، وإن بقيت فيك قوة ضربتني، وإن شئت فاضربني، فإن بقيت فيّ قوةٌ ضربتك، فاغتنمها الفتى فقال: وأنا أبدؤك، قال: هات، فرفع الحارث السيف، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضرب بطنه ضربة فقد معاه، ووقعت ضربة الحارث في رأسه. فسقطا ميتين. فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف، ثم أقبلت إلى الناقة فعقدت أعنة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها. فقالت الجارية: يا عمرو، إلى أين؟ ولست لي بصاحب، ولست كمن رأيت، ولو كنت صاحبي لسلكت سبيلهم! فقلت: اسكتي، قالت: فإن كنت صادقاً فأعطني سيفاً ورمحاً، فإن غلبتني فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك، فقلت لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفت أصلك وجُرأة قومك وشجاعتهم، فرمت بنفسها عن البعير وهي تقول:

أ بعدما شيخي وبعد اخوتي أطلب عيشاً بعدهم في لذَّةِ؟
هل لا تكون قبل ذا منيَّتي؟

وأهوت إلى الرُّمح فكادت تنتزعه من يدي. فلما رأيت ذلك خفت إن هي ظفرت بي أن تقتلني، فقتلتها. فهذا أشد ما رأيته يا أمير المؤمنين. فقال عمر بن الخطاب: صدقت يا عمرو.

وروى ابن الجوزيّ بسند إلى الليث بن سعد أنه قال: أُتي عمر رضي الله عنه بفتىً أمرد قد وجد قتيلاً مُلقى في الطريق. فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر، ولم يعرف

قاتله. فشقَّ ذلك عليه، وقال: اللهم ظفِّرني بقاتله. حتى إذا كان رأس الحول أو قريب من ذلك،وجد صبي مولود مُلقى بموضع القتيل فأُتي به عمر. فلما أُتي به وأُخبر بمكانه، قال: ظفرت تالله بدم القتيل إن شاء الله تعالى، فدفع الصبي إلى امرأة، وأمرها أن تقوم بشأنه وأعطاها نفقة. وقال: انظري من يأخذه منك، فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها. فلما شبّ الصبي جاءت جاريةٌ فقالت للمرأة إن سيدتي بعثتني إليك لتبعثي إليها بالصبيّ لتراه وتردّه إليك. قالت: نعم، اذهبي به إليها وأنا معك، فذهبت بالصبيّ والمرأة معها إلى سيدتها. فلما رأته أخذته فقبلته وضمَّته إلى صدرها. وإذا هي بنت شيخ من الأنصار، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبرت عمر خبرها. فاشتمل على سيفه، ثم أقبل على منزلها، فوجد أباها متكئاً على باب داره. فسلم عليه، وقلا له: أبا فلان، قال: لبيك، قال: ما فعلت ابنتك فلانة؟ قال: يا أمير المؤمنين، جزاها الله خيراً، هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها، مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبةً في الخير وأحثها على ذلك. فقال: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، لمكث مكانك حتى أعود إليك، فاستأذن بعمر، فلما دخل عمر، أمر من كان عندها بالخروج عنها، فخرجوا.
وبقيت هي وعمر ليس معهما ثالث. فكشف عمر عن السيف، وقال: لتصدقيني وإلا ضربت عنقك، وكان عمر لا يكذب، فقالت: على رسلك يا أمير المؤمنين، فو الله لأصدقنك. إن عجوزاً كانت تدخل عليّ فاتخذتها أمّاً، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فأمضت بذلك حيناً. ثم إنها قالت لي يوماً: يا بنية، إنه قد عرض لي سفر، ولي بنت في موضع أتخوّف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري، فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد، فهيأته كهيئة الجارية وأتتني به لا أشك أنه جارية. فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى أغفلني يوماً وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني. فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جنبي فقتلته. ثم أمرت به فألقي حيث رأيت. فاشتملت منه على هذا الصبي، فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه. فهذا والله خبرهما، فقال عمر: صدقت، بارك الله فيك، ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج، وقال لأبيها: بارك الله لك في ابنتك، فنعم الابنة هي! وقد وعظتها وأمرتها، فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين، وجزاك خيراً عن رعيتك.
وروى أيضاً بسنده إلى أبي عباد قال: أدركت الخادم الذي كان يقوم على رأس الحجاج، فقلت له: أخبرني بأعجب شيء رأيته من الحجاج! قال: كان ابن أخيه أميراً على واسط، وكان بواسط امرأة يقال لها أبَّة، لم يكن بواسط في ذلك الوقت أجمل منها. فأرسل ابن أخيه إليها يراودها عن نفسها مع خادم له. فأبت

عليه وقالت: إن أردتني فاخطبني إلى اخوتي، وكان لها أربعة اخوة فأبى، وقال: لا، إلا كذا. وعاودها فأبت، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها. وأرسل إليها عشية الجمعة: إني آتيك الليلة، فقالت لأمها: إن الأمير بعث إليّ بكذا وكذا. فأنكرت أمُّها ذلك، وقالت أمها لاخوتها إن أختكم قد زعمت كيت وكيت: فأنكروا ذلك وكذبوها. فقالت إنه قد وعدني أن يأتيني الليلة، لترونه. قال: فقعد اخوتها في بيت حيال البيت الذي هي فيه، وجويريةٌ لها على باب الدار تنتظره.
فجاء ونزل عن دابته وقال لغلامه: إذا أذن المؤذن في الغلس، فأتني بدابتي، ودخل والجارية أمامه. فوجد أبَّة على سرير مستلقيةً. فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها، وقال: إلى كم ذا المطل؟ فقالت له: كف يدك يا فاسق، ودخل اخوتها عليه بأيديهم السيوف فقطّعوه ثم لفوه في نطع وجاءوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها. وجاء الغلام بالدابة فجعل يدُقُّ الباب دقّاً رفيقاً فلا يكلمه أحد. فلما خشي الضوء وأن تعرف الدابة انصرف. وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة. فأتوا به الحجاج فأخذ أهل تلك السكة، فقال أخبروني: ما قصته؟ قالوا: لا نعلم حاله، غير أنا وجدناه ملقىً. ففطن الحجاج فقال: عليّ بمن كان يخدمه، فأتي بذلك الخصيّ الذي كان الرسول بينهما، فقالوا: هذا كان صاحب سره، فقال له الحجاج: اصدقني عن خبره وقصته، فأبى. فقال: إن صدقتني لم أضرب عنقك، وإن لم تصدقني فعلت بك وفعلت. قال: فأخبره الأمر على جهته. فأمر بالمرأة وأمها واخوتها، فجيء بهم، وعُزلت المرأة عنهم. فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصيّ، ثم سأل اخوتها، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا، وقالوا: نحن صنعنا به الذي ترى، فأمر برقيقه ودوابه للمرأة، فقالت المرأة هديته عندي، فقال: بارك الله لك فيها، وكثَّر في النساء مثلك، وهي لك، وما ترك من شيء فهو لك، وقال: مثل هذا لا يدفن.
فألقوه للكلاب، ودعا بالخصيّ فقال: أما أنت فقد قلت لك إني لا أضرب عنقك! وأمر بضرب وسطه، فقطع نصفين. والأخبار في مثل هذا كثيرة، فلا نطوّل بذكرها.
وأما من قتله العشق فكثير جداً لا يكاد يحصر، روى عن عكرمة قال: إني لمع ابن عباس عشية عرفة، إذ أقبل فتيةٌ يحملون فتىً من بني عُذرة في كساء، وهو ناحل البدن، أحلى من رأيت من الفتيان، فوضعوه بين يديه ثم قالوا: استشف لهذا يا ابن عمّ رسول الله، فقال: وما به؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفيّ الأنين، وهو يقول:

بنا من جوى الأحزان والحبِّ لوعةٌ تكاد لها نفس الشفيق تذوب!
ولكنّما أبقى حشاشة معولٍ على ما به عودٌ هناك صليب!
وما عجبٌ موت المحبين في الهوى؛ ولكن بقاء العاشقين عجيب!

قال: ثم حمل فمات في أيديهم، فقال ابن عباس: هذا قتيل الحبّ، لا عقلٌ ولا قود. قال عكرمة: فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلة- حتى أمسى- إلا العافية مما ابتلى به ذلك الفتى.

وروى عن الأصمعيّ قال: حدثني أبو عمرو بن العلاء قال: حدثني رجل من بني تميم قال: خرجت في طلب ضالة لي. فبينا أنا أدور في أرض بني عُذرة أنشد ضالتي، إذا بيت معتزل عن البيوت، وإذا في كسر البيت شابٌ مغمى عليه، فلو نزلت إليه فوعظته! قال: فنزلت إليه فلم أدع شيئاً من الموعظة إلا وعظته به حتى أن قلت له فيما قلت: إنهنّ الغواني صاحبات يوسف، ناقضات العهد، وقد قال فيهن كثير عزَّة:

هل وصل عزَّة إلا وصل غانية في وصل غانيةٍ من وصلها خلفُ؟

قال: فرفع رأسه، محمرةً عيناه كالمغضب، قال: لست ككثير عزة! إنّ كثيراً رجل مائقٌ، وأنا رجل واموقٌ! ولكنني كأخي تميم حيث يقول:

ألا لا يضير الحبُّ ما كان ظاهراً، ولكنَّ ما اختاف الفؤاد يضيرُ!
ألا قاتل الله الهوى كيف قادني كما قيد مغلول اليدين أسيرُ!

فقلت له: فإنه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أُصيب منكم بمصيبةٍ فليذكر مصابه بي. فأنشأ يقول:

ألا ما للمليحة لا تعودُ؟ أ بخلٌ بالمليحة أم صدودُ؟
مرضت فعادني أهلي جميعاً فما لك لا نرى فيمن يعودُ!
فقدتك بينهم فبكيت شوقاً، وفقد الإلف يا أملي شديدُ!
وما استبطأت غيرك فاعلميه وحولي من ذوي رحمي عديدُ!
ولو كنت السقيمة، كنت أسعى إليك ولم ينهنهني الوعيدُ!

قال: ثم شهق شهقةً وخفت، فمات. فبكت العجوز وقالت: فاضت والله نفسه! فدخلني أمر لم يدخلني مثله قط. فلما رأت العجوز ما حلَّ بي، قالت: يا فتى لا ترعْ! عاش بأجلٍ، ومات بقدر، وقدم على ربٍّ كريم، واستراح من تباريحه وغصصه! ثم قالت: هل لك في استكمال الصنيعة؟ قلت: قولي ما أحببت! قالت: تأتي البيوت فتنعاه إليهم ليعاونوني على رمسه، فإني وحيدة. قال: فركبت فرسي وقصدت البيوت وأقبلت أنعاه إليهم. فبينما أنا أنعاه، إذا خيمةٌ رُفع جانبٌ منها، وإذا امرأة قد خرجت كأنها القمر ليلة البدر. ناشرة شعرها، تجرُّ خمارها، وهي تقول: بفيك الكثكث! بفيك الحجر! من تنعي؟ قلت: أنعي فلاناً! قالت: أو قد مات؟ قلت: إي والله قد مات! قالت: فهل سمعت له قولاً، قلت: اللهم لا، إلا شعراً، قالت: وما هو؟ فأنشدتها قوله:

ألا ما للمليحة لا تعود الأبيات فاستعبرت باكية وأنشات تقول:

عداني أن أزورك يا مناي معاشر كُلّهم واشٍ حسودُ!

أشاعوا ما علمت من الدواهي وعابونا، وما فيهم رشيدُ!
فأما إذ ثويت اليوم لحداً فكلُّ الناس دورهم لحودُ.
فلا طابت لي الدُّنيا فواقاً ولا لهم ولا أثري عديدُ!

ثم شهقت شهقةً وخرَّت مغشياً عليها، وخرج النساء من البيوت واضطربت ساعة وماتت. فو الله ما برحت حتَّى دفنتهما جميعاً.

وروى الساجي عن الأصمعي قال: رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه، وضؤل جسمه، ورق جلده. فتعجبت ودنوت منه أسأله عن حاله. فقالوا: اذكر له شيئاً من الشعر يكلمك، فقلت:

سبق الفضاء بأنَّني لك عاشقٌ حتى الممات، فأين منك مذاهبي؟

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته، ثم أنشأ يقول:

أخلو بذكرك لا أريد محدّثاً، وكفى بذكرك سامراً وسرورا!

قال: فقلت له: أخبرني عنك! قال: إن كنت تريد علم ذلك فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة! ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه:

ألا ما للمليحة لا تعودُ أ بخلٌ بالمليحة أم صدودُ؟
فلو كنت المريضة كنت أسعى إليك ولم ينهنهني الوعيدُ!

فإذا جارية مثل القمر، قد خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا. وطال ذلك، فسترتهما بثوبي خشية أن يراهما الناس. فلما خفت عليهما الفضيحة، فرَّقت بينهما، فإذا هما ميتان. فما برحت حتى صليت عليهما ودفنا. فسألت عنهما، فقيل لي: عامر بن غالب، وجميلة بنت أميل المزنيَّان.

وروى ابن الجوزيّ بسند يرفعه إلى محمد بن خلف قال: ذكر بعض الرواة عن العمريّ قال: كان أبو عبد الله الجيشاني يعشق صفراء العلاقمية. وكانت سوداء، فاشتكى من حبها، وضنى حتى صار إلى حدِّ الموت. فقال بعض أهله لمولاها: لو وجهت صفراء إلى أبي عبد الله الجيشاني، فلعله أن يعقل إذا رآها! ففعل. فلما دخلت عليه قالت له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم تبرحي! قالت: ما تشتهي؟ قال: قربك! قالت: ما تشتكي؟ قال: حبَّك! قالت: فتوصي بشيء؟ قال: نعم، أوصي بك إن قبلوا مني! فقالت: إني أريد الانصراف! قال: فتعجلي ثواب الصلاة عليّ! فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء. ومات من ساعته.

وروي أيضاً بسند يرفعه إلى عوانة بن الحكم أن عبد الله بن جعفر وفد إلى عبد الملك بن مروان فحدّثه، قال: اشتريت جاريةً بعشرة آلاف درهم، فوصفت ليزيد بن معاوية فأرسل إليّ يقول: إما أن تهديها إليّ، وإما أن تبيعها بحكمك، فكتبت إليه: لا تخرج والله من ملكي ببيع ولا هبة أبداً. ومكثت عندي لا أزداد لها إلا حباً. حتى أتتني عجوز من عجائزنا، فذكرت أن بعض عُزاب المدينة يهواها، وأنه يجيء في كل يوم متنكراً فيقف بالباب حتى يسمع غناءها. فراعيت مجيئه ليلة، فإذا به قد أقبل متقنع الرأس حتى قعد مستخفياً فدعوت قيِّمة الجارية، فقلت:

انطلقي الساعة فأصلحي هذه الجارية بأحسن ما امكن، وعجلي بها، ففعلت. فقمت وقبضت على يدها وفتحت الباب وأتيت إلى الرجل فحركته فانتبه مذعوراً. فقلت: لا بأس عليك، خذ هذه الجارية، هي لك، فإذا هممت ببيعها فارددها إليّ، فدهش الفتى. فدنوت إلى أذنه فقلت: ويحك، قد أظفرك الله عز وجل ببغيتك، فانصرف إلى منزلك، فإذا الفتى ميت، فلم أر شيئاً قط أعجب من ذلك، وهانت عليّ الجارية، فكرهت أن أوجّه بها إلى يزيد فيعلم حالها أو تخبره عن نفسها فيحقد ذلك عليّ. فمكثت مدّة مديدة ثم ماتت. ولا أظنها ماتت إلا كمداً وأسفاً على الفتى.
وروى ابن الجوزي أيضاً بسنده قال: حُكي عن شبابة بن الوليد العذري أن فتىً من بني عُذرة يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقاً لابنة عمّ له عشقاً شديداً. فكان على ذلك مدّةً، ثم إنه فقد بضع عشرة سنةً، لا يُحسُّ له خبر. قال شبابة: فأضللت إبلاً لي. فخرجت في طلبها. فبينما أنا أسير في الرمال إذا بهاتف يهتف بصوت ضعيف:

يا ابن الوليد، ألا تحمون جاركم وتحفظون له حقَّ القراباتِ؟
عهدي إذا جار قوم نابه حدثٌ، وقوه من كلِّ مكروه الملمَّاتِ؟
هذا أبو مالك المسمى ببلقعةٍ من الضِّباع وآساد بغاباتِ!
طليح سوقٍ، بنار الحبِّ محترقٌ، تعتاده زفراتٌ إثر لوعاتِ!
أما النهار فيمضيه تذكّره، والليل مرتقبٌ للصبح هل يأتي.
بهذي بجاريةٍ من عذرة اختلست فؤاده، فهو منها في بليَّاتِ!

فقلت: دُلني عليه، رحمك الله! قال: نعم، اقصد الصوت، فقصدته، فسمعت أنيناً من خباء فإذا قائل يقول:

يا رسيس الهوى، أذبت فؤادي وحشوت الحشا عذاباً أليماً!

فدنوت منه فقلت: أبو مالك؟ قال: نعم! قلت: ما بلغ بك إلى ما أرى؟ قال: حُبي سعاد ابنة أبي الهندام العذريّ. شكوت يوماً ما أجد من حبها إلى ابن عمّ لنا فاحتملني إلى هذا الوادي، منذ بضع عشرة سنة، يأتيني كل يوم بخبرها ويقوتني من عنده. فقلت إني أصير إلى أهلها فأخبرهم ما رأيت. قال: أنت وذاك، قال: فانصرفت فأخبرتهم، فرقّوا له فزوّجوه بحضرتي. فرجعت إليه لأفرّج عنه، فلما أخبرته الخبر، نظر إليّ، ثم تأوّه شديداً بلغ من قلبي، ثم قال:

ألآن إذ حشرجت نفسي وخامرها فراق دنيا وناداها مناديها!

ثم زفر زفرة فمات. فدفنته في موضعه ثم انصرفت فأخبرتهم الخبر. فأقامت الجارية بعده ثلاثاً لا تطعم، ثم ماتت.
وحكي عن المبرد قال: خرجت أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون. فلما قربنا من الرَّقَّة، إذا نحن بدير كبير، فقال لي بعض أصحابي: مل بنا إلى هذا الدير لننظر من فيه ونحمد الله تعالى على ما رزقنا من السلامة، فدخلنا إلى الدير، فرأينا مجانين مغلغلين، وهم في نهاية القذارة، فإذا فيهم شابٌ عليه بقية من ثيابٍ ناعمةٍ، فلما بصر بنا قال: من أنتم يا فتيان؟ حياكم الله! فقلنا: نحن من العراق. فقال: بأبي العراق وأهلها!

بالله أنشدوني أو أنشدكم! فقال المبرد: قلت: والله إن الشعر من هذا لظريف، فقلنا: أنشدنا، فأنشأ يقول:

الله يعلم أنَّني كمد لا أستطيع أبُثُّ ما أجدُ!
روحان لي: روحٌ تضمنها بلدٌ وأخرى حازها بلدُ!
وأرى المقيمة ليس ينفعها صبر ولا يقوى لها جلدُ.
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي فكأنها تجد الذي أجدُ!

قال المبرد: بالله زدنا، فأنشأ يقول:

لما أناخوا قُبيل الصُّبح عيرهم ورحَّلوها فثارت بالهوى الإبلُ،
وقلَّبت من خلال السَّجف ناظرها ترنو إليّ ودمع العين منهمل،
وودَّعت ببنانٍ عقدها عتمٌ، ناديت: لا حملت رجلاك يا جملُ!
ويلي من البين! ماذا حلَّ بي وبها من نازل البين؟ حان البين فارتحلوا!
يا راحل العيس، عرج كي نودِّعها! يا راحل العيس، في ترحالك الأجلُ؟
إنِّي على العهد لم أنقض مودَّتهم، يا ليت شعري! بعد العهد ما فعلوا؟

قال: فقال رجل من البغضاء الذين معي: ماتوا! قال: قال إذن فأموت! فقال له: إن شئت! فتمطى واستند إلى السارية التي كان مشدوداً فيها فمات. فما برحنا حتى دفناه.

وحكي عن أبي يحيى التيمي، قال: كنا نختلف إلى أبي مسعر بن كدام، وكان يختلف معنا من النُّساك، يقال له أبو الحسن، ومعه فتىً حسن الوجه يفتتن به الناس إذا رأوه. فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته إياه. فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه. فذهل عقله حتى خيف عليه التلف. فلقيته فأخبرته بذلك، فتنفس الصعداء، ثم أنشأ يقول:

يا من بدائع حسنٍ صورته تثني إليه أعنَّة الحدقِ!
لي منك ما للناس كلِّهمِ: نظرٌ وتسليمٌ على الطُّرقِ.
لكنهم سعدوا بأمنهم وشقيت حين أراك بالفرقِ!

ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء وسقط إلى الأرض. فحركته فإذا هو ميت. وروى ابن الجوزيّ قال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطيّ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميديّ قال: حدّثني أبو محمد عليّ بن أحمد الفقيه الحافظ قال: حدّثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجيّ الأديب، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة، أيام الحداثة. وكان معنا أسلم بن سعيد قاضي قضاة الأندلس. قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون. وكان معنا عند ابن خطاب أحمد بن كليب. وكان من أهل الأدب والشعر فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستراً بذلك، إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة، وأنشدت في المحافل.

فلعهدي بعرس في بعض الشوارع والبكوري الزامر في وسط المحفل يزمر بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمني في هوا ه أسلم، هذا الرَّشا!
غزال له مقلةٌ يصيب بها من يشا!
وشى بيننا حاسدٌ سيسأل عمَّا وشى!
ولو شاء أن يرتشي على الوصل روحي، ارتشى!

ومغنٍّ محسن يسايره. فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه. فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم نهاره كله. فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً. فإذا صلى المغرب واختلط الظلام، خرج مستروحاً، وجلس على باب داره. فعيل صبر أحمد بن كليب. فتحيل في بعض الليالي ولبس جُبَّة من جباب أهل البادية، واعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وجاء كأنه قدم من بعض الضِّياع، فتقدّم إلى أسلم وقبل يده، وقد اختلط الظلام، وقال: يا مولاي، من يقبض هذا؟ فقال له أسلم: من أنت؟ فقال: أجيرك في الضَّيعة الفلانية -وقد كان يعرف أسماء ضياعه. فأمر أسلم غلمانه بقبض ذلك منه على عادتهم في قبول هدايا العاملين في ضياعهم. ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام فتأمله فعرفه، فقال له: يا أخي! وإلى ها هنا تتبعني؟ أما
كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملةً، وعن القعود على بابي نهاراً حتى قطعت عليّ جميع مالي في ه راحةٌ فصرت في سجنك؟ والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا جلست بعدها على بابي، لا ليلاً ولا نهاراً، ثم قام. وانصرف أحمد بن كليب حزيناً كئيباً. قال محمد: واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب: وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال: هات كلِّ ليل قُبلةً في يده، وأخسر أضعاف ذلك! فلما يئس من رؤيته البتة، نهكته العلة وأضجعه المرض. قال محمد بن الحسن: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعُدته فوجدته بأسوأ حال. فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرةٌ من أسلم! فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله جزاءك بذلك، وآجره. قال: فرحمته وتقطعت نفسي عليه، فنهضت إلى أسلم فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقَّاني بما يجب، فقلت: لي حاجةٌ، فقال: وما هي؟ قلت: قد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندي. فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برّح بي، وشهَّر اسمي وآذاني. فقلت له: كل ذلك يُغتفر في مثل هذه الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته. فقال لي: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا! فقلت: لا بدَّ من ذلك فليس عليك فيه شيء، وإنما هي عيادة مريض.قال: ولم أزل به حتى أجاب، فقلت له: فقم الآن، قال: لست والله أفعل، ولكن غداً، فقلت له: ولا خلف، قال: نعم. فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته

بوعده فسُرَّ بذلك وارتاحت نفسه. فلما كان من الغد بكرت إلى أسلم، وقلت له: الوعد، قال: فوجم، وقال: والله لقد تحملني على خُطَّة صعبة عليّ، وما أدري كيف أطيق ذلك؟ فقلت له: لا بدّ أن تفي بوعدك لي، قال: فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً، فلما أتينا منزل أحمد، وكان يسكن في درب طويل. فعند ما توسَّط الزقاق وقف واحمرّ وخجل، وقال: يا سيدي، الساعة والله أموت! وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسي! فقلت: لا تفعل بعد أن
بلغت المنزل، قال: لا سبيل والله إلى ذلك البتَّة! ورجع هارباً فاتَّبعته وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء وبقيت قطعة منه في يدي لشدّة إمساكي له. ومضى ولم أدركه. فرجعت ودخلت على أحمد، وكان غلامه قد دخل عليه لما رآنا من أوّل الزقاق مبشِّراً. فلما رآني تغير وجهه وقال: أين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الاسترجاع. فاستبشعت الحال وجعلت أتوجَّع وقمت، فثاب إليه ذهنه، وقال لي: يا أبا عبد الله، قلت: نعم، قال: اسمع مني، واحفظ عني، وأنشأ يقول:

أسلم، يا راحة العليل رفقاً على الهائم النَّحيل!
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليلِ!

قال: فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ قال: قد كان، فخرجت عنه فو الله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا.
وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس. وأسلم هذا من بني خالد وكانت فيهم وزارة وحجابة. وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول الشرح بذكرها. وأما من قتل نفسه بسبب العشق، فحكي عن عبد الرحمن بن إسحاق القاضي قال: انحدرت من سُرَّ من رأى مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق، ودجلة تزخر من كثرة مائها. فلما سرنا ساعةً، قال: ارفقوا بنا، ثم دعا بطعامه فأكلنا، ثم قال: ما ترى في النبيذ؟ قلت
له: أعز الله الأمير، هذه دجلة قد جاءت بمدّ عظيم يرغب مثله، وبينك وبين منزلك مبيت ليلة، فلو شئت أخرته، قال: لا بدّ لي من الشراب، واندفعت مغنيةٌ فغنت، واندفعت أخرى فغنته:

يا رحمتاً للعاشقينا، ما إن لهم معينا!
كم يشتمون ويضربو ن ويهجرون، فيصبرونا!

فقالت لها المغنية الأولى: فيصنعون ماذا؟ قالت: يصنعون هكذا، ورفعت الستارة وقذفت بنفسها في دجلة. وكان بين يدي محمد غلام ذكر أن شراءه ألف دينار، بيده مذبَّة، لم أر أحسن منه. فوضع المذبة من يده وقذف بنفسه في دجلة، وهو يقول:

أنت التي غرَّقتني بعد الفضا، لو تعلمينا!

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما، فصاح بهم محمد: دعوهما يغرقا إلى لعنة الله! قال: فرأيتهما وقد خرجا معتنقين ثم غرقا.
وحكي عن جميل بن معمر العذريّ أن قال: دخلت على عبد الملك بن مراون فقال لي: يا جميل حدّثني بعض أحاديث بني عذرة، فإنه بلغني أنهم أصحاب أدب وغزل، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، انتجعوا من حيِّهم مرة فوجدوا النُّجعة بموضع نازح فقطنوه. فخرجت أريدهم. فبينما أنا أسير، غلطت الطريق وجنَّ عليّ الليل، فلاح لي باب فقصدته. فوردت على راع في أصل جبل قد ألجأ غنمه إلى كهف في الجبل، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، وقال: أحسبك قد ضللت الطريق؟ قلت: قد كان ذلك، فأرشدني! قال: بل انزل حتى تريح ظهرك، وتبيت ليلتك،فإذا أصبحت وقفتك على القصد. فنزلت فرحب بي وأكرمني، وعمد إلى شاة فذبحها، وأجّج ناراً، وجعل يشوي ويلقي بين يديّ، ويحدّثني في خلال ذلك.
ثم قام إلى كساء فقطع به جانب الخباء ومهد لي جانباً، ونزل جانباً خالياً. فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو إلى شخص. فأرقت ليلتي. فلما أصبحت، طلبت الإذن فأبى، وقال: الضيافة ثلاث! فأقمت عنده، وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب لي. فإذا هو من بني عذرة، من أشرافهم. فقلت: يا هذا، وما الذي أحلّك هذا الموضع؟ فأخبرني أنه كان يهوى ابنة عمّ له وتهواه، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها لقلة ذات يده، وأنه
زوجها رجلاً من بني كلاب فخرج بها عن الحيّ وأسكنها في موضعه ذلك، وأنه تنكر ورضي أن يكون راعياً لتأتيه ويراها.
وجعل يشكو إليّ صبابته بها وعشقه لها. فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق، وثب قائماً وأنشأ يقول:

ما بال ميَّة لا تأتي لعادتها! أهاجها طربٌ أم صدَّها شُغُلُ؟
لكنّ قلبي لا يلهيه غيرهم حتى الممات، ولا لي غيرهم أملُ!
لو تعلمين الّذي بي من فراقكم لما اعتللت ولا طابت لك العللُ!
روحي فداؤك! قد هيَّجت لي سقماً تكاد من حرِّه الأعضاء تنفصلُ!
لو أن عادتَّه منِّي على جبلٍ، لزال وانهدّ من أركانه الجبلُ!

ثم قال: يا أخا بني عذرة، مكانك حتى أعود إليك! فما أتوهم أن أمر ابنة عمِّي صحيح! ثم مضى. فما لبث أن أقبل وعلى يده شيء محمول، وقد علا شهيقه ونحيبه، فقال: يا أخا بني عذرة، هذه ابنة عمي، أرادت أن تأتيني فاعترضها الأسد فأكلها! ثم وضعها عن يده، وقال: على رسلك حتى أعود إليك، ومضى فأبطأ حتى يئست من
رجوعه. ثم أقبل ورأس الأسد على يده، فألقاها وجعل ينكت على أسنان الأسد ويقول:

ألا أيُّها الليث المخيل بنفسه! هلكت! لقد حرَّت يداك لنا حُرتا!
وغادرتني فرداً وقد كنت آلفاً وصيَّرت بطن الأرض ثم لنا سجنا!
أقول لدهرٍ خانني بفراقه: معاذ إلهي أن أكون له خدنا!
ثم قال: يا أخا بني عذرة، إنك ستراني بين يديك ميتاً! فإذا متُّ فاعمد إليّ وابنة عمِّي، فأدرجنا في كفن واحد، واحفر لنا جدثاً واحداً، وادفنا فيه، واكتب على قبري هذين البيتين:
كنا على ظهرها، والعيش في مهلٍ! والشمل يجمعنا والدار والوطَن
ففرق الدهر والتصريف ألفتنا فصار يجمعنا في بطنها الكفن.
وردَّ الغنم إلى صاحبها وأعلمه بقصتنا، ثم عمد إلى خناق فطرحه في عنقه، فناشدته الله تعالى أن لا يفعل، فأبى وجعل يخنق نفسه حتى سقط ميتاً. فكفنتهما ودفنتهما في قبر واحد، وكتبت البيتين على قبرهما، ورددت الغنم إلى صاحبها، وأعلمته بقصتهما فحزن حزناً شديداً أشفقت منه على نفسه.

التحذير من فتنة النساء
وذم الزنا، والنظر إلى المردان، والتحذير من اللِّواط، وعقوبة اللِّائط
أما ما ورد من التحذير من فتنة النساء، فقد روي عن أبي أمامة بن يزيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما تركت في الناس بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النِّساء.
وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنَّ الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإن الله عز وجل مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدّنيا واتَّقوا النساء؛ فإن أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النِّساء. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي النساء والخمرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لم يكن كُفر من مضى إلا من قبل النساء، وهو
كائن، كفر من بقي من قبل النساء. وعن حسان بن عطية، قال: ما أتيت أمَّةٌ قطّ إلا من قبل نسائهم. وعن سعيد بن المسيب، قال: ما يئس الشيطان من ابن آدم قطّ، إلا أتاه من قبل النساء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال إبليس لربه عز وجل: يا ربِّ قد أهبط آدم، وقد علمت أن سيكون لهم كتابٌ ورسل، فما كتابهم ورسلهم؟ قال الله عز وجل: رسلهم الملائكة والنَّبيُّون منهم، وكتبهم التوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان، قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم، وقرآنك الشِّعر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، وشرابك من كل مسكر، وصدقك الكذب،

وبيتك الحمام، ومصايدك النساء، ومؤذنك المزمار، ومسجدك الأسواق.
ومن فتنة النساء، ما روي عن وهب بن منبِّة أن عابداً كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه. وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أختٌ، وكانت بكراً. فخرج البعث عليهم فلم يدروا عند من يخلّفون أختهم، ولا من يأمنون عليها. فأجمعوا رأيهم على أن يخلّفوها عند العابد. فأتوه وسالوه أن يخلّفوها عنده، فأبى ذلك. فلم يزالوا به حتى قال: أنزلوها في بيتٍ جوار صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها. فمكثت في جوار العابد زماناً ينزل إليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان. فلم يزل يرغِّبه في الخير ويعظم عنده خروج الجارية من بيتها نهاراً، ويخوفه أن يراها أحدٌ فيعلقها. فلم يزل به حتى مشي بطعامها ووضعه عند باب بيتها، ولا يكلِّمها، فلبث بذلك زماناً. ثم جاءه إبليس فرغَّبه في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها، كان أعظم لأجرك. فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها. فلبث بذلك زماناً. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضَّه عليه، وقال له: لو كنت تكلمها وتحدّثها، فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشةً شديدة، فلم يزل به حتى حدّثها زماناً، يطلع إليها من فوق صومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال له: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدّثها، وتقعد على باب بيتها فتحدّثك، كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدّثها، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على بابها. فلبثا زماناً يتحدثان. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير، فقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريباً من بيتها فحدّثتها، كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل. فلبثا بذلك زماناً. ثم جاءه إبليس فقال: لو دنوت من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحدٍ، كان أحسن، فلم يزل به حتى دخل
البيت فجعل يحدثها نهاره كله. فإذا أمسى صعد في صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد بيده على فخذها وقبلَّها. ثم لم يزل يحسنها في عينه ويُسوّل له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت غلاماً. فجاء إبليس، فقال له: أ رأيت إن جاء اخوتها، وقد ولدت منك كيف تصنع؟ فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها، فقتله. ثم جاءه، فقال: أتراها تكتم ما صنعت بها؟ خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها وألقاها في الحفرة. فمكث ما شاء الله حتى قفل إخوتها من الغزو. فجاءوه فسألوه عن أختهم فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها، وقال: كانت خيرامرأة، وهذا قبرها. فأتى اخوتها القبر فبكوها وترحما عليها، وأقاموا

على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم. قال: فلما جنَّهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في النوم فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم. فأخبره بقول العابد وبموتها. فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم. إنه أحبلها وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فرقاً منكم، وألقاها في الحفرة خلف باب البيت. وأتى الأوسط في منامه، فقال له مثل ذلك؛ ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك. فلما استيقظ القوم، استيقظوا متعجبين لما رآه كلّ واحدٍ منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول: لقد رأيت عجباً! وأخبر بعضهم بعضاً بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حلمٌ، ليس هذا بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا، فقال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان فأنظر فيه، فانطلقوا فبحثوا الموضع، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين. فسألوا عنها العابد، فصدّق قول إبليس فيما صنع بهما. فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدَّموه ليصلبوه. فلما أوثقوه على الخشبة، أتاه الشيطان، فقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها، فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك، خلصتك مما أنت فيه، فكفر العابد بالله. فلما كفر، خلّى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه. قال وهب: ففيه نزلت هذه الآية: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنِّي بريءٌ منك إنِّي أخاف الله ربَّ العالمين فكان عاقبتهما أنَّهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين".

نسأل الله العافية من فتنتهن، ونعوذ به من الشيطان الرجيم.

وأما ما جاء في ذم الزنا، فكفى به ذمّاً قوله تعالى: "ولا تقربوا الزِّنا إنَّه كان فاحشةً وساء سبيلاً". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن". وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أمة محمدٍ، ما أحدٌ أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اشتدَّ غضب الله تعالى على الزُّناة". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء. فإذا زنى العبد، نزع منه سربال الإيمان. فإذا تاب رُدّ عليه". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من ذنبٍ بعد الشِّرك أعظم عند الله من نُطفةٍ وضعها رجلٌ في رحمٍ لا يحلُّ له".

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إيَّاكم والزِّنا، فإنَّ في الزِّنا ست خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة: فأما اللواتي في الدنيا فذهاب نور الوجه، وانقطاع الرزق، وسرعة الفناء، وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار إلا أن يشاء الله تعالى".

وعن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نداً!، وهو خلقك!". قلت: ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك". قلت: ثم أي؟ قال: "أن تزني بحليلة جارك".
والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.
وأما ما جاء في النهي عن النظر إلى المردان ومجالستهم. روي عن أبي الساهب أنه قال: لأنا القارئ من الغلام الأمرد أخوف مني عليه من سبعين عذراء. وفي لفظ عنه: لأنا أخوف على عابد من غلام أمرد من سبعين عذراء. وعن سعيد بن المسيب أنه قال: إذا رأيتم الرجل يلحُّ النظر إلى غلام أمرد، فاتَّهموه. وكان سفيان الثوريّ رضي الله عنه لا يدع أمرد يجالسه. وعن يعقوب بن سوال قال: كنا عند أبي نصر بشر بن الحارث. فوقفت عليه جاريةٌ ما رأينا أحسن منها، فقالت: يا شيخ: أين مكان باب حرب؟ فقال لها: هذا الباب الذي يقال له باب حرب. ثم جاء بعدها غلام فسأله، فقال له: يا شيخ: أين مكان باب حرب؟ فأطرق بشرٌ. فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه. فقلنا للغلام: أي شيءٍ تريد؟ فقال: باب حرب. فقلنا: بين يديك. فلما غاب. قلنا: يا أبا نصر. جاءتك جاريةٌ فأحببتها وكلمتها، وجاءك غلام فلم تكلمه؟ فقال: نعم، يروى عن سفيان النووي أنه قال: مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطان، فخشيت على نفسي من شياطينه.
وعن أبي سعيد الخراز. قال: أ رأيت إبليس في النار. وهو يمرّ عني ناحية. فقلت: تعال، فقال: أي شيءٍ أعمل بكم؟ أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس، قلت: ما هو؟ قال: الدنيا، فلما ولى. التفت إليّ فقال: غير أن لي فيكم لطيفةٌ، قلت: ما هي؟ قال: صحبة الأحداث.
وعن مظفر القرمسينيّ، قال: من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة، أداه ذلك إلى البلاء، فكيف من صحبهم على غير وجه السلامة؟. وقد ذكر أبو الفرج في كتابه المترجم بذم الهوى من افتتن بالأحداث، وصرح بأسمائهم. فلم نؤثر التعرض لذلك، لما فيه من التشنيع عليهم والإذاعة لمساويهم.
وأما ما جاء في التحذير من اللواط وما ورد في سحاق النساء، روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ملعونٌ ملعونٌ من عمل بعمل قوم لوطٍ". وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لعن الله من عمل عمل قوم لوط".
وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوطٍ". وفي لفظ آخر عنه صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط، ألا فلتترقَّب أمتي العذاب إذا كان الرجال بالرجال والنساء بالنساء".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأةً في دبرها". وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يعلُ فحلٌ فحلاً حتى كان قوم لوطٍ، فإذا علا الفحل الفحل، ارتجَّ أو اهتز عرش الرحمن عز وجل، فاطلعت الملائكة تعظيماً لفعلهما، فقالوا: يا ربِّ، ألا تأمر الأرض أن تغور بهما، وتأمر السماء أن تحصبهما، فيقول الله تعالى: إنِّي حليم لا يفوتني شيءٌ".
وعن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الرجل ليأتي الرجل فتضج الأرض من تحتهما، والسماء من فوقهما، والبيت والسقف، كلهم يقولون: أي ربِّ، ائذن لنا بنطبق بعضنا على بعض فنجعلهم نكالاً ومعتبراً، فيقول الله عز وجل: إنهم وسعهم حلمي ولن يفوتوني.
وكان سفيان الثوريّ رحمه الله يقول: لو أنَّ رجلاً عبث بغلام بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوة، لكان لواطاً. وروي عن مكحول عن واثلة بن الأسقع أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سحاق النساء زنِّى بينهن".
وأما ما ورد في عقوبة اللائط والملوط به في الدنيا والآخرة: أما عقوبة الدنيا، فقد جاء بها نصُّ القرآن في قصة قوم لوط، وشرح أفعالهم، وما عذبوا به في آي كثيرة. وجاء في الأحاديث النبوية، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، في عقوبة اللائط والملوط به ما يدل على التغليظ والتشديد. فمن ذلك ما روي عن عكرمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيمن عمل عمل قوم لوط: "يُقتل الفاعل والمفعول به"، وفي لفظ آخر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اقتلوا الفاعل والمفعول به"، في عمل قوم لوط.
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عمل بعمل قوم لوط فاقتلوه".
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فارجموا الأعلى والأسفل". وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه وجد رجلاً في بعض الأضاحي ينكح رجلاً كما تنكح المرأة. فجمع أبو بكر رضي الله عنه لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، فيهم عليّ بن أبي طالب، وقال: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلا أمّة واحدة. ففعل الله بهم ما قد علمتم. أرى أن نحرِّقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يُحرَّق بالنار. فأمر به أبو بكر رضي الله عنه أن يُحرَّق بالنار. وقد حرّقهم عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك.
وعن يزيد بن قيس أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رجم لوطيّاً. وعن سعيد بن زيد قال: سئل عبد الله بن عباس رضي

الله عنهما، ما حدُّ اللوطيّ؟ قال: ينظر أعلى بيت في القرية فيرمى منكَّساً ثم يُتبع بالحجارة.
وللتابعين ولأئمة العلماء في ذلك أقوال: فمنهم من رأى أن حدّه كحدّ الزنا، وفرّق بين المحصن وغير المحصن.
ومنهم من رأى أن حدّه القتل أحصنا، أم لم يُحصنا. روى سفيان عن جابر عن الشعبيّ أنه قال: اللّوطيّ يرجم، أحصن أو لم يُحصن. وعن ابن أبي نجيح عن عطاء قال: حدُّ اللوطيّ حدُّ الزاني؛ وإن أحصن رُجم، وإلا جلد. وبه قال الهيثم.
وعن قتادة عن الحسن أنه قال في الرجل يخالط الرجل: إن كان أحصن، جلد ورجم، وإن كان لم يُحصن، جلد ونُفي. وعن مالك بن أنس عن الزهري قال: يُرجم، أحصن أو لم يُحصن. وعن الطيالسيّ قال: حدّثنا إسحاق الكوسج، قال: قلت لأحمد بن حنبل: أيرجم اللوطي، أحصن أو لم يُحصن؟ قال: يرجم، أحصن أو لم يُحصن.
وقد روي عن أحمد بن حنبل أن حدّ اللوطيّ كحدّ الزاني، يختلف بالثّيوبة والبكارة. وهو قول محمد عن الشافعيّ. وقال الحكم: يُضرب اللوطيّ دون الحدّ. قال ابن الجوزيّ: وإلى هذا مال أبو حنيفة. وأما مذهب ابن حزم الظاهريّ فإنه لا يضرب في اللّواط فوق عشرة أسواط. وقال النخعيّ: لو كان أحد ينبغي أن يرجم مرتين، لكان ينبغي أن يرجم اللوطيّ مرتين. وحكى أبو الفرج بن الجوزيّ، قال: أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا عبد العزيز بن عليّ، قال: أخبرنا عليّ بن جعفر الصوفي، قال: سمعت الموازيني يقول: قال لي رجل من الحاج: مررت بدار قوم لوط، وأخذت حجراً مما رجموا به، فطرحته في مخلاة، ودخلت مصر. فنزلت في بعض الدور في الطبقة الوسطى. وكان في سُفل الدار حدثٌ، فأخرجت الحجر من خرجي، ووضعته في روزنة في البيت. فدعا الحدث الذي كان في البيت صبياً إلى عنده واجتمع معه، فسقط الحجر على الحدث من الروزنة، فقتله.
وقال أيضاً: أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكيّ، قال: أخبرني جدّي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: خرجت حاجاً إلى مكة. فلما كانت ليلة عرفات، رأى الإمام الذي حجَّ بنا تلك الليلة مناماً. فلما صرنا إلى مكة بعد انقضاء الحج، سمعنا منادياً ينادي فوق الحجر: أنصتوا يا معشر الحجيج، فأنصت الخلق، فقال: يا معشر الحجيج، إن إمامكم رأى أن الله عز وجل قد غفر لكل من وافى البيت العام إلا رجلاً واحداً فإنه فسق بغلام.
وأما عقوبته في الآخرة، فقد روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، قالا: خطبنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال في خطبته: "من نكح امرأةً في دبرها أو غلاماً أو رجلاً، حشر يوم القيامة أنتن من الجيفة، يتأذّى به الناس حتى يُدخله الله نار جهنم. ويُحبط الله عمله، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلا. ويجعل في تابوتٍ من نار، ويُسمِّر عليه بمسامير من حديد من نار، فتشتبك تلك المسامير في وجهه وفي جسده". قال أبو هريرة: هذا لمن لم يتب.
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سبعةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين، يدخلون النار أوّل الداخلين إلا أن يتوبوا؛ فمن تاب، تاب الله تعالى عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، ومدمن خمرٍ، والضارب أبويه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره".
وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللّوطيَّان لو اغتسلا بماء البحر، لم يجزهما إلا أن يتوبا". وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات من أمَّتي يعمل عمل قوم لوط، نقله الله إليهم حتى يُحشر معهم".
قلت: وقد بلغني من كثير من الناس أن رجلين مشيا على جانب البركة المعروفة ببركة قوم لوط، وهي في غور الكرك على جانبها ضياعٌ، منها الصافية واللاخية وسويمة وغيرها، وتعرف هذه البركة أيضاً بالمنتنة، ويقال إنها إحدى المدائن التي خُسف بها من مدائن قوم لوط. فجعلا يتباسطان. فكان من جملة ما قالاه أو قاله أحدهما للآخر فلم ينكره: هذه بركة أصحابنا، فطلعت من البركة موجة اختطفتهما معاً، وألقتهما في البركة. فكان آخر العهد بهما.
وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد. لا ينكرها سامع منهم على قائل. ولا يبعد أن يُعاقب من تجاهر بمعاصي الله وانتسب لمن كفر بالله وعصاه وكذَّب رسوله أن يعاقبه الله بما عاقبهم به ويلحقه بهم. وفي بعض هذا عبرة لمن اعتبر.
ولنرجع إلى سياق ما جاء في ذلك من الأحاديث والأخبار.
روى أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من قبَّل غلاماً بشهوة، عذَّبه الله في النار ألف سنةٍ؛ ومن جامعه لم يجد رائحة الجنة، وريحها يوجد من مسيرةخمسمائة عام، إلا أن يتوب".
وعن خالد عن إسماعيل بن كثير عن مجاهد، قال: لو أن الذي يعمل ذلك يعني عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة في السماء وكلِّ قطرة في الأرض، لم يزل نجساً. وعن عباد بن الوليد العنبريّ قال: سمعت إبراهيم بن شمَّاس يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أنَّ لوطيّاً اغتسل بكل قطرة من السماء، لقي الله تعالى غير طاهر.

وعن طلحة بن زيد عن بُرد بن سنان عن أبي المنيب عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: يُحشر اللوطيون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير. وعن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال: من خرج من الدنيا على حالٍ، خرج من قبره على تلك الحال، حتى إن اللوطيّ يخرج يعلق ذكره على دبر صاحبه مفتضحين على رؤوس الخلائق يوم القيامة. هذا ما أمكن إيراده في هذا الفصل على سبيل الاختصار والإيجاز، وإلا فالأخبار في العشق وتوابعه وما يتولد عنه كثيرة جداً، وقفنا منها على كثير، ولا يحتمل ان يُورد في الكتب الشاملة لفنون مختلفة أكثر مما أوردناه. فلنذكر الآن نبذة مما قيل في الغزل والنسيب.

الغزل والنسيب

هذا الباب - أكرمك الله وعافاك، ووقاك من فتنته وكفاك - بابٌ متسع، قد أكثر الشعراء القول فيه، وتنوعوا في أساليبه ومعانيه؛ لو استقصيناه لطال به هذا التصنيف، وانبسط هذا التأليف؛ وكان بمفرده كتباً مبسوطة وأسفاراً كبيرة، فلخصنا منه دراً نفيسة وأعلاقاً خطيرة؛ واقتصرنا منه على مارقَّ معناه وراق، وحسن لفظه وشاق؛ وارتاحت إليه النفوس، وتحلت به الطروس؛ ولمحته النواظر، وانجذبت إليه الخواطر. وقد تنوع الشعراء في الغزل: فتغزلوا في المحبوب باسمه، وكنوا عنه واستعاروا له، ووصفوا أعضاءه وشبهوها بأشياء، فشبهوا العيون بالنرجس، وأفعالها بالخمر والسِّهام؛ وشبهوا الحواجب بالقسيّ، والجبين بالصَّباح، والشَّعور بالليالي، والسوالف بالغوالي والصوالج والعقارب؛ وشبهوا الوجه بالشمس والقمر؛ وشبهوا الخدود بالورد والتُّفاح؛ وشبهوا الثُّغور بالأقحوان، واللمى بالخمر، والريق بالشهد، والشفاه بالعقيق، والأسنان باللُّؤلؤ؛ وشبهوا النُّهود بالرُّمَّان، والقوام بالغصون، والأرداف بالكثبان. وغير ذلك. وقد تقدم إيراد ذلك كله مستوفىً في موضعه، وهو في الباب الذي قبل هذا الباب.
وتغزلوا أيضاً في أصناف الفواكه المأكولة والمشمومة؛ وتغزلوا في الرياض والأزهار. وسنورد إن شاء الله ذلك في موضعه، وهو في القسم الثاني والثالث والرابع من الفن الرابع من كتابنا هذا، في السفر العاشر من هذه النسخة.
فلنورد الآن ها هنا من باب الغزل والنسيب خلاف ما قدّمنا ذكره مما ذكرناه وما نذكره إن شاء الله تعالى.
والذي نورده في هذا الباب نبذة مما قيل في المذكر، والمؤنث، والمطلق، والمشترك، وطيف الخيال، والرد على العذول، ورجوع العذول، والوصال، والفراق، والبين، والتوديع، والصدّ، والهجران؛ وما قيل في الزيارة وتخفيفها، وموانعها، والمدامع والرضا من المحبوب باليسير، والنُّحول؛ وما قيل في المحبوب

إذا اعتل؛ وما قيل على لسان الورقاء، والمراجعات، والمردوف، والجناس، والموشحات.

مما قيل في المذكر

قال العماد الأصفهاني الكاتب:

وأحور يسبي بطرف يكلّ وتخجل منه الظُّبا والظِّباء.
بخدَّيه من حسنه والشباب تجمَّع ضدَّان: نارٌ وماءْ.
وفي مقلتيه وقد صحَّتا كما صحتا سقمٌ وانتشاءٌ
عففت وعفت الحيا في هوا ه حتى استوى صدُّه واللِّقاء.
وكلُّ حياءٍ يذود العف ف عن ودِّه، فعليه العفاء!

وقال آخر:

وكأنَّ بهجة وجهه في شعره قمرٌ بدا في ليلةٍ ليلاء.
وكأن عقرب صدغه في خده وقفت مخافة ناره والماء.
قمرٌ رجوت من الزمان وصاله يوماً، فأخلف بالصُّدود رجائي!

وقال عبد الجليل بن وهبون:

وافت به غفلة الرَّقيب والنجم قد مال للغروبِ،
نشوان قد هزَّت الحميَّا منه قضيباً على كثيبِ!
يعثر في ذيله فيحكي عثرة عينيه في القلوبِ!
والله لو نالت الثُّريا ما نال من بهجةٍ وطيبِ،
دنا إليها الهلال حتى قبَّل في كفها الخضيبِ!

وقال ابن حجاج:

ومُذلَّل! أما القضيب فقدُّه شكلاً وأمَّا ردفه فكثيبُ!
يمشي وقد فعل الصِّبا بقوامه فعل الصِّبا بالغصنِ، وهو رطيبُ.
متلوِّن يبدي ويخفي شخصه كالبدر يطلع تارةً ويغيبُ.
أرمي مقاتله فتخطئ أسهمي غرضي، ويرمي مهجتي فيصيبُ!
نفسي فداؤك! إنَّ نفسي لم تزل يحلو فداؤك عندها ويطيبُ!
مالي ومالك لا أراك تزورني إلا ودونك كاشحٌ ورقيبُ!

وقال أبو نواس:

شبيهُ بالقضيبِ وبالكثيبِ! غريب الحسن ذو دَلٍّ غريبِ!
بعيدٌ. إن نظرت إليه يوماً، رجعت وأنت ذو أجلٍ قريبِ!
ترى للصمت والحركات فيه سواماً لا يذاد عن القلوبِ.
ويمتحن القلوب بمقلتيه، فينكشف البريء من المريبِ!

وقال الوأواء الدمشقيّ:

بدرٌ تقنَّع بالظلا م على قضيب في كثيب!
تدعو محاسنه القلو ب إلى مشافهة الذنوب.
فعلت به ريح الصبا ما ليس تفعل بالقضيب.
عقلت ركائب حسنه بعقولنا عند المغيب.
وتلطَّمت وجناتنا بيد الدموع من النَّحيب!

وقال الأمير تاج الملوك ابن أيوب:

سلب الفؤاد فلا عدمت السالبا! ورنا، فكان اللحظ سهما صائبا!
قمرٌ مشارقه الجيوب، فلا ترى أبداً له إلا القلوب مغاربا!
ملك الفؤاد بمقلتين وحاجبٍ أمسى لحسن الصبر عنِّي حاجبا.
وحكى القضيب شمائلا عبثت به أيدي النسيم شمائلا وجنائبا!

وقال أيضاً:

يا أيها البدر الذي مطلعه طوق القبا!
يا جنة القلب الذي أضرم فيه لهبا!
فدَّيت هذا الوجه، ما أحسنه وأعجبا!
لم تر عيني قبله صبحاً تردَّى غيهبا!

وقال أبو نواس:

يا بدعةً في مثالٍ يجوز حدَّ الصفات!
فالوجه بدر تمامٍ بعين ظبي فلاة!
والقدّ قدُّ غلامٍ والغنج غنج فتاة!
مذكَّر حين يبدو، مؤنثُ الخلوات!
زها عليَّ بصدغٍ مزرفن الحلقات.
من فوق خدٍّ أسيلٍ يُضيء في الظَّلمات!

وقال كشاجم:

معتدلٌ من كلِّ أعطافه! مستحسن الإقبال والملتفت!
لو قيست الدُّنيا ولذَّاتها بساعةٍ من وصله، ما وفت!
سلِّطت الألحاظ منه على قلبي؛ فلو أودت به ما اشتفت!
واستعذبت روحي هواه فما تسلو ولا تصحو، ولو أتلفت!

وقال فضل الرَّقاشيّ:

وشاطرٍ فاتك الشَّمائل قد خالط منه المجون تخنيثا.
تراه طوراً مذكَّراً؛ فإذا عاقر راحاً، رأيت تأنيثا.
ألثغ إن قلت يا فديتك: قل موسى،يقل من رطوبة: موثا.
ما زال حتى الصباح معتنقي مطارحي في الدُّجى الأحاديثا.

وقال كشاجم:

بليت بوجدين وجدي بظبيٍ يصدّ، وما به إلا لجاحُ.
وعذَّبني قضيبٌ في كثيبٍ تساوى فيه لينٌ واندماحُ.
أغارٍ إذا دنت من فيه كأسٌ على دُرٍّ يقبِّله زجاجُ.

وقال أيضاً:

يا لقومي! من لمكتئبٍ دمعه في الخدِّ منسفحُ؟
لامه العذَّال في رشإٍ عذره من مثله يضحُ.
وادعوا نصحي! وأخون ما كان عُذالي إذا نصحوا!
خوّفوني من فضيحته، ليته وافى وأفتضح!
كيف يسلو القلب عن غصنٍ، علُّه من مائه المرح؟
ذهبيُّ الحسن تحسب من وجنتيه النار تقتدحُ!
وكأنَّ الشمس نيط لها قمرٌ، يُمناه والقدحُ.
صدّ أن مازحته غضباً! ما على الأحباب إن مزحوا؟

وهو لا يدري لنخوته أننا في النَّوم نصطلحُ!
ثم لا أنسى مقالته: أطفيليٌّ ومقترحُ؟

وقال تاج الملوك ابن أيوب:

فديت وجه الحبيب بدراً! والبدر يُفدى، وليس يفدي!
سبى فؤادي بليل شعرٍ وصبح وجهٍ وغصن قدِّ.
في فمه عنبرٌ مدافٌ في قهوةٍ خولطت بشهدِ.
كأنما خدُّه شقيقٌ، نُقِّط من خاله بندِّ.
ظبيٌّ من التُّرك ذو دلال يستحسن الجور والتعدّي.
كأنَّه غصن خيرزانٍ، إذا انثنى أو قضيب رندِ.
يحُلُّ في الحبِّ عقد صبري إن شدَّ في الخصر عقد بندِ!

وقال أبو نواس:

أيا من بحُبِّي عليّ اجترى؟ ومن بلساني عليّ افترى؟
ومن بيدي غلَّني للهوى، فأصبحت للحُبِّ مستأسرا؟
أما والذي جعل المستهام صديق السُّهاد عدوّ الكرى!
لقد ذهبت مهجتي باطلاً، لئن متُّ منك على ما أرى!

وقال آخر:

ومهفهفٍ طاوي الحشا خنث المعاطف والنظرْ!
ملأ القلوب بصورةٍ تليت محاسنها سورْ!
فإذا رنا وإذا شدا وإذا سقى وإذا سفر:
فضح الغزالة والحم امة والمدامة والقمر!

وقال آخر:

إذا أكثر الواشون فينا مقالهم وليس لهم عندي وعندك من ثارِ،
وشنُّوا على أسماعنا كُلَّ غارةٍ وقلَّت حماتي عند ذاك وأنصاري،
لقيناهم من مقلتيك وأدمى وأنفاسنا بالسَّيف والسيل والنارِ.

وقال آخر، من شعراء اليتيمة:

وأغنَّ أغيد حُبُّه مستأنس لي، وهو نافرْ!
إن قلت: زرني! قال: نمْ، فالطَّيف ليس يزور ساهرْ!
كيف السبيل إلى الرُّقا د كما رسمت، وأنت هاجرْ؟
ويقول لي فيما يقو ل: نعم! وما للقول آخرْ!
حتى أشاور! قلت: ل كنِّي هويت ولم أشاورْ!

وقال تاج الملوك:

يا قمراً أقبل يسعى على دعص من الأغصان مهزوزِ!
وصلك، واويلي! على طيبه أصبح ذا منع وتعزيزِ.
ما كان إلا بيضة الدِّيك لي أو مطرةً في شهر تموزِ.

وقال أبو نواس:

عذَّبني قلبي بمن قلبه للصَّبِّ مثل الحجر القاسي.
أحور فتانٍ قطوف الخطا أغيد مثل الغصن ميَّاسِ.
أبيت ليلي ونهاري معاً معلِّقاً منه بوسواسِ.
إنِّي وإن لم يكُ لي نائلٌ منه لأرجوه على ياسِ.

وقال سيف الدين المشدّ:

إلى قدِّك اللَّدن يُعزى الهيف! فما هبَّت الرِّيح إلا انعطفْ!
قوامٌ أراد قضيب النَّقا يحاكيه، لما انثنى، فانقصفْ!
فيا رامياً قد رماني هواه بنار الأسى في بحار الأسفْ!
سهام جفونك قلبي غدا لها غرضاً، وضلوعي هدفْ.
وأوردتني في الهوى مورداً تجرّعت فيه مرير التَّلفْ.
وأعرضت عنِّي، ولا ذنب لي! فكم ذا الدّلال! وكم ذا الصَّلفْ!
ومخطف خصرٍ على ردفه، فكلُّ فؤادٍ به مختطف!

وقال أبو القاسم العطار:

وبي غزالٌ، إذا صادفت غرَّته جنيت من وجنتيه روضةً أُنُفا!
كالبدر مكتملاً، كالظبي ملتفتاً، كالروض مبتسماً، كالغصن منعطفا!

وقال تاج الملوك:

يا قمراً في غصنٍ من بانةٍ، يميل عجباً في كثيبٍ من نقا!
أصبح قلب المستهام مغرباً له، وأطواق القباء مشرقا!
أغيد، لا يقصد إلا تلفي! ولم يزل قلبي به مُعلقا.
ذكَّرني حسن ابتسام ثغره ال واضح لمع البرق إذ تألّقا.
وطالما ذكَّرنيرضابه ال بارد صرف الراح إذ تعتقا.
أغنّ، ما فوّق سهم لحظه إلا أصاب القلب لما فوّقا.
حاجبه قوسٌ ولحظ عينه سهمٌ، فما يُخطي إذا ما رشقا.

وقال أبو نواس:

جال ماء الشباب في خدَّيكا، وتلالا البهاء في عارضيكا.
ورمى طرفك المكحَّل بالسَّح ر فؤادي فصار رهناً لديكا.
أنا مستهتر بحُبِّك صبٌّ لست أشكو هواك إلاَّ إليكا.
يا بديع الجمال والحسن والدَّل ، حياتي وميتتي في يديكا.
بأبي أنت! لو بليت بوجدي لم يهن ما لقيت منك عليكا!
أصبحت بالهوى سهام المنايا قاصداتٍ إليَّ من عينيكا!

وقال أيضاً:

يا من جداه قليل ومن بلاه طويلُ!
ومن دعاني إليه طرفٌ أحمُّ كحيلُ،
وواضح النبت يحكي مزاجه الزَّنجبيلُ،
ووجنة جائلٌ ما ؤها وخدٌّ أسيلُ.
وغصن بانٍ تثنى قدّاً، وردفٌ ثقيلُ،
ويجمع الحسن فيه وجهٌ وسيمٌ جميلُ!
فكلُّ ناحيةٍ من قلبي إليه تميلُ!

وقال الوأواء الدمشقي:

رماه ريمٌ فأصا ب القلب منه، إذ رمى.
واحتجَّ في قتلته بأنَّه ما علما.
يا معشر الناس! أما يُنصفني من ظلما؟
علَّم سقم طرفه جسمي منه سقما.
فسقم جسمي في الهوى من طرفه تعلّما.

لو قيل لي: ما تشتهي؟ مخيَّراً محكَّما.
لقلت أن ألثمه: نحراً ووجهاً وفما!

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور:

أحوى النواظر، ألعس الش فتين، عذب الرِّيق، ألمى!
لو زارني طيفٌ له عند الهجوع ولو ألمَّا،
لأفاد روحاً أو لفر ج من هموم النفس همَّا!

وقال آخر:

وأهيف، مهزوز القوام إذا انثنى وهبت لعذري فيه ذنب اللَّوائمِ.
بثغرٍ كما يبدو لك الصبح باسماً، وشعرٍ كما يبدو لك الليل فاحمِ.
مليح الرضا والسُّخط، تلقاه عاتباً بألفاظ مظلومٍ وألحاظ ظالمِ.
ومما شجاني أنَّني يوم بينهم شكوت الذي ألقى إلى غير راحمِ.
وحملت أثقال الجوى غير حاملٍ وأودعت أسرار الهوى غير كاتمِ.
وأبرح ما لاقيته أنَّ متلفي بما حلَّ بي في حبِّه، غير عالمِ.
ولو كنت مذ بانوا سهرت لساهرٍ لهان، ولكنِّي سهرت لنائمِ.

وقال أبو نواس:

يا ريم هات الدَّواة والقلما أكتب شوقي إلى الَّذي ظلما!
غضبان قد غرَّني رضاه ولو يُسئل ممَّا غضبت، ما علما.
فليس ينفك منه عاشقه في جمع عذرٍ لغير ما اجترما.
أظلُّ يقظان في تذكُّره حتى إذا نمتُ، كان لي حلما.
لو نظرت عينه إلى حجرٍ ولَّد فيه فتورها سقما!

وقال سيف الدين المشدّ:

وبي رشيق القوام لدنٌ لقدِّه يُنسب الرُّديني!
ما نظرته العيون إلا فدته من نظرةٍ وعينِ!
قابل بالكأس وجنتيه، فحُفَّ نجمٌ بنيِّرين.
وزيَّنت كفُّه الحُميَّا! ما أحسن النِّبر في اللُّجينِ!

وقال كشاجم:

بالله يا مُتفرِّداً في حسنه ومقلِّباً هاروت بين محاجره!
ومُحكِّماً أردافه في خصره، ومصافحاً خلخاله بضفائره!
لا تغضبنَّ على فتىً يرضى بما أوليته، ولو انتعلت بناظره.
ويتكلم الأسرار حتى إنه ليصونها عن أن تمرَّ بخاطره.

وقال أبو تمام الطائي:

لها، وأعارني ولهاً! وأبصر ذلَّتي فزها!
له وجهٌ يعزُّ به، ولي حرق أذلُّ بها!
دقيق محاسنٍ، وصلت محاسن وجنتيه بها.
ألاحظ حسن وجنته، فتجرحني وأجرحها.

وقال أيضاً:

نشرت فيك رسيساً كنت أطويه! وأظهرت لوعتي ما كنت أخفيه!
إن كان وجهك لي تترى محاسنه، فإنَّ فعلك لي تتري مساويه!
مُرتجةٌ في تهاديه أسافله، مهتزَّةٌ في تثنِّيه أعاليه!
تاهت على صور الأشياء صورته حتى إذا كملت، تاهت على التِّيهِ!

وقال المخزومي:

أيُّ مُحبٍّ فيك لم أحكه؟ وأيُّ ليلٍ فيك لم أبكهِ؟
إن كان لا يرضيك إلا دمي، فقد أذنَّا لك في سفكهِ!

وقال أبو نواس:

يا قابري بملاله ودامري بمطاله!
ويا مُبدِّل ليلي قصاره بطواله!
أعوذ منك بوجهٍ بدر الدُّجى في مثاله!
لكنه منه أحلى لحسن موضع خاله.
هلاَّ رحمت صريعاً تحت الرّدى وطلاله؟
من لا يرى منه فوق ال فراش غير خياله.
مثل الخلال نحيلاً يخفى على عذاله.
فمن بغى لك سوءاً، فكان في مثل حاله!

وقال محمد بن عبد الله السلاميّ، شاعر اليتيمة:

ومختصر الخصر، من بعده هربت فألقيت في صدِّه!
وقابلني وجهه مُقبلاً بحدِّ الحسام وإفرنده.
فما زلت أعصر من خمره وأقطف من مُجتنى ورده.
وأظمأ فأرشف من ريقه! فيا حرَّ صدري من برده!

وقال أبو هلال العسكريّ:

أقول لما لاح من خدره، والليل يرخي الفضل من سترهِ:
أبدره أحسن من وجهه، أم وجهه أحسن من بدره؟
قد مالت الرِّقة في شطرهِ، ومالت الغلظة في شطرهِ.
فأزره غصَّت بأردافه، ووشحه جالت على خصرهِ.
أصبحت لا أدري - وإن لم يكن في الأرض شيءٌ أنا لم أدرهِ-
أشعره أحسن من قدِّه؟ أم قدُّه أحسن من شعرهِ؟
ودُرُّه يؤخذ من لفظه، أم لفظه يؤخذ من دُرِّهِ؟
وثغره ينظم من عقده، أم عقده ينظم من ثغره؟
فمن عذير الصَّبِّ من صدِّه؟ ومن مُجير القلب من هجره؟
يا ليته يعرف حُبِّي له! عساه يجزيني على قدرهِ!

وقال تاج الملوك بن أيوب:

يا هلالاً لاح في غصنٍ، تشرق الدنيا بطلعتهِ!
وغزالاً طالما خضع الأسد الضاري لهيبتهِ!
ما رنا إلاَّ وجرد لي صارماً من لحظ مقلتهِ.
صل عليلاً، أنت أعلم من كلِّ مخلوقٍ بعلتهِ.
قد أطالت مُقلتاك بلا سببٍ تعذيب مهجتهِ.
كُلَّما لجَّت عواذله أجَّجت نيران لوعتهِ.

فائَّئد من طول عذلك لي، يا عذولي في محبتهِ!
من بنى الأتراك مُعتدل، قد تمادى في قطيعتهِ.
ليس يشفى القلب من ظمأٍ غير رشفي راح ريقتهِ!
لا، ولا يطفي لظي كبدي غير تقبيلي لوجنتهِ!
ليت أن الدهر مكَّنني بيدي من حلِّ تكَّتهِ!

وقال آخر:

ومهفهفٍ! عنِّي يميل ولم يمل يوماً إليّ، فقلت من ألم الجوى:
لم لا تميل إليّ، يا غصن النَّقا؟ فأجاب: كيف، وأنت من جهة الهوى؟

وقال ابن الطرابلسيّ:

من ركَّب البدر في صدر الرُّدينيِّ، وموّه السحر في حدِّ اليمانيِّ؟
وأنزل النَّيِّر الأعلى إلى فلكٍ مداره في القباء الخسروانيِّ؟
طرفٌ زنا أم قرابٌ سُلَّ صارمه؟ وأغيدٌ ماس أم أعطاف خطِّيِّ؟
وبرق غاديةٍ أم برق مبتسمٍ، يفترُّ من خلل الصُّدغ الدَّجوجيِّ؟
ويلاه، من فارسيِّ النَّحر مفترسٍ بفاترٍ أسديِّ الفتك ريميِّ!
يكنُّ ناظره ما في كنانته! فليس ينفكُّ من إقصاد مرميِّ!
أذلَّني بعد عزٍّ؛ والهوى أبداً يستعبد الليث للظبي الكناسيِّ.
ما مان مانيُّ، لولا ليل عارضه ما شدَّ خيل المنايا بالأمانيِّ.
تكنَّف الحسن منه وجه مشتملٍ نفار أحور في تأنيث حُوريِّ.
أما وذائب مسك من ذوائبه على أعالي القضيب الخيزرانيِّ؟
لو قيل للبدر: من في الأرض تحسده؟ إذا تجلَّى، لقال ابن الفلانيِّ!
أربى عليّ بشتَّى من محاسنه تألَّفت بين مسموعٍ ومرئيِّ.
إباء فارس مع لين الشَّآم مع الظ رف العراقيّ في النُّطقِ الحجازيِّ.
وما المدامة بالألباب ألعب من فصاحة البدو في ألفاظ تُركيِّ!
أشبهته ببعادي، ثم كان له مزية الخلق والأخلاق والزِّيِّ.
من أين لي لهبٌ يجري على ذهبٍ في صحنٍ ابيض صافي الماء فضِّيِّ؟
وروضةٌ لم تحكها كفُّ ساريةٍ ولا شكا خدُّها من لثم وسميِّ؟
يحُفُّها سوسنٌ غضٌّ يغازله بنرجس بنطاف السحر موليِّ.
من منقذي أو مجيري من هوى رشإٍ أفتى وأفتك من عمرو بن معديِّ؟
لا يعشق الدهر إلا ذكر معركةٍ أو خوض مهلكة أو ضرب هنديِّ.
ولا يُحدِّث إلا عن ربابته من المهار العوالي والمهاريِّ.
والصَّافنات ولبس الضافيات وشر ب الصافيات وإطراب الأغانيِّ،

أشهى إليه من الدَّوح الظَّليل على الر وح العليل وتغريد القماريِّ،
شدّ الجياد لأيام الجلاد وإر شاد الصِّعاد إلى طعن الأناسيِّ؟
وحثّ باز على نأيٍ وحمل قطا ميٍّ تكدَّر منه عيش كُدريِّ؟
في غلمةٍ كغصون البان يحملها كثبان بردٍ على غادات برديِّ؟
يمشون في الوشى أسراباً، فتحسبهم روض الرَّبيع على بيض الأداحيِّ.
والساحر الساخر الغرَّار بينهم كالشمس تكسف أنوار الدّراريِّ.
مهفهفُ القدِّ، سهل الخد، أغرب في ال جمال من لُثغةٍ في لفظ نجديِّ.
يلهيه عن كتبٍ تروى ونصرته لشافعيٍّ فقيهٍ أو حنيفيِّ.
عوج القسيّ وقُبُّ الأعوجيَّة والش هب الهماليج تربى في الأواريِّ.
والشعر في الشَّعر الداجي على الغنج الس اجي يُليِّن منه قلب حوشيِّ.
فلو بصرت به يصغي وأنشده، قلت النُّواسيُّ يشجو قلب عذريِّ.
أو صائد الإنس قد ألقى حبائله ليلاً فأوقع فيها صعيد وحشيِّ.
أغراه بي بعد ما جدّ النِّفار به شدو القريض وألحان السُّريجيِّ.
فصار أطوع لي منه لمقلته، وصرت أُعرف فيه بالعزيزيِّ.
ومما قيل في المؤنث، قال ابن الروميّ:
مخفَّفةٌ مثقَّلةٌ، تراها كأنَّ لم يعد نصفيها غذاءُ!
إذا الإغباب جدّد حسن شيءٍ من الأشياء، جدّدها اللِّقاءُ.
لها ريقٌ تشفُّ له الثَّنايا، ويروى عنه - لا منه - الظِّماءُ.
وأنفاسٌ كأنفاس الخزامى قبيل الصُّبح، بلَّتها السماءُ!
تنفس نشرها سحراً، فجاءت به سحرية المسرى رخاءُ!
وقال أبو نواس:
ما هويً إلا له سبب يبتدي منه وينشعبُ.
فتنت قلبي مُحجبَّةٌ، وجهها بالحسن منتقبُ.
خليت والحسن تأخذه تنتقي منه وتنتحبُ.
فاكتست منه طرائفه واستزادت بعض ما تهبُ.
صار جدّاً ما مزحت به رُبَّ جدٍّ ساقه اللَّعبُ.
وقال أيضاً:
يا قمراً، أبصرت في مأتم يندب شجواً بين أتراب!
يبكي فيذري الدُّرَّ من نرجس، ويلطم الورد بعنَّاب.
أبرزه المأتم لي كارهاً، برغم دايات وحُجَّاب!
لا تبك ميتاً حلَّ في رمسه، وابك قتيلاً لك بالباب!
وقال سيف الدين المشد:
وبمهجتي! من لو بدت للشمس من تحت النِّقابْ،

سترت محاسن وجهها خجلاً، ولاذت بالسَّحابْ!

وقال القاضي أبو علي التَّنُوخي، شاعر اليتيمة:

أقول لها والحيُّ قد فطنوا بنا وما لي عن أيدي المنون براحُ:

لما ساءني أن وشَّحتني سيوفهم وإنّي لكم دون الوشاح وشاحُ.

وقال عمارة اليماني:

طرقتها، والليل وحف الجناح، وما تلبَّست بثوب الجناحْ.

في ليلةٍ بات نجادي بها ذوائباً يخفقن فوق الوشاحْ.

والحسن قد ألَّف أشتاته غصنٌ تثَّنى فوق ردف رداحْ.

نام رقيب الصُّبح عن ليلتي، وبات لي كلُّ مصون مباحْ!

أجمع من خدٍّ ومن مبسم بحمرة الورد بياض الأقاحْ.

حصلت من ريقٍ ومن منطقٍ على اقتراحٍ ونميرٍ قراحْ.

ترنَّحت من نشوات الصِّبا فبتُّ مسروراً بنشوانٍ صاحْ.

وفاح من نشر الصِّبا عنبرٌ أحرقه الفجر بجمر الصَّباحْ!

وقال أبو نواس:

وذات خدٍّ مورد قوهية المتجرّدْ.

تأمل العين منها محاسناً ليس تنفدْ.

فالحسن في كل جزء منها معادٌ مرددْ.

فبعضه في انتهاءٍ وبعضه يتولَّدْ.

وكُلَّما عدت فيه يكون لي العود أحمدْ!

وقال عليّ بن عبد الرحمن بن المنجم:

شبهتها بالبدر فاستضحكت وقابلت قولي بالنُّكرِ.

وسفَّهت قولي وقالت: متى سمجتُ حتى صرت كالبدرِ.

البدر لا يرنو بعينٍ كما أرنو، ولا يبسم عن ثغرِ.

ولا يميط المرط عن ناهدٍ، ولا يشدُّ العقد في نحرِ.

من قاس بالبدر صفاتي، فلا زال أسيراً في يدي هجري!

وقال العماد الأصفهانيّ:

لئن الأهلة بالمعاجر وكحلن بالسُّقم المحاجرْ.

ونظرن عن حدق حجر ن بها على آرام حاجرْ.

شهرت لحاظ ظبائهن على القلوب ظباً بواترْ.

آرام خدرٍ باللِّحا ظ تصيد آساداً خوادرْ.

غيدٌ لسفك دم المحب تظافرت منها الظُّفائرْ.

بيض التَّرائب حمرها خضر اللِّمى سود الغدائرْ.

وقال كشاجم:

جعلت إليك الهوى شفيعاً فلم، تُشفعي!

وناديت مستعطفاً رضاك فلم تسمعي.

أتاركتي مُدنفاً أخا جسدٍ موجعِ!

ومغريتي والدُّمو ع قد أحرقت مدمعي.

أ حين سبيت الفؤا د بالنظر المطمعِ،

جفوت وأقصيتني؟ فهلاَّ، وقلبي معي؟

وقال ابن المعلم:

صعدة القدِّ وسيف الكحل حكما حكم الهوى في أجلي.
يا لقومي! حملت ثقل دمي غادةٌ يثقلها حمل الحلى!
قدُّها معتدلٌ يظلمني! حزني من قدِّها المعتّدل!
خصرها ينشط، لكن ردفها أبداً يقهره بالكسلِ.
نظرةٌ من مقلتي جاريةٍ وثنت عطف القضيب الثملِ.
لست أدري: قمر في كلّة ما أرى، أم دميةٌ في هيكلِ؟
سألت جسمي عن ساكنه! ومن الجهل سؤال الطَّلل!

وقال سيف الدين المشدّ:

وغادةٍ، أعشق من أجلها بدر الدُّجى والظَّبي والخيزرانْ.
لأنَّ ذا يشبهها بهجةً، وذاك ألحاظاً، وهذا بنانْ.

وقال أبو نواس:

يا منسي المأتم أشجانه لما أتاهم في المعزِّينا!
حلَّت عجار الوشي عن صورةٍ ألبسها الله التحاسينا!
استفتنتهنّ بتمثالها فهنَّ للتَّكليف يبكينا.
حقَّ لذاك الوجه أن يزدهي عن حزنه من كان محزونا.

وقال أيضاً:

أيا ليت شعري أمن صخرةٍ فؤادك هذا الذي لا يلين!
تقول إذا ما اشتكيت الهوى، كما يشتكي الباس المستكين:
أ في النوم أبصرت ذا كلِّه؟ فخيراً رأيت، وخيراً يكون!

وقال المشوق الشامي:

أترى بثارٍ أو بدين علقت محاسنها بعيني؟
في خصرها وقوامها ولحاظها ما في الرُّديني.
وبوجهها ماء الشَّبا ب خليط نار الوجنتين.

وقال السريُّ الرفَّا، شاعر اليتيمة:

قامت وخطوط البانة ال ميَّاس في أثوابها.
ويهزُّها سكران: سُك ر شرابها وشبابها!
تسعى بصهباوين من ألحاظها وشرابها.
وكأنَّ كأس مُدامها لمَّا ارتدت بحبابها:
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها.

وقال ابن الروميّ:

من بنات الروم، لا يكذبنا لونها المشرق عن منصبها.
قامة الغصن إذا ما اعتدلت قامة الغصن إلى منكبها.
شهد الشاهد من أحسنها، فحكى الغائب من أطيبها.
تشفع الحسن بإحسانٍ لها يجلب الأفراح من مجلبها.
تشرع الألحاظ في وجنتها فتلاقي الرِّيَّ في مشربها.
وجنةٌ للغنج فيها عقربٌ، وبلاء الصبِّ من عقربها.
وإذا قامت إلى ملعبها كمهاة الرمل في ملعبها،
سألت أردافها أعطافها: هل رأت أوطأ من مركبها؟

وقال أبو الحسين بن فارس:

مرَّت بنا هيفاء مقدودةٌ تركيَّةٌ تُنمي لتزكيِّ.
ترنو بطرفٍ فاترٍ فاترٍ أضعف من حُجَّة نحويِّ.

ومماقيل في المطلق والمشترك، قال الطغرائي:

فيم التعجب من قلبي وصبوته كأنَّكم لم تروا من قبله عجبا!
ذوقوا الهوى ثم لوموا ما بدا لكم؛ أولا، فخلّوا ملامي واربحوا التَّعبا!

وقال أيضاً:

وكنت أراني مُفلتاً شرك الهوى، وقد صادني سحر العيون النَّوافثِ.
وأسمعني داعي الغرام نداءه، فقمت إليه مُسرعاً غير لابثِ.
وأعطيت إخوان البطالة صفقتي، وبعت قديماً من غرامي بحادثِ.
فما صفقتي في البيع صفقة خاسرٍ، ولا بيعتي للحُبِّ ببيعة ناكثِ.
فلا تعذلوني في غرامي بعد ما تولَّى الصِّبا، فالعذل أوّل باعثِ!
ولا تبحثوا عن سرِّ قلبي إنَّه صفاً، ليس يمضي فيه معول باحثِ.
أرى صبوات الحبِّ قد جدّ جدها، وقد كان بدء الحب مزحة عابث!

وقال الأرّجانيّ:

قفا معي في هذه المعاهد! لا بدّ للصبِّ من المساعدِ!
لا تبخلا يا صاحبيَّ واسمحا بوقفةٍ على المُعنَّى الواجدِ.
في منزلٍ عهدت في عراصه، لو ردّ معهوداً بكاء عاهدِ،
كواعباً من الدُّمى لواعباً مشبهة الثُّغور لا القلائدِ.
يمشين من فرط النَّعيم والصِّبا كالقضب الموائل الموائدِ.
فيهنَّ ظبيٌ علق القلب به من الظِّباء النُّفر الشواردِ.
إذا تبدّى مرضٌ بطرفه، لم يخل من أفئدة عوائدِ.
رميته، فصادني. فمن رأى صيداً يمرّ بفؤاد الصائدِ؟
قطعت من قلبي رجائي في الهوى! والقطع طبُّ كلِّ عضو فاسدِ!

وقال أبو القاسم عبد الله الدينوريّ، شاعر اليتيمة:

يا لعصر الخلاعة المودود ولظلِّ الشَّبيبة الممدودِ!
وارتشافي الرُّضاب من برد الثَّغ ر ولثمي عليه ورد الخدودِ!
وبكوري إلى مجالس علم رواحي إلى كواعب غيد!
في قميصٍ من السُّرور مذال ورداء من الشباب جديد!

وقال تاج الملوك بن أيوب:

ألا رحمتم ميتاً دنفا ما زال من جوركم بكم عائذْ!
صبّاً قضى الله أن يهيم بكم ولا مردّ لحكمه النافذْ!
يلوذ حُبّاً دون الأنام بكم وحسبه أنه بكم لائذْ!

وقال فخر الدين الوركاني، شاعر الخريدة:

أ أحبابنا أمَّا حياتي بعدكم فموتٌ، وأما مشربي فمنغَّصُ.
وأسعد شيء فيّ قلبي لأنَّه لديكم، وجسمي بالبعاد مخصَّصُ!

وقال العماد الأصفهاني:

بذلت لهم -أبغي رضاهم -مودَّتي وقلبي وصبري والرُّقاد، فما رضوا.
وهبني عن كلٍّ تعوّضت بعدهم فقل لي: بماذا عنهم أتعوّض؟
وما كان ظنِّي أنَّ عيشي ينقضي ونجم الصِّبا ينقضُّ والعهد يُنقضُ.
وقال الطغرائي:
إن الألى أرضاك قولهم بالأمس، تحت رضاهم سخطُ!
لمَّا صفا ذاك الجمال لهم، تاهوا على العشاق واشتطُّوا.
همُّوا ببين فاستطار له قلبي، فكيف يكون إن شطُّوا؟
وقال الطغرائي أيضاً:
في القلب من حرِّ الفراق شواظُ، والدمع قد شرقت به الألحاظُ.
ولقد حفظت عهودكم، وغدرتم. شتان غدرٌ في الهوى وحفاظُ!
لله أيُّ مواقفٍ رقَّت لنا فيها الوسائلُ، والقلوب غلاظُ!
وقال أيضاً:
وسائلٍ عن جوى قلبي، فقلت له: ما أنت عندي على سرٍّ بمتَّهمِ!
طاب الجوى في الهوى حتى أنست به، فهو المرارة يحلو طعمها بفمي!
وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه:
أتقتلني ظلماً وتجحدني قتلي، وقد قام من عينيك لي شاهداً عدل!
أ طلاَّب ذحلي، ليس لي غير شادنٍ بعينيه سحرٌ فاطلبوا عنده ذحلي!
أغار على قلبي، فلما أتيته أطالبه فيه، أغار على عقلي!
بنفسي التي ضنَّت بردِّ سلامها! ولو سألت قتلي، وهبت لها قتلي!
إذا جئتها صدَّت حياءً بوجهها، فتهجرني هجراً ألذَّ من الوصلِ.
وإن حكمت جارت عليّ بحكمها؛ ولكنَّ ذاك الجور أشهى من العدلِ.
كتمت الهوى جهدي، فجوّده الأسى بماء البكا، هذا يخُطُّ وذا يُملي!
وأحببت فيها العذل حُبّاً لذكرها، فلا شيء أحلى في فؤادي من العذلِ!
أقول لقلبي كُلَّما ضامه الأسى: إذا ما أبيت العزَّ، فاصبر على الذُّلِّ!
برأيك لا رأيي تعرَّضت للهوى، وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي.

وجدت الهوى نصلاً من الموت مغمداً فجرّدته ثم اتكأت على النصلِ!
فإن كنت مقتولاً على غير ريبةٍ فأنت الذي عرَّضت نفسك للقتلِ!

وهذه الأبيات معارضة لصريع الغوانِي في قوله:

أديراً عليّ الكأس، لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي!
فما حزني أنِّي أموت صبابةً؛ ولكن على من لا يحلُّ لها قتلي!
فديت التي صدَّت وقالت لتربها: دعهَ، الثُّريا منه أقرب من وصلي!

وقال ابن عبد ربه:

صحا القلب، إلا خطرةً تبعث الأسى لها زفرةٌ موصولةٌ بحنينِ.
بلى، رُبَّما حلت عُرى عزماته سوالف آرام وأعين عينِ.
لواحظ حبَّات القلوب إذا رنت بسحر عيونٍ وانكسار جفونِ.
وريط من الموشيِّ أينع تحته ثمار صدورٍ، لا ثمار غصونِ.
برودٌ كأنوار الربيع لبسنها ثياب تصابٍ لا ثياب مجونِ.
فرين أديم الليل عن نور أوجهٍ تُجنُّ بها الألباب كلَّ جنونِ.
وجوهٌ جرى فيها النعيم فكلَّلت بورد خدودٍ يُجتنى بعيونِ.
سألبس للأيام درعاً من العزا، وإن لم يكن عند اللِّقا بحصينِ.
وكيف، ولي قلبٌ إذا هبَّت الصِّبا أهاب بشوقٍ في الضلوع دفينِ؟

وقال آخر:

هزُّوا القدود وجرَّدوا الأجفانا! فاطلب لنفسك، إن قدرت أمانا.
والق السلاح إذا انثنوا وإذا رنوا؛ وكن الجبان وإن ملكت جنانا.
واحذر ضراماً بالعيون، وسل به مثلي، وجانب بالقدود طعانا.
فلقد رأيت الأسد وهي كواسرٌ تخشى بمعترك الهوى الغزلانا.
لا تعبثنَّ بذابلٍ وبباترٍ! وخف المهفهف واحذر الوسنانا!
لولا تشلبه مقلةٍ أو قامةٍ، ما خفت يوماً صعدةً وسنانا.
وأنا الذي حضر الوقائع في الهوى وأقام في أسير الغرام زمانا.
ولكم رأيت به الشَّدائد مُرَّةً! ولكم رأيت به الممات عيانا!
وثبتُّ بين معاطفٍ ولواحظٍ في موقفٍ يذر الشجاع جبانا!
مستسلماً للعشق: لا مستصرخاً صبراً، ولا مستنجداً سلوانا.
أرجو الشهادة إن قتلت به، وما وليت فيه ولا ثنيت عنانا.
يا ويح قلبٍ ما خلا من شغله بصبابةٍ ومحبَّةٍ مذكانا!
لو فتَّشوه لما لقوا لسوى الهوى فيه ولا غير الغرام مكانا.

وقال التلعفريّ:

هذا العذول عليكم، ما لي وله؟ أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله!

شرط المحبة أنّ كلَّ متيمٍ صبٍّ يطيع هواه، يعصي عذَّله.

وأخذتموني حين سار بحبكم مثلي، ومثلي سره لن يبذله!

وما أعربت والله عن وجدي بكم وصبابتي إلا دموعي المهملة.

جزتم مداكم في قطيعتكم، فلا عطفٌ لعائدكم يرام، ولا صلة.

أ ألومكم في هجركم وصدودكم، ما هذه في الحُبِّ منكم أوّله!

قسماً بكم، قد حرتُ مما أشتكي! حسبي الدُّجى، فعدمته ما أطوله!

ليلي كيوم الحشر معنىً إن يكن لا ليل ذاك له، فذا لاصبح له.

يا سائلي من بعدهم عن حالتي! ترك الجواب جواب هذي المسألة!

حالي إذا حدَّثت لا لمعاً ولا جملاً لإيضاحي لها من تكملة.

عندي جوىً يذر الفصيح مبلِّداً: فاترك مفصَّله! ودونك مجمله!

القلب ليس من الصِّحاح فيرتجى إصلاحه، والعين سحب مُثقلة.

يا نازحين، وفي أكلَّة عيسهم رشأٌ عليه حشا المُحبِّ مقلقله!

قمرٌ له في الطرف بل في القلب بل في النَّثرة الحصداء أشرف منزلة.

الصدغ منه عقربٌ، ولحاظه أسدٌ، وخلف الظهر منه سنبلة.

ما أجور الألحاظ منه إذا رنا! وإذا انثنى، فقوامه ما أعدله!

لو لم يصب صدغيه عارض خدِّه، ما أصبحت في عارضيه مسلسلة.

لله منه مهفهفٌ أجنيته عسل الهوى فجنيت منه حنظله!

لو كنت فيه قبلت نصح عواذلي، ما أدبرت أيام حظِّي المقبلة!

وقال الطغرائيّ:

رويدكم! لا تسبقوا بقطيعتي صروف الليالي، وإنَّ في الدهر كافياً.

ويا قلبُ، عاود ما ألفت من الجوى! معاذ الهوى أن تُصبح اليوم ساليا!

ويا كبدي، ذوبي! ويا مقلتي، اسهري! ويا نفس لا تُبقي من الوجد باقيا!

فلا تطمعوا في برء ما بي، فإنه هو الداء قد أعيا الطبيب المداويا!

ومما قيل في طيف الخيال، قال قيس بن الخطيم:

إني شربت، وكنت غير شروب! وتقرِّب الأحلام غير قريبِ.
ما تمنعي يقظي، فقد تؤتينه في النوم غير مكدر محسوبِ.
كان المنى تلقاءها، فلقيتها ولهوت من لهو امرئ مكذوبِ!

وقال عمرو بن قميئة:

نأتك أمامة، إلا سؤالاً وإلا خيالاً يوافي خيالا.
خيالاً يخيل لي نيلها، ولو قدرت لم يُخيِّل نوالا!

قال أبو هلال العسكري: ومن هاتين القطعتين أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال.

وقال البعيث:

أ زارتك ليلى، والرِّكاب خواضع؟ وقد بهر الليل النجوم الطَّوالعُ!
وأعطتك غايات المنى غير أنَّها كواذب إن حصَّلتها وخوادعُ.

وقال أبو تمام:

استزارته فكرتي في المنام، فأتاها في خفية واكتتامِ.
يا لها ليلةً تزاورت الأر واح فيها سراً عن الأجسامِ!
مجلسٌ لم يكن لنا فيه عيبٌ غير أنَّا في دعوة الأحلامِ!

وقال الحمدونيّ:

لم أنله، فنلته بالأماني في منامي سراً من الهجرانِ!
واصل الحلم بيننا بعد هجرٍ، فاجتمعنا ونحن مفترقانِ.
وكأنَّ الأرواح خافت رقيباً، فطوت سرَّها عن الأبدانِ.
منظرٌ كان نزهة العين إلاَّ أنه منظرٌ بغير عيانِ.

وقال ابن الروميّ:

طرقتنا، فأنالت نائلاً شكره - لو كان في النبه - الجحودُ.
ثم قالت، وأحسَّت عجبي من سُراها حيث لا تسري الأسودُ.
لا تعجَّب من سرانا، فالسُّرى عادة الأقمار والناس هجودُ.

أخذ العسكريّ المعنى، فقال:

رقبت غفلة الرَّقيب، فزارت تحت ليل مطرَّز بنهارِ.
فتعجَّبت من سراها، فقالت: غير مستطرفٍ سُرى الأقمارِ!
ثم مالت بكأسها فسقتني جلناريَّةً على جُلِّ ناري!

وقال آخر:

فيا ليت طيفاً، خيَّلته لي المنى، وإن زادني شوقاً إليك، يعودُ!
أكلِّف نفسي عنك صبراً وسلوةً، وتكليف ما لا يُستطاع شديدُ!

وقال العسكريّ:

طرق الخيال، فزار منه خيالاً. فسرى يغازل في الرُّقاد غزالا.
يا كشفةً للكرب، إلاَّ أنَّه ولَّى على دبر الظَّلام فزالا.
قعد المتيم، وهو أكثر صبوةً وأشد بلبالاً وأكسف بالا!

وقال العماد الأصفهانيّ:

ظبيٌ طربت لطيفه المتأوِّب طرب العليل لرؤية المتطبِّبِ.

لم أدر زورته، أ كانت خطفةً من بارقٍ أم لمعةً من كوكبِ.
زار الكرى متهيِّباً رقباءه، أهلاً به من زائر متهيِّبِ!
لمَّا رأى وجدي، تأوّه رحمةً. لله من مُتأوِّه متأوِّبِ!
وأتى ليقرب من وساد متيَّمٍ؛ لمَّا أحسَّ بناره، لم يقربِ.

وقال محمد بن بختيار:

لو أنَّ طيف الخيال يسري، بلَّ سُراه غليل صدري.
ولو أراد الحبيب أن لا يضيمني، ما استطاب هجري.
يلومني في هواه من لا يعلم أنَّ الملام يُغري.
كم ليلة زار في دُجاها، فكان تحت الظلام بدري.
يتخفى باحمرار خدٍّ ورديٍ وابيضاض ثغرِ.
يجمع لي بين سُكر لحظٍ وسكر ريقٍ وسكر خمرِ.
ودُرِّ لفظٍ ودُرِّ ثغرٍ ودرِّ كأس ودُرِّ نحرِ.

وقال آخر:

قلت للمعرض الذي صدّ عني: إنَّ طيف الخيال لي عنك يُغني.
قال: لا تحمد الخيال فما زا رك إلاَّ عن اختياري وإذني.
كدت تقضي أسىً، فقلت لطيفي: أحي لي روحه بزور التَّمنِّي!
ليس شُحّاً بأن تموت؛ ولكن خفت أن تستريح بالموت منِّي!

وقال آخر:

فإن يحجبوها بالنهار، فما لهم بأن يحجبوا بالليل عنِّي خيالعا!

وقال المجنون:

وإني لأستغشي، وما بي نعسةٌ؛ لعلَّ لقاها في المنام يكونُ!
تُخبِّرني الأحلام أنِّي أراكم، ألا ليت أحلام المنام يقينُ!

وقال المؤمل:

أتاني الكرى ليلاً بشخصٍ أحبُّه؛ أضاءت له الآفاق، والليل مُظلمُ.
فكلمني في النَّوم غير مغاضبٍ، وعهدي به يقظان لا يتكلمُ!

وذكر العباس بن الأحنف العلة في طروق الخيال، فقال:

خيالك حين أرقد نصب عيني إلى وقت انتباهي لا يزولُ.
وليس يزورني صلةً، ولكن حديث النفس عنك به الوصولُ

وتتبعه الطائيّ فقال:

زار الخيال لها، لا بل أزاركه فكرٌ، إذا نام فكر الحلو لم ينمِ.
ظبيٌ تقنصته لما نصبت له في آخر الليل أشراكاً من الحلمِ.

ومما قيل في الردّ على العذول، قال أبو نواس:

ما حطَّك الواشون من رتبةٍ عندي، ولا ضرِّك مغتابُ.
كأنما أثنوا - ولم يشعروا - عليك عندي بالذي عابوا.

وقال تاج الملوك:

مه يا عذول عن المحبِّ، فإنما عذل المحبِّ يزيد في بلبالهِ!
لا تعذلنّ على الصَّبابة مغرماً حتى تبيت من الزمان بحالهِ!

وقال أيضاً من قصيدة:

ولقد قلت للذي لامني في ك، وما زال مثل حالي:
يا عذولي في حبِّه، كُفَّ عذلي. أنا ما للعذول فيه وما لي!
كلما زدت في ملامي وعذلي، زدت في لوعتي وفي بلبالي!
وقال الأرجاني:
وجدي بلومك، ياعذول يزيدُ! فاستبق سهمك، فالرميُّ بعيدُ!
بلغ الهوى من سرِّ قلبي موقعاً: لا العذل يبلغه ولا التفنيدُ!
وتُنمُّ بالشَّجو المكتَّم عبرتي، ومن الدموع على الغرام شهودُ!
وقال سيف الدين المشدّ:
يا عاذلي، خلِّ عنِّي! أسمعت غير سميع!
لا ترج مني سُلوّاً! فما فؤادي مُطيعي!
وكيف أكتم ما بي من لوعة وولوعِ،
والدّاريات جفوني، والمرسلات دموعي!
وقال ابن الخيمي:
وتأمرني العذّال بالصبر عنكم، ومن ذا الذي يرضى عن الحلو بالصَّبرِ؟
ومن أعجب الأشياء أنَّ عواذلي يطيلون لومي في الهوى، والهوى عُذري!
ومما قيل في رجوع العذول، قال ابن وكيع:
أقبل والعُذّال يلحونني، فكلهم قال: من البدْرُ؟
فقلت: ذا من طال في حُبِّه منكم لي التعنيف والزَّجرُ!
قالوا: جهلنا، فاغفر جهلنا فليس عن ذا لامرئٍ صبرُ!
عذرك في الحبِّ له واضحٌ، وما لنا في لومنا عذرُ!
وقال أيضاً:
أبصره عاذلي عليه، ولم يكن قبل ذا رآهُ.
فقال لي: لو عشقت هذا، ما لامك الناس في هواهُ!
قل لي: إلى من عدلت عنه، فليس أهل الهوى سواهُ؟
وظلَّ من حيث ليس يدري، يأمر بالحُبِّ من نهاهُ!
ومما قيل في الوصال، قال ابن الروميّ:
ولقد يؤلِّفنا اللِّقاء بليلةٍ جُعلت لنا حتى الصياح نظاما.
نجزي العيون جزاءهنَّ عن البكا وعن السُّهاد ولا نُصيب أثاما.
فنبيحهنَّ مرادهنَّ، يردنه فيما ادعين، ملاحةً ووساما.
ونكافئ الآذان، وهي حقيقة إذ لا تزال تكابدُ اللّوّاما.
فنثيبهنَّ من الحديث مثوبةً تشفي الغليل وتكشف الأسقاما.
ونكافئ الأفواه عن كتمانها، إذ لا يزال لها الصُّمات لجاما.
فنبيحهنَّ ملاثماً ومراشفاً، ما ضرَّها أن لا تكون مُداما!
نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثةً مقسومةً آناؤها أقساما.
ومما قيل في الفراق والبين، قال بعض الكُتَّاب: في الفراق مصافحة التسليم، ورجاء الأوبة، والسلامة من الملال، وعمارة القلب بالشوق، والدلالة على فضل المواصلة واللقاء.

قال شاعر:

جزى الله يوم البين خيراً، فإنَّه أرانا على علاَّته أُمَّ ثابت!

وقال ابن الروميّ:

فإذا كان في الفراق اعتناقٌ، جعل الله كلَّ يومٍ فراقاً!

وقال أبو حفص الشطرنجيّ:

من يكن يكره الفراق، فإنِّي أشتهيه لموضع التَّسليمِ!
إنَّ فيه اعتناقةً لفراقٍ وانتظار اعتناقةٍ لقدومِ.

وقال سيف الدولة بن حمدان:

راقبتني العيون فيك، فأشفق ت؛ ولم أخل قطُّ من إشفاقِ.
ورأيت العدوّ يحسدني في ك مجدّاً بأنفس الأعلاقِ.
فتمنَّيت أن تكون بعيداً، والذي من الودِّ باق!
رُبَّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ وفراقٍ يكون خوف فراقِ!

وأرى هذا كله على سبيل التعلل ليس إلا، وإنما الفراق لا شكَّ في إيلامه للقلوب.

قال بعض الشعراء:

فلم لا تُسبل العبرات منِّي، ولست على اليقين من التَّلاقي؟
فلا وأبيك، ما أبصرت شيئاً أمرَّ على النفوس من الفراقِ؟

وقال آخر:

يا ربِّ، باعد بين جفني والكرى ما دام من أهواه في هجراني!
إنِّي لأخشى أن أنام فألتقي بخياله، خوف الفراق الثاني!

وقال آخر:

فارقته وبودِّي لو تفارقني روح الحياة، وأنِّي لآ أفارقهُ!

وقال أبو تمام:

الموت عندي والفرا ق: كلاهما ما لا يُطاقُ!
يتعاونان على النفو س: فذا الحِمام وذا السِّياقُ!
لو لم يكن هذا كذا، ما قيل: موتٌ أو فراقُ!

وقال غريب بن شاعر اليتيمة:

ألان يوم الفراق قسوته حتى جرى دمعه وما شعرا.
فخلت ما سال من مدامعه دُرّاً على وجنتيه منتثرا.
لم يبكِ شوقاً، لكن بكى جزعاً لهول يوم الفراق إذ حضرا.
في مشهدٍ لو أطاق شاهده فيه استتاراً لوجهه، سترا.
أبى أساه وفيض أدمعه إلا اشتهاراً في الحبِّ، فاشتهرا.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه:

هيَّج البين دواعي سقمي، وكسا جسمي ثوب الألمِ!
أيُّها البين، أقلني مرَّةً فإذا عدت، فقد حلَّ دمي.
يا خليَّ الرُّوع، نم في غبطةٍ! إنَّ من فارقته لم ينمِ.
ولقد هاج لقلبي سقماً ذكر من لو شاء، داوى سقمي.

وقال آخر:

بكت وبكيت لوشك الفراق؛ فقف، تر من مدمعينا العجبْ!
فذا فضةٌ في عقيقٍ جرى، وهذا عقيقٌ جرى في ذهبْ!

وقال آخر:

قلت له والرَّقيب يزعجه مستعجلاً للفراق: أين أنا؟
فمدّ كفّاً إلى ترائبه وقال: كُن آمناً، فأنت هنا!

وقال آخر:

قد قلت إذ سار السَّفين به، والشوق ينهب مهجتي تهبا:
لو كان لي ملكٌ أصول به، لأخذت كُلَّ سفينةٍ غصبا.

وقال كشاجم:

مزجت دموع العين م نِّي يوم بانوبالدِّما.
فكأنما مزجت بخ دِّي مقلتي خمرا بما!

وقال آخر:

لم أنس يوم الفراق موقفها، وطرفها في دموعها غرق.
وقولها، والرِّكاب سائرةٌ: تتركنا هكذا، وتنطلق؟

ومنه ما قيل في مفارقة الأصحاب:

لمَّا رأيت مصاحبي ومعاشري لجديد وُدِّي بالقطيعة مزَّقا،
فارقته وسللت من يده يدي، وقرأت لي وله: وإن يتفرّقا.

وقال آخر:

قالوا: قطعت صديقك البرَّ الذي منه استفدت مكارم الأخلاقِ.
فأجبتهم: بعض المفاصل رُبَّما فسدت، فتقطع في صلاح الباقي!

وقال آخر:

ولقد شكرت مفارقي إذ ساء في أخلاقهِ.
لو كان أحسن عشرتي، لهلكت يوم فراقهِ.

ومثله قول الآخر:

علَّمتني بهجرها الصَّبر عنها، فهي مشكورةٌ على التَّقبيحِ!
وأرادت بذا قبيح فعالٍ صنعته، فكان عين المليحِ!

ومما قيل في التوديع، قال البحتريّ:

أقول له عند توديعه، وكُلٌّ بعبرته مُبلسُ:
لئن قعدت عنك أجسامنا، لقد سافرت معك الأنفسُ!

وقال أبو الطيب المتنبي:

يا راحلاً، كلّ من يودِّعه دموعٌ دينه ودنياهُ.
إن كان فيما نراه من كرم فيك مزيدٌ، فزادك الله!

وقال البحتريّ:

ألم ترني يوم فارقته أودِّعه، والهوى يستزيدْ.
أولى إذا أنا ودَّعته، فيغلبني الشوق حتى أعودْ.

وقال أبو تمام:

نأيٌ وشيكٌ وانطلاق، وغليل شوقٍ واحتراقُ.
بأبي فتىً ودَّعته تاهت بصحبته الرِّفاق!
بدرٌ يُضيء لعاشقي ه فما يطيف به المحاقُ!

وقال ابن زيدون:

ودَّع الصبر محبٌّ ودَّعك، حافظٌ من سرِّه ما استودعكْ!
يقرع السنَّ على أن لم يكن زاد في تلك الخطا، إذ شيعك!
يا أخا البدر سناءً وسناً، حفظ الله زماناً أطلعكْ!

إن يطل بعدك ليلي، فلكم بتُّ أشكو قصر الليل معك!

وقال أبو عبد الرحمن شاعر اليتيمة:

إذا دهاك الوداع فاصبر ولا يهولنَّك البعادُ!
وانتظر العود عن قريب، فإنَّ قلب الوداع عادوا.

وقال آخر:

ودَّعته حيث لا تُودِّعه روحي، ولكنَّها تسير معه.
ثم تولّى وفي القلوب له ضيق مجالٍ وفي الدموع سعة.

وقال الإمام الصولي:

لو كنت يوم الوداع حاضرنا وهنَّ يشكون علّة الوجدِ،
لم تر إلا الدُّموع جاريةً تسقط من مقلةٍ على خدِّ.
كأنَّ تلك الدُّموع قطر ندىً، يقطر من نرجسٍ على وردِ!

وقال أبو منصور أحمد بن محمد اللخميّ:

وقفت يوم النوى منهم على بعدٍ ولم أُودِّعهم وجداً وإشفاقا.
إنِّي خشيت على الأظعان من نفسي ومن دموعي: إحراقاً وإغراقا.

وقال ابن نُباتة:

ولمَّا استقلَّت للرَّواح حمولهم ولم يبق إلا شامتٌ وغيورُ،
وقفنا: فمن باكٍ يكفكف دمعه، وملتزمٍ قلباً يكاد يطيرُ!

وقال آخر:

ولمَّا وقفنا للوداع، وقلبها وقلبي يبثَّان الصَّبابة والوجدا،
بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً فصار الكلّ في نحرها عقدا.

وقال آخر:

ودَّعتها ولهيب الشَّوق في كبدي والبين يبعد بين الرُّوح والجسدِ،
وداع صبَّين لم يمكن وداعهما إلا بلحظة عين أو بنان يدِ.
وحاذرت أعين الواشين فانصرفت تعضُّ من خوفها العُنَّاب بالبردِ.
وكان أوّل عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلدِ.

وقال الهيثم الكلاعيّ، من شعراء اليتيمة:

ولم أنسها يوم الوداع، ومسحها بوادر دمع العين. والعين تذرفُ.
أفانين تجري من دموعٍ ومن دمٍ على الخدِّ منها تستهل وترعفُ.
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا، وكلٌّ إلى كلٍّ يلين ويعطفُ.
جعلنا هناك الهجر منَّا بجانبٍ، وللبين داعٍ بالتَّرحُّل يهتفُ.
ولولا النوى، لم نشك ضعفاً عن الأسى! ومن يحمل الأشجان بالبين يضعفُ!
فقلت: كلانا مثقلٌ من صبابةٍ؛ ولكنَّني عن حملها منك أضعفُ.

وقال الظاهر البصريّ:

نفسي الفداء لمن جاءت تودِّعني يوم الفارق بقلبٍ خائفٍ وجلِ!
قد كنت فارقت روحي يوم فرقتها؛ لكن حييت بطيب الضَّمِّ والقبلِ!

وقال يزيد بن معاوية:

جاءت بوجهٍ كأنَّ البدر برقعه حسناً على مثل غصن البانة الثَّملِ.
إحدى يديها تُعاطيني مُعتَّقة كخدّها عصفرته حمرة الخجلِ.
ثم استبدّت وقالت وهي عالمةٌ، بما تقول وشمس الكأس لم تفلِ:
لا ترحلنَّ، فما أبقيت لي جلدا ما أطيق به توديع مرتحلِ!
ولا من الصبر ما ألقى الفراق به ولا من الدَّمع ما أبكى على طللِ!

ومن الناس من كره الوداع. وفي ذلك يقول البحتريّ:

الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك أو عراقكْ!
لا تعذلنِّي في مسيـ ري يوم سرت ولم ألاقكْ!
إنِّي خشيت مواقفاً للبين تسفح غرب ماقكْ!
وعلمت أنَّ بكاءنا حسب اشتياقي واشتياقك!
وذكرت ما يجد المود ع عند ضمِّك واعتناقكْ،
فتركت ذاك تعمُّداً وخرجت أهرب من فراقكْ!

وقال آخر:

الله يعلم ما تركت وداعه، ولقد جزعت لبعده وفراقهِ،
إلا مخافة أن يذيب فؤاده ما في فؤادي منه عند عناقهِ!

وقال آخر:

إنّ تركي فضيلة التشييع لاجتنابي مشقَّة التَّوديعِ.
ما يفي أنس ذا بوحشة هذا، فرأيت الصَّواب ترك الجَميعِ!

وقال آخر:

ما تركت الوداع يوم افترقنا عن ملالٍ ولا لوجهٍ قبيحِ.
أنت روحي على الحقيقة ما زل ت، وما اخترت أن أودِّع روحي!

ومما قيل في الصدّ والهجران، قال أبو عُبادة البحتريّ:

هجر الحبيب، فمتُّ من شغفٍ لمَّا حرمت عزيمة الصَّبرِ!
فإذا قضيت، فنادِ: يا حزني، هذا قتيل الصَّدِّ والهجرِ!
والبدر في حلٍّ وفي سعةٍ من سفكه دم عبده الحُرِّ!

وقال ابن ميَّادة:

كانوا بعيداً، فكنت آملهم حتى إذا ما تقاربوا، هجروا.
فالبعد منهم على رجائهم أنفع من قربهم إذا هجروا!

وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النهروانيّ:

على قلبي الأحبَّة بالت مادي في الهوى غلبوا.
وبالهجران من عينيَّ طيب النوم قد سلبوا.
وما طلبوا سوى قتلي، فهان عليَّ ما طلبوا!

ولما سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل هذه الأبيات، وعارضها، وأنشدني لنفسه في صفر الأغر الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة.

لئن غلبوا على عقلي، لقد سلبوا لمن غلبوا!
وإن أبكى تبسُّمهم، فخلَّب برقهم خلبوا!
وإن ترج العيون، فقد إليها السُّهد قد جلبوا!
وإن عطفوا برقَّتهم، فدرَّ مدامعي حلبوا.

ومما قيل في الزيارة، قال الوزير أبو عبد الله بن الحدّاد:

إذا جاءني زائراً حسنه أقام عليه رقيباً عتيدا.
إذا ما بدا، سربلته العيون وخرَّت وجوهٌ إليه سجودا.
هو البدر والغصن: خدّاً وقدّاً، كما أنه الظَّبيُ: لحظاً وجيدا.
أتى زائراً وفؤادي خليّ، فمرَّ به مُستهاماً عميدا.
وغادرني بعده في غرام تضرم بين ضلوعي وقودا!

وقال نصير الخبزأرزي، شاعر اليتيمة عفا الله عنه:

خليليَّ! هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولىً تمشَّى إلى عبدِ!
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي: أصونك عن تعليق قلبك بالوعدِ!

وقال الوأواء الدمشقي:

زار بليلٍ على صباحٍ على قضيبٍ على كثيبِ!
حتى أتت ألسن الليالي معتذراتٍ من الذُّنوبِ.
فيا لها زورةً أخذنا بها أماناً من الخطوبِ!

وقال أبو عبد الله الحدّاد:

يا زائراً، ملأ النَّواظر نوراً والنفس لهواً والفؤاد سرورا!
لو أستطيع، فرشت كلَّ مسالكي حدقاً وبيض سوالف ونحورا.

وقال آخر:

أهلاً وسهلاً بطارقٍ طرقاً، أحببت فيه السهاد والارقا!
زار على غفلة الرقيب ويم ناه تداري وشاحه القلقا.
فبتُّ منه معانقاً صنما ينفح مسكاً وعنبراً عبقا.
لو شئت، أنشأت من ذوائبه ليلاً، ومن نور وجهه فلقا!

وقال أبو عبد الله الحامديّ من شعراء اليتيمة:

مُشتاقةٌ طرقت في الليل مشتاقاً! أهلاً بمن لم يخن في العهد ميثاقا!
أهلاً بمن ساق لي طيف الأحبة في ليل الدُّجنة، بل أهلاً بما ساقا!
يا زائراً زار من قربٍ على بعدٍ، آنست مستوحشاً! لا ذقت ما ذاقا!
الله يعلم لو أني استطعت، لقد فرشت ممشاك آماقاً وأحداقا!
يا ليل، عرج على إلفين قد جعلا عقد السواعد للأعناق أطواقا!

وقال مؤيد الدين الطغرانيّ:

وزائرةٍ وافت، فأجلت خدّها وقبلت إكراماً لموردها الأرضا!
فيا زورةً جاءت على غير موعدٍ، فقرَّت عيونٌ واشتفت أنفسٌ مرضى!
فلم أر إلاَّ ما ألذُّ وأشتهي، ولم أر إلاَّ ما أودّ وما أرضى!
على أنَّها ولّت ولم أقض سنَّةً - من الوطر الممطول دهراً - ولا فرضا!
وما سوّغتنا ليلة الوصل قرضها إلى أن بدا الإصباح يسترجع القرضا.

وقال ابن سكرة، من شعراء اليتيمة:

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عدةٍ تحت الظلام ولم تحذر من الحرسِ!
تسترت بالدُّجى عمداً، فما استترت وبات إشراقها ليلاً على قبسِ!
ولو طواها الدُّجى عنَّا، لأظهرها برق اللِّثات وعطر النَّحر والنَّفسِ!

ومما قيل في تخفيف الزيارة وموانعها، قال شاعر الحماسة:

ولمَّا رأيت الكاشحين تتَّبعوا هوانا وأبدوا دوننا نظراً شزرا،
جعلت - وما بي من جفاءٍ ولا قلىً - أزوركم يوماً وأهجركم شهرا!

وقال مسلم بن الوليد:

أقلل زيارتك الصَّديـ ق، يراك كالثوب استجدَّه!
إنَّ الصَّديق يملُّه أن لا يزال يراك عنده.
إلا الكرام ذوي النُّهى، إنَّ الكريم يديم عهده!

وقال آخر:

إذا ما كثرت على صاحبٍ وقد كان يدنيك من نفسهِ،
فلا بدّ من مللٍ واقعٍ، يُغير ما كان من أنسهِ!

وقال آخر:

لئن تأخَّرت عن مفروض خدمتكم تجشُّماً، فضميري غير متَّهمِ!
سعى ودادي إليكم بالوفاء لكم، والسعي بالقلب فوق السعي بالقدمِ!

وقال ابن المعلم:

لم أطو بحر نداك - مع قربي - قلىً إلا مخافة موجه المتراكب.
وعلمت أنِّي إن أتيتك زائراً، ثقلت، والتثقيل ليس بواجب.

وقال المعوّج:

ثلاثةٌ منعتها من زيارتنا، وقد طوى الليل جفن الكاشح الحنق:
نور الجبين، ووسواس الحليّ، وما يمسُّ أردانها من عنبر عبقِ.

هب الجبين بفضل الثوب تستره، والحلي تنزعه، ما الشأن في العرق؟

وقال أبو فراس الحمدانيّ:

لقد نافسني الدهر بتأخيري عن الحضرة.
فما ألقى من العل ة ما ألقى من الحسرة!

ومنها التأخر عن عيادة المرضى، قال ابن زُريق الكوفيّ الكاتب:

يا مريضاً لسقمه، مرض العلم والوفا!
لم يكن تركي العيا دة هجراً ولا جفا.
لم أطق أن أراك يا أكرم الناس مدنفا!
طال خوفي عليك، وال حمد لله إذ كفى!

وقال آخر:

منعتني عليك رقَّة قلبي من دخولي عليك في العوّادِ.
لو بأذني سمعت منك أنيناً لتفرّى على الأنين فؤادي.

وقال آخر:

فو الله! ليس إنقطاعي جفاً وفي كبدي منك نارٌ تشبُّ!
ولكنّني قطَّ لا أشتهي أرى من أُحبُّ كما لا أحبُّ!

ومما قيل في المدامع، قال العسكريّ: أبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب:

فظلت كأنّي من وراء زجاجةٍ إلى الدَّار من فرط الصَّبابة أنظرُ.

وقال البحتريّ:

ويحسن دلّها والموت فيه، وقد يُستحسن السيف الصَّقيلُ!
وقفنا والعيون مُثقلاتٌ يعالج دمعها طرفٌ كليلُ!
نهته رقبة الواشين حتى تعلّق: لا يغيض ولا يسيلُ!

وقال السريّ:

بنفسي من ردَّ التحية ضاحكاً، فجدّد بعد اليأس في الوصل مطمعي!
إذا ما بدا، أبدى الغرام سرائري وأظهر للعُذَّال ما بين أضلعي.
وحالت دموع العين بيني وبينه، كأنَّ دموع العين تعشقه معي.

وقال الصوليّ:

قد كان في طول البكا لي راحةٌ، وعنان سرِّي في يد الكتمان.
حتى إذا الإعلان نبَّه واشياً، رقأت دموعي خشية الإعلان!

وقال بشار:

ماء الصبابة، نار الشَّوق تحدره فهل سمعتم بماءٍ فاض من نار؟

وقال أبو هلال العسكريّ:

أشكو الهوى بدموعٍ قادها قلق حتى علقن بجفنٍ ردَّها الفرقُ.

ففي الفؤاد سبيلٌ للأسى جددٌ، وفي الجفون مقيل للكرى قلقُ.
لهيب قلبي أفاض الدّمع من بصري، والعود يقطر ماءً وهو يحترقُ!
وقال الصوليّ: أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرّد يوماً بيت ذي الرّمة:
لعلَّ انحدار الدمع يُعقب راحةً من الوجد أو يشف شجيَّ البلابلِ!
وقال: من قال في مثله، فقد ملح.
وقال الحسن بن وهب:
ابك! فما أكثر نفع البكا! والحُبُّ إشفاقٌ وتعليلُ!
افزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاة وتسهيلُ.
وهو إذا أنت تأملته حزنٌ على الخدّين محلول!
وقال العباس بن أحمد بن الأحنف:
إنِّي لأجحد حبَّكم وأسرُّهُ والدمع معترفٌ به لم يجحدِ.
والدمع يشهد أنَّني لك عاشقٌ والناس قد علموا وإن لم يشهدِ!
وقال آخر:
فلا تنكرن لون الدّموع فإنَّما يبيِّضها تصعيدها من دم القلب!
وقال العسكريّ:
آفة السِّر من دمو ع دوامٍ دوامعِ!
كيف يخفي مع الدُّمو ع الهوامي الهوامعِ؟
ما رأينا أخا هوىً سرُّه غير ذائعِ!
إنَّ نيران حبِّه باديات الطلائعِ!
وقال خالد الكاتب:
بكيت دماً حتى بقيت بلا دمٍ، بكاء فتىً فردٍ على شجنٍ فردِ!
أ أبكي الذي فارقت بالدمع وحده؟ لقد جلَّ قدر الدمع فيه إذاً عندي!
وقال آخر:
غدت بأحبتي كوم المطايا، فبان النوم وامتنع القرارُ.
وكان الدَّمع لي ذخراً معداً، فأنفقت الذخيرة يوم ساروا!
وقال آخر:
طال عهدي بها فلمَّا رأتني، نظمت لؤلؤاً على تُفَّاح!
وقال آخر:
إذ لا جواب لمفحم متحيرٍ إلا الدموع تصان بالأطرافِ.
وقال آخر:
تقول غداة البين عند وداعها: إلى الكبد الحرّى: فسر، ولك الصبر!
وقد سبقتها عبرةٌ: فدموعها على خدّها بيضٌ، وفي نحرها حمرُ!
معناه: أن الدموع إذا انحدرت إلى نحرها احمرت من الطِّيب.

قالوا: وأحسن ما قيل في صفة الدموع إذا امتزجت بالدماء، قول أبي الشِّيص:

لهون عن الإخوان إذ سفر الضُّحى وفي كبدي من حرِّهنّ حريقُ.

مزجت دماً بالدّمع حتى كأنما يذاب بعيني لؤلؤٌ وعقيقُ.

وقول أبي تمام:

نثرت فريد مدامعٍ لم تُنظم، والدمع يحمل بعض ثقل المغرمِ!

وصلت نجيعاً بالدُّموع، فخدها في مثل حاشية الرِّداء المعلم!

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدّ قول الصوليّ:

كأنَّ تلك الدُّموع قطر ندىً يقطر من نرجس على ورد!

وهي أبيات تقدّمت في التوديع.

ونحوه قول ابن الروميّ:

لمَّا دنا البين وزاح الدَّلُّ، ودّعتها ودمعها منهلُّ.

وخدُّها من قطره مخضلُّ كأنه وردٌ عليه طلُّ!

وقال آخر:

كأنَّ الدموع على خدها بقيةُ طلٍّ على جلنار.

ومما قيل في الرضا من المحبوب باليسير، فمن ذلك قول حميد بن ثور:

أقلِّب طرفي في السماء لعلَّه يوافق طرفي طرفها حين تنظر!

ومثله قول ابن المعلوط:

أ ليس اللَّيل يجمع أمَّ عمرو وإيَّانا؟ فذاك لنا تدانى!

بلى، وأرى السماء كما تراها، ويعلوها النهار كما علاني!

وقال جميل:

وإني لأرضى منك، يا بثن، بالَّذي لو استيقن الواشي لقرَّب بلابلهْ!

بلا، وبأن لا أستطيع، وبالمنى وبالأمل المكذوب قد خاب آملهْ!

وبالنَّظرة العجلى، وبالحول ينقضى، أواخره لا نلتقي وأوائلهْ!

وقريب منه قول الآخر:

يودُّ بأن يُمسي سقيماً لعلَّها إذا سمعت منه بشكوى تراسلهْ!

ويهتزُّ للمعروف في طلب العلا لتُحمد يوماً عند سلمى شمائلهْ!

أخذ العسكري المعنى فقال:

وقلت: عساها إن مرضت تعودني فأحببت لو أنِّي غدوت مريضا!

وزدت اتِّساعاً في المكارم والعلا ليصبح جاهي عندهنَّ عريضا!

وقال أبو الفضل بن عبد العزيز:

يا من هجرت فلا تُبالي! هل ترجع دولة الوصالِ؟
هل أطمع يا عذاب قلبي أن ينعم في هواك بالي؟
الطرف كما عهدت باكٍ والجسم كما ترين بالي!
ما ضرَّك أن تعلِّلني في الوصل بموعد المحال!
أهواك وأنت حظّ غيري، يا قاتلتي، فما احتيالي؟

ومما قيل في النحول، فمن ذلك قول المتنبي:

أبلى الهوى يوم النَّوى بدني، وفرَّق الهجر بين الجفن والوسنِ!
روحٌ تردد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبنِ.
كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ لولا مخاطبتي إيَّاك - لم ترني!

وقال آخر:

أسرّ إذا بليتُ، وذاب جسمي لعلَّ الريح تحملني إليه!

وقال ابن المعتزّ:

ماذا ترى في مدنفٍ يشكوك طول سُقمه؟
أضنيته فما يطي ق ضعفه حمل اسمه،
ولا يراك عائداً إلا بعين وهمه!

وقال كشاجم:

وما زال يبرى أعظم الجسم حُبُّها وينقصها حتى لطفن عن النَّقص.
فقد ذبت حتى صرت لو أنا زرتها، أمنت عليها أن يرى أهلها شخصي.

ومن أبلغ ما قيل في ذلك، قول ديك الجنّ:

أنحل الوجد جسمه والحنين، وبراه الهوى فما يستبين!
لم يعش أنَّه جليدٌ؛ ولكن دقَّ جداً، فما تراه المنونُ!

وقال نصير بن أحمد:

أنحلني الحُبُّ فلو زجَّ بي في مقلة النائم، لم ينتبه!
وكان لي فيما مضى خاتمٌ واليوم لو شئت، تمنطقت به!

وقال الحسن بن وهب:

أبليت جسمي من بعد جدَّته، فما تكاد العيون تُبصرهُ.
كأنه رسم منزلٍ خلقٍ تعرفه العين، ثم تنكرهُ!

ومما قيل في المحبوب إذا أعتل، قال العباس بن الأحنف:

زعموا لي أنَّها صارت تُحمّ! ابتلى الله بهذا من زعمْ!
اشتكت أكمل ما كانت، كما يُكسف البدر إذا ما قيل تمّ!

وقال أحمد بن إسحاق الطالقانيّ:

لقد حلَّت الحمَّى بساحة خدِّه فأبدلت التُّفَّاح بالسوسن الغضِّ!

قال أبو هلال العسكريّ: والأصل في ذلك قول عبد بني الحسحاس. ونقل في كتابه ديوان المعاني بسند رفعه قال: كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني إشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً. فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي

فيه، فإن قُصاري الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريمتهم. فاشتراه بنو الحسحاس، فرئي يوماً وهو ينشد:

ماذا يُريد السِّقام من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجهه تبعُ؟
ما يبتغي - خاب - من محاسنهِ؟ أما له في القباح متَّسعُ؟
غيَّر من لونه وصفَّر ما ورد منه الجمال والبدعُ.
لو كان يبغي الفداء، قيل له: ها أنا دون الحبيب يا وجعُ!

ثم يقول لنفسه: أحسنك والله! يريد أحسنت. وكان العبد كما حدس عثمان، فما زال يهجو مواليه ويشبب بنسائهم، حتى قتلوه. فضحكت منه امرأة وقد ذهبوا به ليقتلوه، فقال:

فإن تضحكي منِّي، فيا رُبَّ ليلة جعلتك فيها كالقباء المفرَّجِ!

وقال لهم:

فلقد تحدَّر من جبين فتاتكمْ عرقٌ على ظهر الفراش وطيبُ!

وهو الذي مدح نفسه بقوله:

إن كنت عبداً، فنفسي حُرَّةٌ كرماً؛ أو أسود اللون، إني أبيض الخُلقِ!

ولم أورد هذه الواقعة هنا لأنه موضعها من كل وجه، وإنما الشيء بالشيء يذكر.

وقال الشاعر:

لو لم تكن حُمَّاه مشغوفةً تعشقه طوراً وتهواهُ،
ما عانقت إذا أقبلت جسمه وقبَّلت إذ فارقت فاه!

وقال آخر:

لوكان كُلُّ مريض يزداد مثلك حسنا،
لكان كُلُّ صحيح يودُّ لو كان مُضنى!

وقال محمد بن العباس الخوارزميّ، من شعراء اليتيمة:

ولي من أمِّ ملدم كُلّ يومٍ ضجيعٌ لا يلذُّ له منامُ!
مقبِّلةٌ وليس لها ثنايا، معانقةٌ وليس لها التزامُ!
كأنَّ لها ضرائر من غذائي، فيغضبها شرابي والطَّعامُ.
إذا ما صافحت صفحات جسمي، غدا ألفاً وأمسى وهو لامُ.

ومما يناسب هذا الفصل ما قيل في شرب الدواء، فمن ذلك قول أبي تمام:

أعقبك الله صحَّة البدن، ما هتف الهاتفات في الغصن.
كيف وجدت الدَّواء؟ أوجدك الله شفاءً به مدى الزَّمن!

وقال ابن حجاج:

يا من به تتباهى مجالس الخلفاءِ!
ومن تُقصِّر عنه مدائح الشُّعراءِ!
يا سيدي كيف أصبح ت بعد شُرب الدَّواءِ؟
خرجت منه تُضاهي في الحسن بدر السَّماءِ!
في ثوب صحَّة جسمٍ مطرَّزٍ بالشِّفاءِ.

ومما قيل على لسان الورقاء - وكل مطوّقة عند العرب حمامة: كالدُّبسي والقمريّ والورشان وما أشبه ذلك. وجميعها حمامٌ. يقال للذكر والأنثى منه حمامة.

والحمامة تبكي، وتغنِّي، وتنوح، وتُغرّد، وتسجع، وتقرقر، وتترنَّم. وإنما لها صوت سجيع لا يفهم: فجعله الحزين بكاءً، والطَّرب غناءً. قال حميد بن ثور:

مطوّقةٌ خطباء تسجع كُلّما دنا الصيف وانزاح الربيع فأنجما.
تغنَّت على غُصنٍ عشاءً فلم تدع لنائحةٍ في نوحها متلوَّما.
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها، ولا عربياً شاقه صوت أعجما!

وقال مجنون بني عامر:

ألا يا حمامات اللِّوى عُدن غدوةً فإنّي إلى أصواتكنَّ حزينُ!
فعُدن؛ فلمَّا عدن، كدن يمتنني وكدت بأسرارٍ لهنّ أُبينُ!
فلم تر عيني مثلهنَّ حمائماً بكين، ولم تدمع لهنّ عيونُ!

وقال أبو الأسود الدؤلي:

وساجعٍ في فروع الأيكِ هيَّجني! لم أدر لم ناح ممَّا بي ولم سجعا؟
أ باكياً إلفه من بعد فرقته، أم جازعاً للنَّوى من قبل أن يقعا؟
يدعو حمامته، والطير هاجعةٌ: فما هجعت له ليلي وما هجعا!
شكا النَّوى فبكى خوف الأسى فرمى بين الجوانح من أوجاعه وجعا!
كأنَّه راهبٌ في رأس صومعةٍ يتلو الزَّبور، ونجم الصُّبح قد طلعا!

وقال جحدر العكليّ:

وقدماً هاجني فازددت شوقاً بكاء حمامتين تجاوبانِ.
تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ على عودين من غربٍ وبانِ.
فكان البان أن بانَت سليمى وفي الغرب اغترابٌ غير داني!

وقال عوف بن مُحلّم:

ألا يا حمام الأيكِ إلفك حاضرٌ وغصنك ميَّادٌ! ففيم تنوحُ؟

وقال ابن عبد ربه من أبيات:

وكيف، ولى قلبٌ هبَّت الصِّبا أهاب بشوقٍ في الضُّلوع دفينِ؟
ويهتاج منه كُلّ ما كان ساكناً دعاء حمامٍ لم تبت بوكونِ.
وإنَّ ارتياحي من بكاء حمامةٍ كذي شجنٍ داويته بشجونِ.
كأنَّ حمام الأيك لمَّا تجاوبت، حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزينِ!

وقال ابن قلاقس:

غناء حمام في معاطف بان إلى مذهبِ الحُبِّ القديم ثناني.
تغنَّى فأعطاف الغصون رواقصٌ وأحداق أزهار الرِّياض رواني.
فذكَّرني شرخ الزمان فمدمعي سفوحٌ وقلبي دائم الخفقانِ.

وقال أعرابيّ:

وقبلي أبكى كُلَّ من كان ذا هوىً هتوف البواكي والدِّيار البلاقعُ.
وهنَّ على الأغصان من كلِّ جانبٍ نوائح، ما تخضلُّ منها المدامعُ!

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر:

نسب الناس للحمامة حُزناً، وأراها في الحزن ليست هنالك!
خضبت كفَّها وطوقت الجي د وغنَّت، وما الحزين كذلك!

وقال ابن الروميّ:

أشجتك داعيةٌ مع الإشراق، هتفت بساقٍ من ذؤابة ساقِ؟
أيكيَّةٌ تدعو، ولم أر باكياً ريب الزمان قرينها لفراق.
تبدو أواميت الشجى في صوتها وترى عليها أنَّه الإطراق.
لو تستطيع، تسلَّبت من طوقها لو كان مُنتحلاً من الأطواق.

ومما قيل في المراجعات، فمن ذلك قول وضَّاح اليمن:

قالت: ألا لا تلجن دارنا، إنَّ أبانا رجلٌ غائرُ!
أما رأيت الباب من دوننا؟ قلت: فإنِّي واثبٌ طافرُ!
قالت: فإن القصر من دوننا! قلت: فإنِّي فوقه ظاهرُ!
قالت: فإنَّ الليث عالٍ به قلت: فسيفي مُرهف باترُ!
قالت: فهذا البحر ما بيننا قلت: فإنِّي سابحٌ ماهرُ!
قالت: أليس الله من فوقنا؟ قلت: بلى! وهو لنا غافرُ.
قالت: فإمَّا كنت أعيينا، فأت إذا ما هجع السَّامرُ!
واسقط علينا كسقوط الندى، ليلة لا ناهٍ ولا زاجرُ!

وقال المؤمل بن أميل:

وطارقاتٍ طرقنني رسلاً، والليل كالطَّيلسانِ معتكرُ.
فقلن: جئنا إليك عن ثقةٍ من عند خودٍ كأنَّها قمر!
هل لك في غادةٍ منعَّمة يحار فيها من حُسنها النَّظرُ؟
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خُطاها إذا خطت قصرُ.
فقمت أسعى إلى مُحجَّبة تضيء منها البيوت والحجرُ.
فقلت لمَّا بدا تخفُّرها: جودي، ولا يمنعنَّك الخفرُ.
قالت: توقَّر، ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيح مشتهرُ!
والله لا نلت ما تحاول أو ينبت في بطن راحتي شعرُ!
لا أنت لي قيِّمٌ فتجبرني ولا أميرٌ عليَّ مؤتمرُ.
قلت: ولكن ضيفٌ أتاك به تحت الظلام القضاء والقدرُ.
فاحتسبي الأجر في إنالته، وياسري قد تطاول العسرُ!
قالت: فقد جئت تبتغي عملاً تكاد منه السماء تنفطرُ.
فقلت: لمَّا رأيتها حرجت وغشيتها الهموم والفكرُ:
لا عاقب الله في الصِّبا أبداً أنثى ولكن يُعاقب الذَّكرُ!
قالت: لقد جئنا بمبتدع، وقد أتتنا بغيره النُّذرُ.
قد بين الله في الكتاب فلا وازرةٌ بغير وزرها تزرُ.
قلت: دعي سورةً لهجت بها لا تحرمنَّا لذَّاتنا السورُ.
وجهك وجهٌ تمَّت محاسنه، لا وأبى لا تمسُّه سقرُ.

وقال آخر:

خطرت فقلت لها مقالة مغرمٍ: ماذا عليك من السلام فسلِّمي.
قالت: بمن تعني فحبُّك بيِّنٌ في سقم جسمك؟ قلت: بالمتكلِّمِ.
فتبسمت، فبكيت، قالت: لا ترعْ فلعلَّ مثل هواك بالمتبسِّمِ.
قلت: اتفقنا في الهوى، فزيارةً أو موعداً قبل الزيارة قدِّمي.
فتضاحكت عجباً، وقالت: يا فتى لو لم أدعك تنام، بي لم تحلمِ.
وقال آخر:
ولمَّا نزلنا على زمزمٍ، ونحن نريد طواف الإفاضة،
بكيت، فقالت: علام البُكا؟ فقلت: على الوُدّ أخشى انتقاضه.
فقالت: ثكلتك من عاشقٍ تُشمِّر ذيلك قبل المخاضة.
فقلت: صدقت، ولكنَّني أعلِّم نفسي طريق الرياضة.
ومما قيل في المردوف، قال بعض الشعراء:
عيناك على سفك دمي أسفتا والجسم نحيلْ.
أطلق برضاك في الهوى أسر فتىً حيران ذليلْ.
في ريقك خمرتان قد حُرِّمتا من غير دليلْ.
والعاشق ظمآن فيا حرُّ! متى تسقيه قليلْ؟
وقال آخر:
في خدّك وردتان قد رُكِّبتا من فوق قضيبْ.
في قلبي جمرتان قد أُضرمتا: نارٌ ولهيبْ.
حلّفتك بالإله يا خير فتى رفقاً بكئيبْ.
حيران يهيم بين حتّى ومتى والأمر عجيبْ.
وقال آخر:
يا بدرُ! عصيت في الهوى عذالي طوعاً لهواكْ.
وانقدت لأمرك الكبير العالي ما قلّ وفاكْ!.
إن كان رضاك سقم جسمي البالي صبراً لرضاكْ.
عذِّب جسدي بسائر الأحوال إلا بجفاكْ.
وقال آخر:
يا مرتحلاً إلى الحمى مصرفه بالله عليك=خذ معك كتاب، فيه خبري.
لي ثمّ رشاً عساك تستعطفه إن هان عليك=في رد جواب، للمنتظرِ.
إن عرَّض بي، فقل: نعم أعرفه يشتاق إليك=قد رقّ وذاب، بين البشرِ.
ما يتركه هواك أو تتلفه والأمر إليك=ما الهجر صواب، من مقتدرِ.
ومما قيل في الجناس، قال أبو الفَضل الميكالي:
مواعيده بالوصل أحلام نائم أشبهها بالقفر أو بسرابهِ.

فمن لي بوجه لو تحيّر في الدجى أخو سفرٍ في جنح ليل سرى بهِ.

وقال أيضاً:

صل محبّاً، أعياه وصف هواه فضناه ينوب عن ترجمانهِ.
كلما راقه سواك، تصدت مقلتاه بدمعه ترجمانهِ.

وقال آخر:

ما ضرّ من قد أباح قتلي في حبّه لو أباح ريقهْ.
أبى فؤادي السلوَّ عنه لكنه ما أبى حريقهْ.

وقال آخر:

أقول والليل مرخيّ غياهبه والدَّير يسمعني حسّ النواقيسِ:
يا نفس كم مسرورٍ بلذّته وبين مُبلىً بتشتيت النوى قيسي.

وقال آخر:

يا من تنكَّدت الدنيا لغيبته أساخطٌ أنت عني اليوم أم راضي؟
أمرضت بالهجر قلب المستهام فما عليك، بالوصل لو داويت أمراضي؟

وقال آخر:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكَّل أجفاني برعى كواكبهْ.
فيا عبرتي سُحّي دماً لفراقه ويا كبدي صبراً على ما كواك به!

وقال آخر:

قلت له: ما ذا السواد الذي فيك تبدَّى؟ قال: ذا غاليه.
فقلت: قبِّلني إذاً قبلة فقال: خذها قُبلةً غالية.
فقلت: ما تغلو على عاشق في حبكم، ذي كبدٍ غاليه.

وقال آخر:

شافه كفّى رشأٌ بقبلةٍ ما شفت.
فقلت إذ قبَّلها: يا ليت كفّي شفتي!

وقال آخر:

لم يكفكم أخذ قلبه سلباً حتى أخذتم عن طرفه وسنهْ.
كم ليلةٍ بات للغرام وكم يومٍ وشهرٍ ما نامه وسنهْ.

وقال آخر:

يا من لحظاته أسودٌ وثبت قد صحّ هواك في فؤادي وثبت.
جرّدت لها سيوف صبري فنبت يا من غرس الهوى بقلبي فنبت.

وقال آخر:

يا من بحشاشتي - إذا غاب - سكن هيجت من الغرام ما كان سكنْ.
يا من شرع الصدود في الحبّ وسنّ من بعدك مهجورك ما ذاق وسنْ.

وقال آخر:

أهوى قمراً سفك دمي حلَّ له في أيّ شريعةٍ ومن حلَّله.
ما بلَّل شعره وما حلَّله إلا سمح البخيل وانحلّ له.

وقال آخر:

من بلَّل صُدغ قاتلي من سلسلْ؟ من أودع ثغره رحيقاً سلسل؟
من علّلني في حبّه؟ من سلسل؟ يا عاذل إن جهلت ما بي سل سلْ.

وقال آخر:

يا بانةً لحبّها في القلب أصلٌ قد نبت.
سيوف صبري عن سيو ف مقلتيك قد نبت.
تلك لحاظ أعين أم أسد غيلٍ وثبت؟
لواحظٌ لو برزت في يوم حربٍ، لسبتْ.
وعقرب الصُّدغ التي لكلّ قلبٍ لسبتْ.
أسناؤكم تاقت لها الن فوس يوماً وصبتْ.
لا سيما إن حملت نشرك ريح وصبتْ.
فخيلهم دون بلو غ السُّول فينا قد كبتْ.
أفدي حبيباً زارني فكم عدوٍّ قد كبتْ.
رعى حقوقي في الهوى عليه لمّا وجبتْ.
وسكَّن الأحشاء بال وصال لمّا وجبتْ.

وقال أيضاً:

من لفتى، جار علي ه طرفه فيما قضى؟
صبٌّ إذا الدهر قضى عليه بالبين، قضى.
يبكي على دهر تول ى بالتداني أو مضى.
تمطر عيناه إذا ال برق الشآمي أو مضا.

وقال آخر:

رمى حرَّ قلبي بهجرانه رشاً ما درى قدر ما قد رمى.
وقد كان قدّم إحسانه ولكنه قدَّ ما قدّما.
فتسليم أمري به للقضا ذخرت به أجر ما أجرما.

ومما قيل في الموشحات، فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين:

يد الإصباح، قدحت زناد الأنوار في مجامر الزَّهرِ.
دهر جذلان، واعتدال ريعان فما الإظعان؟ عن طلاً وغزلانْ.
راق الزمان، وشدت على البان ذات الجناح، وانثنت قدود الأشجارْ.
في الغلائل الخضرِ
لنا أجساد، للسرور تنجذب كما تنقاد، لربيعها العرب.
حتى الجماد، لا يفوته الطربُ طافت بالراح، سحبٌ فسكر النَّوّارْ.
من سلافة القطرِ.
إن انخلاعي، مع رشاً وصهباء لدى بقاع، حكت وشي صنعاء.
وللشعاع، لهبٌ على الماء وللرياح، في متون تلك الأنهارْ.
شبكٌ من التِّبر
وريم المي، بات بيده صدري كبدر تمّا، وسط غُرَّة الشهرْ.
شدوت لمَّا، راعني سنا الفجر قل للصباح: إن تدن بطرد الأقمارْ.
فمع الدجى نسري

وغصن مائل، الهلال أعلاه له من نابل، في النفوس قتلاه.
سيف الحمائل، غمده عذاراه طوع الجماح، إن يكن كثير النِّفارْ.
فهي عادة العفر
وقال ابن بقي:
ما بي شمول، إلا شجون مزاجها في الكأس، دمع هتون.
لله ما بذّر، من الدموع صبّ قد استعبر، من الولوع.
أودى به جؤذر، يوم البقيع فهو قتيل؛ لا بل طعينُ.
بين الرجا واليأس، له منون
خرجت للحين، كفى بكفّى وحيل ما بيني، وبين إلفي.
لا شك بالبين، يكون حتفي حان الرحيل، ولي ديونُ.
إن ردها العباس، فهو الأمين
أما ترى البدرا؟ بدر السعود قد اكتسى خضرا، من البرود.
إذا انثنى نضرا، من الفدود أضحى يقول: مت يا حزينُ.
قد اكتسى باليأس، الياسمينُ.
قلت وقد شرّد، النوم عنّي وآيس العوّد، السقم منّي:
صدّ فلما صدّ، قرعتُ سنّي جسمي نحيل، لا يستبينُ.
يطلبه الجلاّس، حيث الأنينُ.
تجاوز الحدّا، قلبي اشتياقاً وكلّف السهدا، من لا أطاقا.
قلت وقد مدّا، ليلي رُواقا ليلي طويل، ولا مُعينُ:
يا قلب بعض الناس، أما تلينُ؟
وقال سراج الدين عمر الكتّاني الحلبيّ، يمدح الملك المنصور صاحب حماة:
جسمي ذوى، بالكمد، والسهر، والوصب، من جاني
ذي شنب، كالبرد، كالدّرر، كالحبب، جماني.
لي غصن بانٍ نضرُ يسبيك منه الهيفُ.
يرتع فيه النظر فزهره يُقتطفُ.
والخدّ منه قفرُ والجسم منه ترفُ.
قد جاءنا يعتذرُ عذاره المنعطفُ.
ثم التوى، كالزرد، مُعبقري، مُعقربي، ريحاني
في مذهبٍ، موَّرِدٍ، مدنَّرٍ، مكتَّبٍ، سوساني.
ظبيٌ له مرتشفُ كالسلسبيل الباردِ.
غصن نقاً ينعطفُ من لين قدّ مائدِ.
بدرٌ علاه سدف من ليل شعرٍ واردِ.
مقرطقٌ مشنَّف يختال في القلائدِ.
بين اللّوى، وثهمدٍ، كجؤذرٍ، في ربرب، غزلاني
ذي ضرب، ذي غيد، ذي حور، ذي هُدبٍ، وسناني.
أما وحلى جيده! ورنَّة الخلاخلِ!
والضمِّ من برودهِ قدَّ قضيبٍ مائلِ.
والورد من خدوده، إذ نمَّ في الغلائلِ.
لا كنت من صدوده متصلاً بعاذلِ!
نار الجوى، لا تخمدي، واستعري، وكذِّبي، سلواني

وأسبلي، واطردي، وانهمري كالسُّحب، أجفاني.
مولاي جفني ساهر مؤرَّق كما ترى.
فلا خيالٌ زائرُ يطرقني ولا كرى.
إنِّي عليلٌ صابر فما جزا من صبرا؟
إن سحَّ دمعي الهامرُ فلا تلمه إن جرى.
جال الهوى، في جلدي، ومضمري، أضرَّبي، كتماني
مؤنِّبي، اتَّئد، لا تفتر. وجنِّب، عن عاني.
إن صال بالهجر وصد رحت بصبري مرتدي.
عنه وإن طال الأمد إلى ذُرى محمدِ.
وكيف يخشى من قصد ملكاً كريم المحتدِ.
الملك المنصور قد سما سماء السُّودد.
ثم استوى، بأجرد، مضمَّر، ومقضب، يماني
ذي شُطب، وسمهري. مضطرب، مُرَّاني.
ملكاً علت همَّاته من فوق هام المشتري.
وبخَّلت راحاته سُحَّ السحاب الممطرِ.
وعوِّذت راياته بمحكمات السُّورِ.
بدرٌ بدت هالاته من الصباح المسفرِ.
تحت لوى، منعقد،بالظَّفر، في موكب، فرساني
كالأشهب، في الأسعد، كالأقمر. في أعذب، سيحاني.
يا ملكاً دون الورى تخطبه الممالكُ.
ومالكاً إذا سرى تحجبه الملائكُ.
بعض عطاك هل تُري جادت به البراملكُ.
فاستجلها من عُمراً ثغر مناها ضاحكُ.
لا يُجتوى: كالشُّهد، كالسُّكَّر. كالضَّرب، معاني
كالسُّحب، كالعسجد، كالجوهر، من حلبِ، كتَّاني.
انتهى ما أوردناه من الغزل والنسيب في هذا الموضع؛ وقد آن أن نأخذ في ذكر الأنساب وبالله التوفيق.

الباب الرابع من القسم الأوّل من الفن الثاني
الأنساب

قال الله تعالى: "يا أيُّها الناس إنَّا خلقناكم مِنْ ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا". ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم، لأنها احترزت على معرفة نسبها، وتمسكت بمتين حسبها؛ وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها؛ واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها، ومالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها؛ ونفت الدعيّ فيها، ونطقت بملْ فيها.
وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكتفى به، ويتمسك بأسبابه. وقد وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجوّاني فرفعت له علماً، ونصبت له إلى المعالي سلماً: لأنه أتقن أصولها، وحرر فصولها؛ وأورد فيها من الأنساب ما ينتفع به اللبيب، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب. فوجدته بدأ فيها

بذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بآبائه، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه. فرأيت أن أسرد النسب من أصله، وأبدأ بآدم عليه السلام، ثم بنسله؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر. وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشر؛ إلى أن أنتهي إلى اسمه الشريف فأجعله خاتمة النسب، وأتمسك من شريعته ومحبته بأوثق سبب. وأرجو ببركته بلوغ مآربي، ونجح مطالبي؛ وستر عيوبي، ومغفرة ذنوبي؛ وتزكية عملي، وسدّ خللي، والتجاوز عن سيئاتي، والمسامحة بفلتاني ولفتاتي؛ والخيرة في حركاتي وسكناتي.

هذا والله رجائي من كرم ربي، وإن قل عملي وكثر ذنبي؛ وعلى الشريف العمدة فيما أوردته، والعهدة فيما نقلته؛ فمن تأليفه نقلت، وعلى مقالته اعتمدت.

قال السيد الشريف نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجوّاني، النسابة رحمه الله: إن جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها، وأسست عليه بنيانها، عشر طبقات.

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان، والجذم القطع، يقال: جذم وجذم؛ وذلك لما كثر الاختلاف في عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك، وشق على العرب تشعب المناهج فيه وتصعيب المسالك؛ قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان، واقتصر على ذكر ما دونهما، لاجتماعهم على صحته. ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتسب إلى معدّ بن عدنان: "كذب النسابون فيما فوق ذلك" لتطاول العهد. فمن كان من ولد قحطان، قيل يمنيّ. ومن كان من ولد معدّ بن عدنان، قيل خندفي، أو قيسي، أو نزاري، وإن كان الجميع داخلاً في نزار، أعني معدّ بن عدنان؛ وإنما كان بعد نزار جماجم استغنى بالنسبة إليها عن نزار بن معدّ بن عدنان؛ ولأن جمهور العلماء طبقوا النسب على ما قدّمناه أربع طبقات: خندقيّ، وقيسيّ، ونزاريّ، ويمنيّ. فقولهم: خندقي أي كل من يرجع إلى الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان؛ وهو جمّاع خندف، فتوسعت العرب في ذلك إلى أن قالوا: إلياس هو خندف، لأن ولده وهم مدركة، وطابخة، وقمعة، أمهم خندف، وهي ليلى بنت حلوان بن عمران، بن إلحاف بن قُضاعة، خندفت في طلب ولدها أي أسرعت، فقال لها إلياس: مالك تخندفين؟ أي تهرولين فسميت خندف، فرجع إلى خندف أبطن عدة: كمزينة، والرِّباب، وضبَّة، وصوفة، والشَّعيرا، وتميم، وهذيل، وأسد، والقارة، وكنانة، وقريش، فقيل لولد إلياس خندف ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أباً لمن أمه خندف لا غير ولا ولد له إلا من خندف. ولذلك نظائر وأشباه في العرب، كما قيل

لمالك بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر: "عائدة" لأن أم ولده عائدة بنت الحمس بن قحافة الخثعميَّة.
وكما قيل لعوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر: "عكل" لأن أمةً يقال لها عُكل حضنت ولده. وكما قيل لعمرو بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس: "مزينة" لأن أم ولده مزينة بنت كلب بن وبرة القضاعية.
وكما قيل لعمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار "جديلة قيس" لأن أم ولده جديلة بنت مُرٍّ، أخت تميم بن مر، بن أُدٍّ بن طابخة. وكما قيل للحارث بن عديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان "عاملة" لأن أم ولده عاملة بنت مالك بن وديعة القضاعية. وكما قيل لأشرس بن السكون بن أشرس بن كندة "تُجيب" لأن أم ولده تجيب بنت ثوبان المذحجية، وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم.
وأما قولهم قيسيّ، فالمراد به من ولد قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، ويكون عيلان هاهنا أخا إلياس بن مضر، وكان اسم إلياس عيلان. وقال الوزير ابن المغربي: هو الناس بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والناس. ومن العلماء من قال: إن عيلان كان حاضناً، حضن قيساً وليس بأب فيقول قيس عيلان بن مضر، مضاف إليه بغير ذكر البنوة، كما قيل في فخذ من قضاعة سعد هذيم، وهذيمٌ حاضن، وغير ذلك في العرب كثير والأوّل أصح. وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذي قيل لقيس به قيس والله أعلم.
وذهب قوم إلى أن ولد معدّ بن عدنان كلهم يقال لهم: قيس وهو خطأ، وإنما هم يجوّزون ذلك على وجه بعيد ليميزوا بالعزوة إلى ذلك بين يمن وغيرها: فيقولون: قيس ويمن، فيظن السامع أنهما أخوان، وأين قيس من قحطان جدّ يمن: لأن قحطان أبا اليمن هو أخو الجدّ العشرين لقيس: وهو فالغ بن عابر، وقحطان بن عابر. وسيرد ذلك في سرد النسب بعون الله ومشيئته.
وبيانه ها هنا أن قيس بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معدّ، بن عدنان، بن أد، بن أدد، بن اسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، بن تارح: وهو آزر بن ناحور، بن ساروغ، بن أرغو، بن فالغ، بن عابر، ففالغ أخو قحطان، وقحطان هو الجد الذي ترجع إليه يمن كلها؛ وهو أحد جذمي النسب كما تقدّم.
فقد بان أن قول من يقول قيس: ويمن قبيلة ليس بشيء، وإنما قال ذلك لولد معدّ بن عدنان إشارة لإعلام السائل إذا سأل المعديّ من أيّ نسب هو، فكأنه يقول له من البطن التي منها قيس. وهذا بعيد وشاذ. ومما يؤكد بعده أنا إذا جوزنا ذلك لمن ينتسب إلى جمجمة فوق قيس كربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، وإياد بن نزار وغير ذلك وإن كان بعيداً فكيف يجوز أن

يطلق ذلك على قريش. فنقول: هم قيس، وإنما قريش بنو فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وإلياس هو عم قيس فيكون قريش دون قيس بهذه العدّة، فلا يجوز أن يقال: إن قريشاً من قيس، وقيس إنما هو ابن عم الأب السادس من قريش: وهو مدركة؛ ولو كان عمّاً له، لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال تعالى: "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق"، والذي ذهب إلى أن العم أب قال: أنا أطلق على ولد معدّ بن عدنان قيساً لأن قيساً منهم، فأقول: قريش من قيس. وهذا بعيد من وجه أن قيساً ليس بعم لقريش، وإنما هو ابن عم، ولا ترجع العزوة في الانتساب إلى ذيل الأعقاب، إنما يعزى لأعلى النسب؛ لا لأسفل العقب؛ ولو صح ذلك، لعُزى الإنسان لابن ابن عمه وهذا لا يصح.

فقد وضح أن العزوة إلى قيس لا تصح إلا لمن يرجع إليه بالولادة منه: لأن ربيعة وإياداً ابنى نزار أعلى منه، فلا يصح أن يعزوا إليه؛ وقريش وكنانة أسفل منه فلا يصح أن يعزوا إليه. وبالجملة فإنه ابن عم لهما، أعني قريشاً وكنانة، وأخ لهما أعني ربيعة وإياداً؛ ولا يجوز أن يعزى الأب إلى ابنه إذ كانت النسبة في ذلك لا ترجع إلى الابن إنما ترجع إلى الأب. ولو اعتمد ذلك في الأنساب لاختلطت العزوة إلى كل أب بالأب الآخر فلم يتميز، ولم يقف عند حدّ دون الآخر. وهذا يؤول إلى الجهالة بالأبطن والأفخاذ والعشائر.

وأمّا شهرة العزوة إلى قيس، فلما فيها من الجماجم والرءوس والقبائل والأرحاء وهي عند النسابين أكبر من تميم ومن بكر ابني مُرّ بن أد بن طابخة؛ إذ كان في قيس بنو عبس، وذبيان وغطفان، وأعصر، وهوازن، وعدوان، وفهم: وهم جديلة قيس، وسليم، وثقيف، وعامر، وجشم، ونصر، وبكر، وسعد، وسلول، وربيعة، وكلاب، وقشير، وحبيب، وعُقيل، وحريش، وخفاجة، وطهفة، وغير ذلك من الأفخاذ والعشائر التي تشرح في مواضعها بمشيئة الله وعونه.

وأما نزار بن معدّ بن عدنان، ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر: كبني ربيعة الفرس، وضبيعة أضجم، وأكلب، وأسلم، ويقدم، وأجلان، وهميم، وعبد القيس، ودهن، والنَّمر، وتغلب، ووائل، وبكر، وصعب، وعلي، وحبيب، وعنزة، وعنز، ورفيدة، وإراشة، ويشكر، وعكابة، وعجل، ولجيم، وحنيفة، وزمَّان، والدول، وشبيان، ودُهل، ومازن، وسدوس، وبليّ، وعوف، وبدر، ومعن، ودُعميّ، وزهرة، وحُذاقة. فأما أنمار بن نزار، فانقلب في يمن كما انقلبت قضاعة في غير ذلك من الأفخاذ والعشائر مما بين في موضعه إن شاء الله تعالى والحمد لله. وأما يمن،

فهم أولاد قحطان، بن عابر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح عليه السلام.
وفيها عدّة جماجم وقبائل وأبطن وأفخاذ وعشائر: كسبأ، وطيء، والأشعر، وحمير، وقُضاعة، وغسان، وأوس، والخزرج، والأزد، ولخم، وجذام، وعاملة، وخولان، وغافق، ومذحج، وحرب، وسعد العشيرة، ومعافر، وهمدان، وكندة، وكلب، ومهرة، وصنهاج، وبارق، وبجيلة، وثعلبة، ودرما، وزريق، وعنيز، وعتَّاب، وبُحتر، وجرم، ومراد، وعبس، وجُعفيّ، وسلمان، وتجيب، وصدا، والنَّخع، والصَّدف، وحضرموت وغير ذلك.
وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأفخاذ وعشائر مختلطة، وما قصدنا فيها الترتيب، على طبقات النسب والتعقيب، وإنما جئنا من كل عزوة ببعض مشاهيرها التي تنسب إليها: ليتبين بعضها من بعض ويعلم غرضنا في تحرير ما قدمناه والله أعلم.
وأما عزوة العرب إلى يمن: وهم ولد قحطان، فلكونهم نزلوا اليمن؛ وكان منهم ملوك الحيرة وأصحاب سدّ مأرب فتيامنوا، فنسبوا إلى اليمن. وقيل: إنما قيل لهم: يمن بأيمن بن هميسع بن حمير، وهو جدّ الملوك التبابعية؛ والأوّل أولى. وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه إلى اليمن، لأجل أن الملوك كانت في اليمن: مثل آل النُّعمان بن المنذر من لخم، وآل سايح من قُضاعة، وآل مُحرق، وآل العرنجج وهو حمير الأكبر بن سبأ كالتبابعة والأذواء وغيرهم. والعرب يطلبون العزّ ولو كان في شامخات الشواهق وبطون الأمالق البوالق فينتسبون إلى الأعز لحماية الحمية وإباءة الدنية وسكون النفوس إلى نفيس الكثرة والعصبية بطريق دقيق في النظر لا على الظن المشتهر: كما جرى لقضاعة بن معدّ بن عدنان لما خلف على أمه الجرهمية بعد مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير أباه معد بن عدنان؛ فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة فنسبه العرب إلى زوج أمّه مالك بن مرة، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه. وقيل إن اسم الجرهمية: قضاعة، فلما جاءت بولدها سمته باسمها. وقيل بل كان اسمه عميرا فلما تقضع عن قومه أي بعد سمى قضاعة. والعادة عند العرب أن تنسب الرجل إلى زوج أمّه؛ ألا ترى أنها قالت في عبد مناة بن كنانة: بنو علي وهو علي بن مسعود الأزديّ وكان حضن بني أخيه لأمّه وهم بكر وعامر ومرة أولاد عبد مناة بن كنانة، فغلب اسمه عليهم لما تزوج أمّهم هند ابنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه، فضم إليه بني أخيه المذكورين مع أمّهم هذه، وهم صغار فربوا في حجرة
فنسبهم العرب إلى علي. وسيأتي من هذا الباب أمثال له في مواضعها إن شاء الله تعالى.
الطبقة الثانية الجماهير
والتجمهر: الاجتماع والكثرة؛ ومنه قولهم: جماهير العرب أي جماعتهم، ومنه ترجمة مجموع لغة العرب "الجمهرة" الكتاب

الذي ألفه أبو بكر بن دريد وجمهرة "الأنساب" أي مجموعها والله أعلم.
والطبقة الثالثة الشعوب، وأحدها شِعب؛ ويقال شَعب؛ ويقال في القبيلة بالفتح وفي الجبل بالكسر: وهو الذي يجمع القبائل وتتشعب منه، ويشبه بالرأس من الجسد؛ قال الله تعالى: "يا أيُّها النَّاس إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى" الآية.
والطبقة الرابعة القبيلة، وهي التي دون الشعب تجمع العمائر؛ وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد؛ وهي بمنزلة الصدر من الجسد.
الطبقة الخامسة العمائر، وأحدها عمارة: وهي التي دون القبائل. وتجمع البطون؛ وهي بمنزلة اليدين.
والطبقة السادسة البطون، وأحدها بطن: وهي التي تجمع الأفخاذ.
والطبقة السابعة الأفخاذ، وأحدها فخذ وفخذ، مثل كبد وكبد: وهي أصغر من البطن. والفخذ تجمع العشائر.
والطبقة الثامنة العشائر، وأحدها عشيرة: وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء. وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم، قال الله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين". فدعا النبي صلى الله عليه وسلم علياء قريش إلى أن اقتصر على بني عبد مناف؛ وهم يجتمعون معه في الجدّ الرابع. فمن ها هنا جرت السنة بالمعاقلة إلى أربعة آباء؛ وهم بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأفخاذ.
والطبقة التاسعة الفصائل، وأحدها فصيلة؛ وهم أهل بيت الرجل وخاصته؛ قال الله تعالى: "يودُّ المُجْرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه" وهي بمنزلة القدم.
والطبقة العاشرة الرهط، وهم رهط الرجل وأسرته: بمنزلة أصابع القدم. والرهط دون العشرة، والأسرة أكثر من ذلك، قال الله عز وجل: "وكان في المدينة تسعة رهطٍ". قال السيد أبو طالب في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأحضرت عند البيت رهطي وأسرتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل.

ورهطه بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة. وأسرته من بني عبد مناف الذين عاضدوه في نصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
تمثيل التفصيل - عدنان جذم، قبائل معد جمهور، نزار بن معد شعب، مضر قبيلة، خندف عمارة: وهم ولد إلياس بن مضر، كنانة بطن قريش فخذ، قصي عشيرة، عبد مناف فصيلة، بنو هاشم رهط.
وحيث انتهى القول في ذكر الطبقات فلنأخذ الآن في بسط النسب وسرده فنقول وبالله التوفيق.

أصل النسب أبو البشر آدم عليه السلام
وإدم هو الجدّ الخمسون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمود النسب الطاهر المحمديّ من آدم عليه السلام في ابنه شيث بن آدم عليهما السلام: وهو هبة الله، وأمّه حواء أمة الله. ولما قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل، ولد شيث؛ وقال آدم عليه السلام: هذا هبة من الله وخلف صالح. وهو الذي بنى الكعبة - شرفها الله تعالى - بالطين والحجارة على موضع الخيمة التي كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنة. وقال وهب: إن الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة، ورزق عدّة من البنين والبنات. والعقب منه في ابنه أنوش بن شيث وأمّه لبود ابنة آدم عليه السلام. وهو الذي غرس النخلة وزرع الحبة، ونطق بالحكمة؛ وتدعى أمّه محوايلة البيضاء. والعقب منه في ابنه قينان بن أنوش، وله ولد اسمه أروى أعني لأنوش، اعقب وانقرض عقبه. والعقب من قينان في ابنه مهلائيل بن قينان ولم يرزق غيره. والعقب منه في ولده يارد بن مهلائيل. وكان ليارد اخوة.
والعقب من يارد في ابنه أخنوخ بن يارد، وهو إدريس النبي عليه السلام، وأمّه تدعى بره. قيل سمي إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التي أنزلها الله تعالى عليه؛ وهو أوّل من خطّ بالقلم، وكان له اخوة انقرضوا.
والعقب منه في ابنه متوشلخ بن أخنوخ، وأمّه بروخا. وعقبه في ابنه لمك بن متوشلخ، واسمه لامخ.
والعقب منه في ابنه نوح النبيّ عليه السلام، وأمّه قينوش إبنة بركائل بن محوايل، وهو عليه السلام آدم الثاني: لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلا من نوح وولده. واخوة نوح عليه السلام جماعة: منهم صالح بم لمك، وسقطان، ومنان، وترسيس، وصدفا؛ وكان لهم أولاد انقرضوا كلهم والعقب من نوح لا غير؛ ورزق لمك والد نوح عليه السلام نوحاً، وله من العمر مائة واثنان وثمانون سنة؛ وتوفي وقد مضى من عمر نوح خمسمائة سنة.
واختلف في عمر نوح: فقيل عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً: ستمائة قبل الطوفان وثلاثمائة وخمسين سنة بعده. وقيل بل لبث قبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً. على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في قصته في التاريخ. وعمود النسب من نوح في ابنه سام بن نوح عليه السلام؛ وسام هو الجدّ الأربعون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمّه عمردة. واخوة سام حام، ويافث، وبوناطل، وسالوم وهو الذي غرق في الطوفان.
وأما سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل في ذريته الكتاب والنبوة والملك والجمال والبياض، ونزلوا ما بين ساقيد إلى البحر، وما بين البحر إلى الشام: وهو وسط الأرض، والحرم وما حوله، والحرم إلى حضرموت، وإلى عمان، وإلى عالج والدهناء.

والعقب من يافث بن نوح طرسوس، وهمذان، والجبال، والجزر، وفرنجة، والصقالبة الذين على تخوم القسطنطينية، واشكار، والترك، وقبرس، ويأجوج، ومأجوج، وكومر، والمصيصة، وأدنه، وروادنيم، وماسج، وخراسان، وباوال، ويونان، وبرجام، وكرد بن مرد بن يافث.
قال: وهذه رواية العلماء بالنسب، سنذكر خبر كرد بعد هذا في موضعه. ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون؛ كان منهم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره.
وولد بوناطل بن نوح: وهو الذي عقد الأولوية للناس حين تفرقوا: الأرغار، والبعاس، والدكايك، والدمشق؛ وهم أمم لا يحصون خلف صين الصين. والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنوب، والزنج، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرايم أو اسمه مصر بن حام.
وذكر صاحب الشجرة: أن مصرايم أعقب من ابنه لوديم، وأن لوديم أعقب قبط مصر بالصعيد، والبيهيم، والتفوحيم، والبرنسيم، والكشلوجيم، والقابدقابين، ومودشايا، وكوشابا، وهبورشابا.
قال: وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام، وأندلش، وكوشان؛ فولد قوط بن حام مصر، فولد مصر بن قوط قبط: وهم قبط مصر؛ وبهم سمِّيت مصر مصر. قال: هذا قول شيوخنا. وذكر أهل التاريخ: أن مصر سُميت بمصر بن بيصر بن حام؛ كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء.
وقال أبو المنذر النسابة في روايته: إن السند والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع بن نون إلا بقية منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان: وهم الذين ما بين مصر إلى بلاد السودان، ومنهم البربر والبجة.
وذكر صاحب الشجرة: أن كوش أبو الحبش، وأنه كوش بن حام، وأنه أعقب من نمرود أبي ملوك بابل، ومن أحويلا وهو الواحات، ومن سُفنا وهو أبو زغاوة، ومن سبأ، ومن سفخا: وهو أبو الدمدم، ومن رعماوهو أبو البقاقو من السودان، والعقب من رعما هذا من سبأ أبي الهند ومن دادان أبي السند.
وذكر أبو المنذر النسابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة، وحمص، وارودي، وطرابلس، وصيدون، وهي صيداء، وحاث، ونفوسة، وهوارة، ومزاتة، وامورا، وكركاسي، ومزانة من البربر.
قال الجوّانيّ: وهذا كلّه بيِّن الخلاف بين النسابين؛ ومن النسابين من يلحق لواتة وهم ولد برّ بالبربر هذا بن كنعان بن حام، ومن اللواتيّين من يقول فيهم: إنهم قيس، ويعبرون أنهم من ولد جابر بن بغيض، بن ريث، بن غطفان؛ وأنّ جابراً جدّهم عمّ فزارة. ومن لواتة ومزاتة من يزعم أنهم قوم نافلة صاروا إلى بلد البربر، وأن البربر إنما هم هوّارة، وصنهاجة، وأن أباهم

تزوّج امرأة منهم يقال لها: تصوين، فنسبوا إلى أمهم، وهوّارة تزعم أنهم قوم نافلة من يمن جهلوا أنسابهم.
وولد لواتة بن برّ: وهو لواتة أربعة أفخاذ: وهم زُنَّارة ومصَّانا ونيطا وتطوفا؛ ولكل فخذ من هذه الأفخاذ عدّة عشائر، حصل الإضراب عن ذكرها رغبة في الاختصار. فلنرجع إلى عمود النسب فنقول: إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح في ابنه أرفخشذ بن سام؛ وأمّه من بنات الملوك.
وكان سام من الأولاد غير أرفخشذ: إرم ولاوذ وأشوذ وغليم وماش والموصل ولد وأبو الأرمن وخوزستان أولاد سام. وفيهم خلاف عند النسابين. والعقب من إرم بن سام من عوص وجائر وماشٍ وأهلوا وإيران أولاد إرم. فالعقب من أهلوا بن إرم بن سام: قادسان. والعقب من أكراد جدّ القبيلة المعروفة بالأكراد، في قول أكثر النسّابين. ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بني عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسيّ كما نذكره في بني هوازن.
وفي الأكراد عدّة بطون: كالحلالية والمروانية وغيرهما. وقد ذكر بعض النسابين أن كرد بن مُرد بن يافث بن نوح. وفي ذلك خلاف. والعقب من عوص بن إرم بن سام: عاد، وبه سميت عاد إرم. والعقب من ماشٍ بن إرم بن سام من نبيط: وهو نبط سواد العراق. والعقب من جاثر بن إرم: ثمود وجديس. فالعقب من ثمود بن جاثر: فالج وهيلع وبنوق وأرام؛ من ولده صالح النبي عليه السلام ابن أسف بن كماشج بن أرام بن ثمود.
والعقب من لاوذ بن سام: عمليق وهو أبو العمالقة والفراعنة والجبابرة بمصر والشام، وطسم بن لاوذ وأميم بن لاوذ.
وفرعون موسى: هو الوليد بن مصعب ابن أسمير بن الهون بن عمليق بن لاوذ بن سام.
وولد الفرس أشور بن سام: تيرش وهم الفرس؛ وبهم سميت فارس؛ ومنهم الأكاسرة. وولد غليم بن سام: خوزان وهم الخوز الذين مساكنهم بلاد الأهواز مما يلي بحر الصين. فلنرجع إلى سرد عمود النسب فنقول: إن عمود النسب منه في شالخ بن أرفخشذ وكان له من الأولاد غير شالخ مالك وقينان ابنا أرفخشذ. قال: وزعموا أن قينان أول من نظر في علم النجوم بعد الطوفان واستنبط ذلك من تنور صفر كان فيه علمها قبل الطوفان، ودفن في الأرض فاستخرجه وعلم ما فيه.
والعقب من شالخ في ابنه عابر بن شالخ، وعابر: هو هود النبي عليه السلام؛ وأمه مرجانة وهو جماع النسب. وله من الأولاد: فالغ، وفيه عمود النسب، وهو أبو قريش وقحطان ويقطن.
فولد يقطن بن عابر: جرهم بن يقطن، كانوا ولاة البيت الحرام فمكثوا ما شاء الله، ثم استحلوا المحارم، وكثرت فيهم المآثم، فأخرجهم الله تعالى من جوار بيته، ورماهم بالفناء فلم يبق منهم أحد. وفيهم يقول القائل:

وبادوا كما بادت بقية جرهم

وقحطان بن عابر هو أبو اليمن كلها، وجذم نسبها.
وولد قحطان هم العرب المتعربة؛ إذ العرب ثلاث فرق: عاربة ومتعربة ومستعربة. فأما العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح: وهم عاد، ثم ثمود، ثم أميم، ثم عبيل، ثم طسم، ثم جديس، ثم عمليق، ثم جرهم، ثم وبار. فعاد وعبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح، وطسم وعمليق وأميم: بنو لاوذ بن سام؛ وثمود وجديس ابنا جاثر بن إرم بن سام؛ ووبار وجرهم ابنا فالغ بن عابر: فهذه العرب العاربة.
وأما المتعربة فهو بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم. وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم: وهم بنو عدنان بن أد.
قال الشريف الجواني: وهذا مختصر من نسب اليمن. قال: إن العقب من قحطان بن عابر من يعرب بن قحطان: وهو الذي زعمت يمن العرب إنما سميت عربا به وأنه أول من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن فهو أبو اليمن كلها. وذكر بعض النسابين أن حضرموت بن قحطان، وإليه ينسب كل حضرمي. وقيل. حضرموت من ولد حمير، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير. قال: وعلى ذلك اعتماد شيوخنا في النسب.
وقال آخرون: هو حضرموت بن يقطان بن عابر. فولد يعرب بن قحطان: يشجب؛ فولد يشجب بن يعرب: سبأ واسمه عبد شمس؛ وإنما سمي بسبأ لأنه أول من سبى من العرب، فولد سبأ بن يشجب: حمير وكهلان. وقالت طائفة من النسابين: ومراء بن سبأ. فولد مراء بن سبأ: شعبان قبيلة وصريحان قبيلة، ولهم عدد ومدد.
وولد حمير بن سبأ بن يشجب: مالكا عامرا وعوفا وسعدا ووائلة وعمرا وهميسعا. فأما عمرو بن حمير فهم آل ذي رعين ملوك اليمن: وهم بنو الحارث بن عمرو بن حمير. ومن النسابين من ينسب ذا رعين إلى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير: وهم عشيرة ذي أصبح وعشيرة سيف بن ذي يزن.
قال: وشيوخنا في النسب ينسبون التبابعة الملوك إلى أيمن بن هميسع بن حمير ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أيمن.
وأما عامر بن حمير، فمنه قبائل يحصب كلها، وهو يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير. قال: ومن شيوخ النسب من قال: يحصب بن ذي يزن بن ذي أصبح بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حمير الأصغر. وأما هميسع بن حمير فمن ولده: صنهاجة: القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب وفي ذلك خلاف؛ وهي من بني زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير، وصنهاجة اسم الجد للقبيلة كلها: وهو

صنهاجة بن المثنى بن المسور بن يحصب بن ذي يزن بن ذي أصبح بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع المذكور.
قال: وإلى ذي أصبح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الأصبحي.
وقيل: ذو يزن بن أسلم بن زيد، وذو أصبح بن مالك بن زيد. قال: ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس هذا الذي في عمود النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو: وهم شعبان بن عمرو وحيران بن عمرو وحضرموت بن عمرو؛ وحضرموت هذا هي القبيلة التي ينسب إليها كل حضرمي وقد تقدم ذكره.
وأما سعد بن حمير، فمنه السلف البطن المشهورة، وأسلم بطن: وهما ابنا ربيعة بن سعد بن حمير.
وأما وائلة بن حمير، فمنهم السكاسك: وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهي غير سكاسك كندة.
وأما مالك بن حمير فمن ولده قضاعة: وهم قضاعة بن مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ما نذكره. وقيل: إنها من ولد معد بن عدنان وفي ذلك يقول القائل:

أبوكم معد كان يكنى ببكره قضاعة ما كنى به من تجمجما.

ومن قضاعة ثلاث بطون: وهم عمران بن الحاف بن قضاعة وعمرو بن الحاف وأسلم بن الحاف بن قضاعة.
فأما البطن الأولى من قضاعة: وهم ولد عمران، فأعقب حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من خمس قبائل: وهم تغلب الغلباء، ويقال: تغلبي قضاعي أو يمني، يراد به هذا الأب؛ وتغلبي معدي أو نزاري، فيراد به تغلب بن وائل بن قاسط الذي في أسد بن ربيعة بن نزار؛ وعشم بن حلوان، وزبان بن حلوان، وعمرو بن حلوان وهو سليح وتزيد بن حلوان بالتاء باثنتين من فوق وفتحها.
والعقب من تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة: وبرة بن تغلب. والعقب من وبرة بن تغلب من خمس أفخاذ: كلب بن وبرة، وإليه ينسب كل كلبي، وفيهم عدة أفخاذ وعشائر: كبني عوف وبني ضمضم وبني غليم وبني زهير وبني كنانة، والجميع عشائر يرجعون إلى عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب، وعرينة بن ثور بن كلب بن وبرة، وإليه يرجع كل عرني، وأسد بن وبرة، والبرك بن وبرة، والنمر بن وبرة، والتغلب بن وبرة، وفهد، وضبع، ودب، وسيد، وسرحان، وذئب أولاد وبرة بن تغلب الغلباء.
فمن أسد بن وبرة: بنو القين بن جسر بن شيع الله بن أسد، وتنوخ: وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن

أسد؛ وإلى تنوخ هذا ينسب كل تنوخي؛ وإليه يرجع أبو العلاء المعري الشاعر.
وأعقب نمر بن وبرة بن تغلب في ثلاث أفخاذ: خشين، وإليه يرجع كل خشني وهو نمير، منهم أبو ثعلبة الخشني الصحابي رضي الله عنه؛ ومشجعة بن تيم بن النمر بن وبرة، وإليه يرجع كل مشجعي، وغاضرة بن النمر وعاتية بن النمر إلا أنهما دخيلان في سليم. قالوا: عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور.
وأما زبان بن حلوان فأعقب من جرم بن زبان، وإليه يرجع كل جرمي. وفي جرم عدة بطون: منها ملكان بن جرم بفتح الميم واللام؛ بطن. وأما عمرو بن الحاف بن قضاعة فأعقب من ثلاث أفخاذ: بلي بن عمرو، وبهراء بن عمرو، وحيدان وعريد بن حيدان، وقيل: حدان بن عمرو؛ وإلى بلي هذا ينسب كل بلوي ككعب بن عجرة البلوي، وبنو العجلان، وبنو أنيف، وبنو عصية: وهم كلهم حلفاء الأنصار: بني عمرو بن عوف من الأوس وهي قبائل من بلي في الأنصار، منهم: المجذر بن زياد وطلحة بن البراق، وأبو بردة بن نيار الصحابي بلوي حليف الأنصار واسمه هانئ.
وأما بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فإليه ينسب كل بهراني كالمقداد بن الأسود الكندي ولم يكن كندياً ولكن كان بهرانياً قضاعياً: لأنه المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي هون بن قيس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء. وإنما قيل المقداد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة تبناه لحلف كان بينهم فنسب إليه، وكان أبوه عمرو حليفا في كندة. وفي بهراء بطون.
وأما حيدان، ويقال: حدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فمن بطونه خمس: عريب بن حيدان، وتزيد بن حيدان؛ وإليه تنسب الثياب التزيدية، ومهرة بن حيدان. وإلى مهرة هذا ينسب كل مهري، وفي مهرة أفخاذ، وحيادة بن حيدان.
وأما أسلم بن الحاف بن قضاعة، فأعقب من فخذين: حوتكة وسود؛ فأما سود بن أسلم بن الحاف، فأعقب من زيد وليث ابني سود، وأعقب زيد بن سود من أربع بطون: جهينة، وإليه يرجع كل جهني، ونهد: رهط أبي عثمان النهدي؛ وإليه يرجع كل نهدي، وسعد هذيم، وعذرة؛ وإليه يرجع كل عذري أولاد زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وقال ابن الكلبي: عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن كلب بن وبرة.
فأما جهينة بن زيد، فرهط عقبة بن عامر الجهني الصحابي. وفي جهينة الحرقة وهم بنو أحمس بن عامر بن مودعة بن جهينة. وفي نهد بن سود المقدم ذكره: بنو حرقة بن خزيمة بن نهد. وفي عذرة بن زيد بن سود بن أسلم: بنو ضنة بالنون بن عبد بن كبير بن عذرة بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

ومن ولد ليث بن سود بن سلم: بنو علة بكسر العين مشددة اللام بن غنم بن سعد بن زيد بن ليث بن سود، وفي سعد هذيم بن زيد بن سود: بنو علة بن غنم بن ضنة بن سعد هذيم بن زيد بن سود بن أسلم.
قال: فهذا نهاية الاختصار في نسب حمير. وهذا ولد كهلان أخيه. قال: وولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر عليه السلام: زيدا، فولد زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن قحطان: مالكاً وعربياً وهما فخذان. فالعقب من عريب بن زيد بن كهلان من يشجب. والعقب من يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان من زيد بن يشجب. والعقب من زيد هذا: أدد بن زيد بن يشجب. والعقب من أدد في طيء بن أدد، واسمه جلهمة؛ وهو البطن العليا، وإليه ينسب كل طائي، والأشعر بن أدد، وإليه يرجع كل أشعري، واسم الأشعر نبت، وإنما قيل له الأشعر: لأنه ولد أشعر الجسد، ومالك بن أدد وهو مذحج، وإليه يرجع كل مذحجي. وقيل: إن مذحج أم مالك بن أدد فنسب إليها ولدها. وقيل: بل هي أكمة حمراء ولد عليها مالك، فعرف بها ولده. وقيل: بل اجتمعوا على الأكمة باليمن، والأكمة تسمى مذحج، فقالوا: تعالوا نجعل مذحجاً أماً.
وذكر ابن عبد البر في روايته: أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثر القبائل في الجنة مذحج": ومذحج إحدى الجماجم التسع من جماجم العرب، سموا جماجم لأن ميلادها استوى بميلاد قبائل بإزائها من أفناء العرب، ثم تفرعت منها قبائل اجتزأت بأسمائها والانتساب إليها فبعدت واكتفت بانتسابها إليها. ومرة بن أدد: أربع أبطن لأدد. والعقب من طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان من فخذين: فطرة
والغوث ابني طيء. والعقب من فطرة بن طيء بن أدد من سعد بن فطرة. ومنه في خارجة بن سعد ومنه في جندب، ومنه في رومان بن جندب. والعقب من رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة من بطنين: ذهل وثعلبة، وهما الثعلبتان وجماعة صغار.
والعقب بن الغوث بن طيء من عمرو بن الغوث. والعقب من عمرو بن الغوث بن طيء من ثعل: بطن، ونبهان: بطن، وهناء بن عمرو: بطن، وثعلبة بن عمرو: بطن، ومزروعة بن عمرو: بطن، وحسان بن عمرو: بطن، وزيد بن عمرو: بطن، وخشين بن عمرو: بطن؛ وإلى نبهان هذا ينسب كل نبهاني.
والعقب من نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء من ابنيه: سعد ونائل، ومن بني سعد بن نبهان: بنو اليسر بن ثعلبة بن نصر بن سعد بن نبهان: فخذ، وإلى هناء بن عمرو هذا ينسب كل هنائي.
والعقب من ثعل بن عمرو بن الغوث. فأما سلامان فالعقب منه من عنيز وثعلبة وسل أولاد سلامان لصلبه؛ وعنيز هذا جد القبيلة المشهورة؛ وثعلبة هذا جد ثعلبة طائفة من العربان المجاورين

للداروم من الشام وهم بطنان: درما وزريق، فالعقب من عنيز بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء من فخذين: فرير بن عنيز، له عدد، وعتود بن عنيز. والعقب من عتود، من معن وبحتر ابنيه، وإليهما يرجع كل معني وبحتري، والشاعر البحتري منهم.
والعقب من معن بن عتود من ثلاث: ثوب، وود، ومالك: بني معن بن عتود. والعقب من ثوب بن معن: غنم له عدد، وأبو حارثة فأعقب من غنم بن ثوب بن معن بن سلسلة الفخذ التي يرجع إليها كل بني سلسلة المعنيون. وأما بحتر بن عتود بن عنيز بن سلامان فالعقب منه في تدول بن بحتر. والعقب من تدول من ستة أفخاذ: وهم جدي، وسنام، وأيمن، وخيثم، وأعور، وسالم أولاد تدول.
وأما ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء فأعقب من عوف بن ثعلبة، وأعقب عوف من فخذين: درما وزريق؛ ودرما هو عمرو بن عوف ودرما أمه. فأعقب درما بن عوف بن ثعلبة بن سلامان من خمس أفخاذ: سلامة والأحمر وعمرو وقصير والأوس: أولاد درما. وأعقب زريق بن عوف بن ثعلبة من فخذين: لبنى والأشعث ولدي زريق.
وأما جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء، فأعقب من ابنيه: معاوية وربيعة؛ فأعقب معاوية بن جرول من سنبس: القبيلة المشهورة، وعدي ولوذان: أولاد معاوية. والعقب من سنبس بن معاوية بن جرول من ثلاث أفخاذ: عمرو، ولبيد، وعدي؛ فأما لبيد بن سنبس، فأعقب من حرمز، فأعقب حرمز من يحصب وجرم؛ وعقدة أولاد لبيد فخذان. وإلى لبيد هذا تنسب العرب السنابسة الذين بالبحيرة من أعمال مصر؛ وهم من فخذ يقال لها: قنة بن خلاد.
وأما عدي بن سنبس بن معاوية، فأعقب من أبان بن عدي، وهو فخذ. والعقب من ربيعة بن جرول بن أبي أحزم: هزومة، وأعقب هزومة من أحزم، وأعقب أحزم من عبشمس مكسور الباء متصلاً.
وأما مذحج: وهو مالك بن أدد بن زيد فأعقب من أفخاذ أربعة: سعد العشيرة، ومراد: هو يحابر، وعنس، ولميس، وجلد أولاد مالك وهو مذحج. وإلى مراد هذا ينسب كل مرادي، وسمي مراداً لتمرده، وإلى عنس ينسب كل عنسي، منهم عمار بن ياسر الصحابي والأسود العنسي الكذاب.
والعقب من سعد العشيرة بن مالك من ثلاث عشرة فخذاً: وهم زيد اللات، وعابد اللات، وعبد اللات، وجا، وجعفي، وجرد، وحكم، وأوس اللات، ونمرة، وأنس اللات، وسعد اللات، وعمرو، وصعب: أولاد سعد العشيرة لصلبه. فإلى جعفي هذا ينسب الجعفيون، وإلى نمرة ينسب النمريون؛ وفي نمرة فخذان: جدا، على وزن ندا، وسلهم ابنا نمرة. وأما جعفي فالعقب منه في فخذين: مران، وحريم ابني جعفي بن سعد العشيرة، يرجع بنو

سلهم بن حكم فخذ بكسر السين والهاء. وأما صعب بن سعد العشيرة، فالعقب منه في زبيد، واسمه منبه، وإليه يرجع كل زبيدي؛ وفيهم عدة أفخاذ منهم بنو حرب وغيرهم. وقيل للفخذ زبيد وهم بنو منبه الأكبر لأنه منبهاً الأصغر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد قال: من يزبدني رفده؟ فأجابه إلى ذلك أعمامه كلهم بنو منبه الأكبر، فقيل لهم جميعاً زبيد. ومن بني زبيد مازن بن منبه.
والعقب من مراد بن مذحج من فخذين: ناجية وزاهر ابني مراد بن مذحج. والعقب من ناجية: جمل بن كنانة بن ناجية بن مراد: رهط هند بن عمرو الجملي الذي قتله ابن يثربي في يوم الجمل؛ وجمل هذه رهط سيفويه القاص. قال: وينزلون بنهر الملك؛ وعطيف بن ناجية بن مراد رهط فروة بن مسيك العطيفي الصحابي، وسلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد رهط عبيدة السلماني؛ وهو جاهلي إسلامي من كبار التابعين.
ومن ناجية: قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد: رهط أويس القرني نفعنا الله والمسلمين ببركته. وفي مراد، تجوب: وهو رجل من حمير، كان أصاب دماً في قومه فلجأ إلى مراد فقال: جئت إليكم أجوب البلاد لأحالفكم؛ فقيل له: أنت تجوب، فسمي به؛ وهو في مراد رهط عبد الرحمن بن ملجم المرادي التجوبي لعنه الله، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأما جلد بن مذحج، فأعقب منه علة بن جلد؛ والعقب من علة من ثلاث أفخاذ: عمرو
وعامر وحرب. فمن بني حرب بن علة: رهاء: وهو رهاء بن منبه بن حرب بن علة: منهم مالك بن مرارة الرهاوي الصحابي، ويزيد بن شجرة الرهاوي، وصداء: وهو يزيد بن حرب بن علة، منهم زياد بن الحارث الصدائي الصحابي.
وأما عمرو بن علة بن جلد بن مذحج، فالعقب منه ثلاث أفخاذ: النخع القبيلة المشهورة، وكعب، وعامر.
فأما النخع بن عمرو، فأعقب منه فخذان: مالك وعوف ابنا النخع. وأما كعب بن عمرو، فأعقب منه فخذان: الحارث، وهم بلحارث بن كعب ورعيل بن كعب.
وأما عامر بن عمرو بن علة، فالعقب منه في فخذ واحدة: وهي مُسلية بن عامر. وأما مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، فأعقب من فخذين: مرهم والحارث ابني مرّة بن أدد؛ فالعقب من الحارث من فخذين: عديّ ومالك ولديه. فالعقب من مالك بن الحارث بن مرّة خولان بن عمرو بن مالك وإليه يُنسب كل خولانيّ، ومعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب؛ وإليه ترجع المعافر في أنسابها، ولهم خطة بمصر، ومنهم فخذ بني قرافة وهي أمّهم: وهم الذين عُرفت بهم القرافة بمصر، ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقرافة؛ وهم بنو عصّ بن سيف بن وائل بن الحريّ بن المعافر بن يعفر.

وأما عديّ بن الحارث بن مرّة فأعقب من أربع أبطن لصلبه: وهم عُفير ولخم: قبيلة؛ واسمه مالك بن عديّ، وجذام بن عديّ: قبيلة؛ واسمه عامر، والحارث بن عديّ وهو عاملة: قبيلة، وإنما سُميا لخماً وجُذاماً: لأن أحدهما لخم وجه أخيه فسمي لخماً، واللخمة: اللطمة، وجذم الآخر إصبع أخيه فقطعها فسُميّ جُذاماً: وهما القبيلتان المشهورتان؛ والحارث بن عديّ وهو عاملة وإليه يرجع كلّ عاملي، وعاملة وهي أمعم بنت مالك بن وديعة بن قُضاعة؛ وهي أمّ ولد الحارث المذكور.
فأما عُفير بن عديّ بن الحارث فأعقب من ثور بن عُفير، وثور هو كندة الملوك فأعقب كندة من فخذين: معاوية وأشرس ابني ثور. والعقب من معاوية هذا من ابنيه مُرتِّع وزيد؛ فمن ولد مُرتِّع: بنو امرئ القيس وبنو الرائش وبنو معاوية الأكرمين وبنو وهب. وبنو بدّاً مشدد، خمسة: بنو الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتِّع. وإلى معاوية بن الحارث يرجع امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية المذكور الكنديّ الشاعر. والنسب إلى امرئ القيس بن الحارث بن معاوية المقدّم ذكره: مرقسيّ، مسموع عن العرب، وكلّ امرئ القيس غيره في العرب فالنسب مرئيّ بوزن مرعيّ.
والعقب من أشرس بن ثور وهو: كندة بن عُفير بن عديّ: السَّكون بن أشرس، والسَّكاسك: وهو حُميس السَّكسك بن أشرس، وإليهما يُنسب السَّكونيون والسَّكسكيون؛ ومن السكونيين معاوية بن حديج السكونيّ الصحابيّ، وحاشد بن أشرس، ومالك بن أشرس.
والعقب من السكون بن أشرس من فخذين: شبيب وعُقبة ابني السَّكون. أعقب شبيب بن السكون من أشرس وشكامة، فأعقب أشرس بن شبيب بن السَّكون بن أشرس من عديّ وسعد: وهم تُجيب البطن المشهورة؛ ولهم خطة بمصر، وعرفوا بتُجيب: وهي بنت ثوبان بن سليم بن رهاء بن منبّه بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج.
والعقب من مالك بن أشرس بن شبيب المذكور: الصَّدف،واسمه عمرو بن مالك، وإليه يُنسب كلّ صدفيّ بالفتح كما قالوا: شقريّ ونمريّ وسلميّ: في شقرة تميم ونمر بن قاسط وسلمة من الأنصار. ومن النسَّابين من قال: الصدف هو سماك بن عمرو بن دُعميّ بن حضرموت.
وأما لخم بن عدي، فأعقب من فخذين وهما لصلبه: نمارة وجديلة، ويقال: جُديلة؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربيّ أنه قيل فيها: جُديلة بالباء بواحدة. والعقب من نمارة بن لخم بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أدد بن مالك بن نُمارة فخذ، وحبيب بن نمارة، وهو عممُ وعديّ بن نمارة سُميّ بذلك لأنه أوّل من اعتمّ، وهو الذي عمّم ملوك العراق؛ ولهم اخوة صغار: كالوجفا بن نُمارة وقبيصة وعمرو وعوف ومجن أولاد نمارة أعقبوا؛ ومن يُنسب إليهم يُعزى لجدّهم لخم وأمّهم نمارة.

ومن بني مالك بن نمارة الفخذ الأولى: بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة. ومن بني عديّ بن نمارة؛ وهم عمم بن لخم: بنو نصر بن ربيعة من ربيعة بن نصر. ومن ولد نصر بن ربيعة: النعمان بن المنذر بن ماء السماء: وهي أمّه، بضدّ ما في غسّان، لأن غسان عامراً ماء السماء أبٌ فهو ثمَّ أبٌ وها هنا أمٌّ، وماء السماء ها هنا هو امرؤ
القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة. قال: وفي ذلك خلاف.
ومن بني حبيب بن نمارة: بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة، ينتسب كلُّ داري إلى هذه البطن، وهم رهط تميم الداريّ الصحابيّ المعروف بالمختطف، وقد انقرض تميم الداريّ ولا عقب له.
وأما جزيلة بن لخم ويقال: جزيلة، فأعقب من أراش وحجر وحُليل ويشكر وعمرو، أولاد جزيلة بن لخم. فمن بني أراش بن جزيلة أرش بن أراش لا غير؛ ويقال: أريش مصغراً. والعقب من أرش بن أراش من فخذين: غنم وحدس - بالحاء المهملة والدال المهملة المحرّكتين - والحمراء القبيلة؛ لها خطة بمصر، والأشعث فخذ، وهذه الحمراء في غيرها من الحمراء من قُضاعة، وفهم، وعدوان، والأزد، وهذيل بن مدركة وبني الأزرق وهم من الروم؛ ومنهم سُميت الحمراوات.
فأعقب غنم بن أريش بن أراش بن جزيلة بن لخم من صعب وفهم وزرّ وعمرو: أولاد غنم. ومن شيوخ النسب من قال: إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عُيينة بن أبي الحرام بن العمرَّط بن غنم بن عودة بن عبيد بن زرّ المذكور.
والعقب من حدس بن أريش بن أراش بن جزيلة بن لخم من ربيعة ورميمة. والعقب من ربيعة بن حدس أربع عشائر: منارة، وسعد، وكعب، والهذيم: بنو ربيعة. والعقب من هذيم هذا من حُداد وعامر والحارث: بني الهذيم.
والعقب من رميمة بن حدس بن أريش بن أراش بن جزيلة من عمرو وجدّه. والعقب من عمرو بن رميمة هذا: الحارث وصعب وعلامة وعديّ والمنذر وثعلبة.
فأما الحارث بن عمرو فأعقب من أُبيّ بن الحارث، فأعقب أُبيّ من كليب وعديّ. والعقب من كليب بن أبيّ بن الحارث من أربع أفخاذ: فيض والحارث وغنم وعميت: أولاد كليب.
والعقب من فيض بن كليب من أربع أفخاذ: أبي الشتاء، ورقاش، وقحران، وصابي: أولاد فيض بن كليب.
والعقب من الحارث بن كليب بن أبي من سعد وجده. وولد كعب بن غنم ثلاث أفخاذ: بني قرقر بن كعب وبني بر بن كعب وبني مرقش بن كعب. ومن بني بر بن كعب: بنو واسع بن كعب: وهم بنو رومي وزهير وزير وحسان وبر: أولاد واسع، كل منهم فخذ.

والعقب من عميت بن كليب بن أبي من دعجان وجده، ومن أفخاذه: مغالة بن دعجان: الفخذ المعروفة في آخرين.
وأما حجر بن جزيلة بن لخم، فأعقب من ثلاث أفخاذ: أزدة وزغر وأذب. فأعقب أزدة من فخذين: منيع وعوف ابني أزدة بن حجر.
وأعقب زغر بن حجر من مالك بن دعن، وهو الذي استخرج يوسف الصديق عليه السلام من الجب، وله عقب. فهذا مختصر في نسب لخم.
وأما جذام واسمه عامر، فالعقب منه في بطنين: حرام وحشم ابني جذام. والعقب من حرام بن جذام من فخذين: إياس ومالك ابني حرام بن جذام. والعقب من إياس بن حرام من ربيل بن إياس، ومن سعد بن إياس، فأعقب سعد هذا من أفصى، فأعقب أفصى بن سعد بن إياس من فخذين: زيد ومالك ابني أفصى، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب إليها بنو سعد جذام، وإن كان في جذام عدة سعود، لكن هذه ذات القعدد والبيت والصيت.
ومن ولد زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام: سعد بن مالك بن زيد المذكور: بطن؛ ووائل بن مالك ولهبة؛ وإلى وائل بن مالك بن زيد: يرجع زيد بن زنباع في نسبه.
والعقب من مالك بن حرام بن جذام، من وائل وسعد. أعقب وائل بن مالك من حبيش وجمع ومازن. من ولد حبيش: شعيب النبي عليه السلام: وهو شعيب بن ثويب بن حبيش المذكور ابن وائل بن مالك بن حرام بن جذام. وأعقب سعد بن مالك بن حرام بن جذام من غطفان: البطن الأكبر في جذام. وأعقب غطفان بن سعد من يامة بن عنبس بن غطفان وغنم بن غطفان.
وأعقب يامة بن عنبس بن غطفان من علي بن يامة. وأعقب علي من كعب بن علي. وأعقب كعب بن علي من ثلاثة أفخاذ لصلبه: عبيد ومطرود وعوف؛ من ولد عبيد بن كعب هذا: الضبيب بن قرط بن حفيد بن تكنح بن عبيد: فخذ. وأعقب مطرود الضبيب هذا من ثعلبة بن أمية بن الضبيب: فخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيب: فخذ. وأعقب مطرود بن كعب بن علي من خالد وعمرو ومبذول ونفاثة.
فأعقب غنم بن غطفان بن سعد، من نضرة بن غنم في آخرين، فأعقب نضرة بن غنم بن صبرة الفخذ المشهورة ابن نصر.
والعقب من حشم بن جذام من بديل بن جشم. فالعقب من بديل: بكر وشنوءة ابني بديل. والعقب من بكر هذا من سود بن بكر. والعقب من سعد: أسود وعمرو ابنا سود. والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن جشم بن جذام من فخذين: السلم والهون ابني أسعد. وفي سود أيضاً: السلم بن مالك بن سود بإسكان اللام فخذ. والعقب من عمرو بن سود من لهبة وحبيش وعداً: أولاد عمر.
فهذا مختصر من نسب جذام.

وأما عائدة: وهم ولد الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب وهو أخو جذام ولخم، فالعقب من الحارث بن عدي المذكور من فخذين: الزهد ومعاوية ابني الحارث: وهما ابنا عاملة كما تقدم؛ وزهد: فعل، من وهم: شيء زهيد أي قليل.
والعقب من الزهد بن الحارث بن عدي من ثلاث أفخاذ: عوكلان وزحفان وسلمان: بني الزهد. ومن بني عوكلان المذكور السلم بن ظبيان بن أبي عزم بن عوكلان المذكور.
والعقب من معاوية بن الحارث بن عدي أخو الزهد خمس أفخاذ لصلبه: ثعل، وعجل، وسلمة، وقرة، وثعلبة. قال: وهذا النهاية في اختصار نسب مرة بن أدد. وأما الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، فأعقب من جماهر بن الأشعر وله عدد، وعبد الثريا بن الأشعر وعبد شمس والأدغم ونعيم: أولاد الأشعر. وأعقب جماهير وهو جماهير بن الأشعر من ناجية بن جماهير له عدد. وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت. وهذا مختصر نسب الأشعريين. ومنهم من الصحابة: أبو موسى وأبو عامر وأبو برزة؛ وهم فخذ متسع وفيه عدة أفخاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها. قال: وهذا نسب بني مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
فالعقب من مالك بن زيد من بطنين: وهما نبت والخيار ابنا مالك. والعقب من نبت من الغوث ابنه. والعقب من الغوث بن نبت من عمرو والأزد؛ وإلى هذا الأزد ينسب كل أزدي.
فمن ولد عمرو بن الغوث: بجيلة: وهم ولد أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمر وأم الغوث وبجيلة بن أنمار: وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وقد قيل: بل هي أم ولد أنمار.
والعقب من أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد: خمس قبائل: الغوث وعبقر وصهيبة ووداعة وأفتل: وهو خثعم: بنو أنمار بن أراش. قال: وذكر علماؤنا في النسب أن بجيلة هو عبقر والغوث وصهيبة، وسموا بذلك لأجل أمهم بجيلة، وأن خثعم هو أفتل وأمه هند بنت الغافق الأزدي، وسمي خثعم باسم جمل كان لآل أنمار أو لآل أفتل بن أنمار، وكانوا يسمونه خثعم. ويقال: بل قيل خثعم لأنهم تخثعموا بالدم؛ والأول أقرب إلى الصحيح.
والعقب من الغوث بن أنمار من ثلاث أفخاذ: وهم زيد وأحمس وقيس كندة: بنو الغوث. وفي أحمس هذا: أسلم بن أحمس: فخذ؛ وفي أسلم بن أحمس بن الغوث: دهن. معاوية بن أسلم بن أحمس؛ فخذ: رهط عمار بن أبي معاوية الدهني الصحابي.
والعقب من عبقر: بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو من ثلاث أفخاذ: قسر وعلقة وقطن: أولاد عبقر. وفي قسر: عرينة بن زيد بن قسر، يقال له: قسري في النسب، ويقال: عرني. وإلى علقة يرجع كل علقي.

والعقب من صهيبة بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو: أتيد بن خطام بن صهيبة بن أنمار: فخذ.
والعقب من زرعة بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو من ثلاث أفخاذ: حزرق وسمط وحبيب: أولا زرعة.
والعقب من خثعم وهو أفتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث أفخاذ: شهران وربيعة وناهش: أولاد عقرس بن خلف بن أفتل وهو خثعم. وفي ربيعة بن أفرس: بنو أكلب بن ربيعة.
فهذا مختصر كاف في بجيلة وخثعم.
وأما الأزد بن الغوث واسمه دراء: مثل رداء وقيل: درء مثل درع، فالعقب من ولده أربع أبطن: وهم مازن وغسان؛ وغسان ماء بسد مأرب باليمن وقيل: بالمشلل نزلوا به فنسبوا إليه. وإلى غسان هذا ينسب كل غساني، ونصر وعبد الله والهنو بنو الأزد بن الغوث. وإلى غسان هذا يرجع الأنصار، وقد يكون من غسان من ليس أنصارياً كثيراً، ويكون من مازن من ليس غسانياً.
والذي نزل على غسان من الأزد بعض بني امرؤ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن وماوية وربيعة وامروئ القيس: بنو عمرو بن الأزد، وكرز وعامر ابنا ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد.
والعقب من عبد الله بن الأزد بن الغوث من ثلاث أفخاذ: الحارث وقرن وعدثان: أولادعبد الله بن الأزد.
والعقب من عدنان هذا من عك وسود ومالك وغالب وكعب. ومن بني سود بن عدنان: طاحية بن سود: فخذ. والعقب من عك بن عدنان فخذان: الشاهد وصحار ابنا عك. والعقب من الشاهد بن عك: غافق، وإليه ينسب كل غافقي، قال: ولهم خطة بمصر، وساعدة ابنا الشاهد. وقيل: بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث بن عدنان. والعقب من صحار بن عك بن عدنان: بولان وعبس وغسان: أولاد صحار هذا. وأما نضر بن الأزد، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل: عبد الله وراسب وميدعان وأكفر من حمار: أولاد مالك بن نصر بن الأزد. وإلى راسب ينسب كل راسبي. وفي بني مالك راسبيون أخر يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.
والعقب من عبد الله بن مالك في كعب بن عبد الله. ومنه في الحارث بن كعب. والعقب من الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك من ثلاث أفخاذ: كعب ومالك ونبيشة وهو فاسخة. فمن ولد فاسخة بن الحارث بن كعب: بنو غراء بن شريق بن فاسخة؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: بنو مجاعة وبنو الأرنب: ابني مالك.
والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: زهران وأحجن وعبد الله: أولاد كعب بن الحارث. وإلى زهران ينسب كل زهراني. ومن أفخاذه: دهمان بن نصر بن زهران، وغاضرة بن زهران، ودوس بن عدنان من زهران، منهم:

أبو هريرة الدوسي الصحابي؛ واسمه عمرو بن عامر، وفي اسمه خلاف.
والعقب من أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر من ثلاث: أسلم ولهب وفرن، أولاد أحجن فمن أفخاذ أسلم هذا: بنو ثمالة وهو عوف بن أسلم بن أحجن: رهط محمد بن يزيد المبرد النحوي؛ وفيه يقول عبد الصمد بن المعدل:

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون: ومن ثماله؟
فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهم جهاله.

وأما ميدعان بن مالك بن نصر فمنه أربع أفخاذ: راسب وإليه ينسب الراسبيون أيضاً، ومنهب وحبيب ومعاوية: بنو مالك بن ميدعان.
فهذا مختصر نسب بني نصر الأزديين.
وأما الهنو بن الأزد، فأعقب من سبع أفخاذ: الهون وبديد ودهنة وبرقا وعوجا وأفكه وحجر: أولاد الهنو. فأعقب الهون من فخذين: الندب ونكل. وأما مازن بن غسان بن الأزد فأعقب من فخذين لصلبه: وهما عمرو وثعلبة العنقاء، سمي بالعنقاء: لطول عنقه.
فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد في عدة أولاد، كلهم في الأزد، من جماجمهم: عدي والعاص. فأما العاص فمن ولده: بنو بقيلة بن سنين بن زيد بن سعد بن عدي بن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسمي بقيلة: لأنه لبس ثوبين أخضرين. وأما عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد، فأعقب من عدة أولاد، من جماجمهم: هند بن هند بن عمرو بن عدي وصبرة بن عمرو بن صبرة بني حارثة بن عدي ومسعود بن مازن بن ذئب بن عدي؛ إليه يرجع سطيح الكاهن وكل مسعودي في الأزد، وجميع بني عدي بن عمرو يعزون إلى الأزد.
وأعقب ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسان من امرئ القيس البطريق بن ثعلبة؛ فأعقب امرؤ القيس البطريق: حارثة الغطريف؛ فأعقب الغطريف من عامر ماء السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مزيقياء سمي بذلك: لأنه كان يمزق في كل يوم حلتين لئلا يلبسهما غيره.
والعقب من عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسان وهو السراج بن الأزد بن الغوث في ست أفخاذ: ثعلبة: بطن الأنصار، وحارثة: بطن خزاعة، وجفنة: بطن، وعمران من أزد عمان، ومحرق: بطن، سمي بذلك لأنه أول من حرق بالنار، وكعب: أولاد عمرو مزيقياء وإليهما يرجع نسب الأنصار، فأما الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من مالك بن الأوس، وأعقب مالك من خمس قبائل: النبيت، وعوف، وجشم، وامرئ القيس، ومرة: أولاد مالك بن الأوس.
قال: وسمي النبيت نبيتاً لكثرة ولده، فأعقب النبيت من فخذين: الحارث وكعب وهو ظفر بن الخزرج بن النبيت الأوسي.

فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت من ابنيه: جشم وحابية. فأعقب جشم من رعوان وانقرض، ومن عبد الأشهل: ابني جشم. وأعقب حابية بن الحارث من مجذعة وجويرة وجشم بن حارثة. ومن بني جشم بن حارثة: بنو خديج بن رافع بن عدي بن جشم، وطهر بن رافع بن عدي. وأما ظفر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس - وبنو ظفر البطن المشهورة في الأوس - فأعقب من أربع أفخاذ: وهم بنو مرة وهيثم وعيد رداح وسواد: بني ظفر بن الخزرج. ومن بني سواد: بنو الحطيم بن عدي بن عمرو بن سواد: فخذ؛ فهؤلاء بنو النبيت.
أما عوف بن مالك بن الأوس، فأعقب من عمرو، وأعقب عمرو من لوذان، فجدهم بنو السميعة وثعلبة وحبيب وعوف: أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.
والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بنيه: مالك وجلس وكلفة. فأعقب مالك بن عوف من بنيه: عزير ومعاوية وزيد. وأعقب زيد بن مالك هذا من ضبيعة: الفخذ المشهورة، وأمية الفخذ المشهورة في الإسلام، وعبيد أولاد زيد. وبنو ضبيعة بن زيد بن مالك، يقال لولده: بنو كسر الذهب، منهم: بنو حارثة بن عامر بن مجمع بن عطاف بن ضبيعة بن زيد: بطن معروفة. ومن أفخاذ كلفة بن عمرو بن عوف: جلاح بن حريش بن جحجبي من كلفة: بطن.
وأما جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من خطمة: بطن؛ واسم خطمة عبد الله، وإنما سمي خطمة: لأنه خطم رجلاً بسيفه على خطمه فسمي به، وأعقب خطمة بن جشم من ثلاث أفخاذ: الحارث وعامر ولوذان: بني خطمة.
وأما امرؤ القيس بن مالك بن الأوس، فأعقب من فخذين: بني السلم وبني واقف، وإليه يرجع كل واقفي في الأوس. وأما مرة بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من ثلاث أفخاذ: عامر وسعيد ومازن. وهذا نهاية الاختصار في ولد الأوس. وأما الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: الحارث
وعمرو وعوف وجشم وكعب: بني الخزرج.
والعقب من الحارث هذا من سبع أفخاذ: عوف وحرديش وجشم وصخر وجديم والخزرج وزيد: أولاد الحارث، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج: خدرة وخدار ابنا عوف؛ ولخدرة يرجع أبو سعيد الخدري، وهو فخذ بني خدرة. وأما عمرو بن الخزرج فمن ولده: بنو النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج: البطن المشهورة؛ واسم النجار: تيم الله يدعى العتر، وإليه يرجع حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الشاعر: أعني بالشاعر حسان، وقد انقرض عقب حسان.
وأما عوف بن الخزرج فمن أفخاذه: بنو غنم قوقل: فخذ، وهو أطم كان لبني غنم، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن

الخزرج، وغنم: رهط عبادة بن الصامت الصحابي. ومن بني عوف بن الخزرج: سالم الحبلى بن غنم بن عوف، سمي بذلك لعظم بطنه. وأما جشم بن الخزرج، فأعقب من فخذين: وهما تزيد وغصب ابناه لصلبه؛ فمن أفخاذ تزيد بن جشم هذا: بنو سلمة وربيعة ابنا سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تزيد. وسلمة رهط معاذ بن جبل الصحابي بكسر اللام. وأما غصب بن جشم بن الخزرج، فمن أفخاذه: بنو زريق وبياضة: ابني عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج. وأما كعب بن الخزرج فمن أفخاذه: سعيد وقيس ابنا سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي جذيمة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ وقد انقرض قيس بن سعد بن عبادة.
ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا: ثلاث أفخاذ أخر إخوة طريف بن الخزرج هذا: وهم ثعلبة وعامر وعمرو؛ كان لعامر هذا ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأول: بنو قسية بن عامر وقد انقرضوا عن آخرهم.
فهذا مختصر كاف في أنساب الأوس والخزرج.
وأما حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو أبو خزاعة؛ وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم انخزعوا من بني عمرو مزيقياء بن عامر، والانخزاع التقاعس والتخلف، فأقاموا بمر الظهران بجنبات الحرم وولوا حجابة البيت دهراً وهم حلفاء بني هاشم؛ وقد اختلف النسابون في خزاعة بعد إجماعهم على أنهم ولد عمرو بن لحي وأن خزاعة هو كعب بن عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، وهو ابن الياس بن مضر؛ وعمرو بن لحي: هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لأكثم بن أبي الجون الخزاعي: يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، ما رأيت رجلاً أشبه منه برجل منك، فقال أكثم: أيضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال: لا، لأنك مسلك وهو كافر والقصب: الحشوة من الأمعاء وهو المصران؛ وكان عمرو بن لحي أول من غير دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نزل القرءان بلغة الكعبين: كعب بن لؤي وكعب بن عمرو بن لحي، وذلك أن دارهم كانت واحدة، وأفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وعدي بن حارثة وعمرو بن حارثة.
فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء، قال شيخنا شيخ الشرف: عمرو هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أفخاذ: كعب وسعد وعدي ومليح وهو لحي: بطن كثير بن عبد الرحمن الشاعر، وعوف بن عمرو وخزاعة.
فأما كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة، فأعقب من ست أفخاذ: وهم منقذ وسلول وحبشية ومطرود ومازن وسعد: أولاد كعب بن عمرو خزاعة. فأما سلول بن كعب، وإليه ينسب كل سلولي،

فأعقب من ثلاث أفخاذ: حبشية وعدي وحرمز، فأعقب حبشية بن سلول من قمير وضاطر وكليب وحليل وغاضرة: بنيه لصلبه. وأعقب عدي بن سلول من حبير وهينة وحريز: بني عدي. وأما حبشية بن كعب بن عمرو خزاعة، فأعقب من ابنيه لصلبه: غاضرة وحرام. وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة، فأعقب من ثلاث قبائل: بني المصطلق، وبني عامر وبني الكاهن.
وأما أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فإنه أعقب من أسلم: بطن في آخرين: وهم ملكان وزيد وعمرو وعدي وجهادة وحطاب وسوادة وجريش وامرؤ القيس وصهيبة وجشم. فمن بني أسلم بن أفصى: سلامان: فخذ، وهوزن: فخذ: ابنا أسلم بن أفصى، ومن ملكان، بالفتح، بن أفصى: غبشان بن ملكان: فخذ، منهم: ذو الشمالين المقتول ببدر. وأما عديّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، ونزل بماء بالسراة أيام سدّ مأرب يسمَّى بارق، وقيل: هو جبل. وقيل: بل تبعوا البرق فسموا بذلك وعمرو وعوف: بني عديّ.
وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأسد والحجر ابنيه لصلبه؛ فأعقب الأسد من ثلاث أفخاذ: العتيك وشُهيل والحارث: بني الأسد. فمن ولدالعتيك: أسد بن الحارث بن العتيك: فخذ، ووائل بن الحارث، وإليه ينسب المُهلَّب بن أبي صفرة. وأما الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: زيد مناة ومرحوم وعمرو وسود: أولاده لصلبه؛ فأعقب عمرو بن الحجر من ابنه رباب.
وأما كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: السموءل وحنظلة وثعلبة ومالك وقاتل الجوع: أولاد كعب بن عمرو. وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حارثة والرَّبعة وملادس: بني عمرو. وأما جفنة بن عمرو مزيقياء، فهم ملوك الشام. والعقب من جفنة من ثلاث أفخاذ: كعب ورفاعة والحارث: بني جفنة في آخرين.
فالعقب من كعب بن جفنة بن مزيقياء، من أمام والحارث: ابنيه لصلبه؛ ومن ولد أمام: جبلة بن الأيهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أمام هذا بن كعب بن جفنة بن عمرو مزيقياء. وقيل: بل هو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وفيه اختلاف؛ وجبلة هو الذي تنصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن رفاعة بن جفنة: السموءل بن أوفى بن عادياء بن رفاعة بن جفنة: بطن؛ وأعقب الحارث بن جفنة من المنذر بن النعمان بن الحارث: بطن، ومن الحسحاس ومنارة: ابني عوف بن الحارث: بطن. وجماعة من قبيلة الأرمن نصارى يزعمون أن جدّهم هيِّزٌ يرجع إلى جفنة غسّان.
وأما الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان، فالعقب من ولده في همدان: وهو أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن

الخيار المذكور. وقيل: هو الجبار بالجيم والباء الموحدة.
والعقب من همدان: ابن مالك بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان هذا، ومن جشم: ابن بكيل وهو الحبك: فخذ، وحاشد ابنا جشم لصلبه. فأعقب الحبك من دومان وسوران وخيران. فمن ولد دومان بن الحبك وهو بكيل: أرحب ومرهنه: ابنا عامر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان، إليه يُنسب كلّ أرحبيّ.
ومن حاشد ابن جشم بن خيران: سبيع: فخذ، ابن سبع بن صعب بن خيران بن معاوية بن كبير بن خيران: وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران: رهط أبي إسحاق السَّبيعيّ؛ وفي ذلك خلاف بين النسّابين في الأسماء.
وذكر بعض النسابين أنّ ألهان بن مالك: أخا همدان بن مالك، إليه يرجع ويُنسب كلّ ألهانيّ: وهم قليل، ويام بن أُحيّ بن نافع بن خيران وهو مالك بن زيد: رهط زُبيد الياميّ شيخ التَّوَزيّ.
وذكر بعض النّسابين: أن الأوزاع، وهم من مزيدة بن زيد عددهم في همدان وهم من حمير، وإليه يرجع كلّ أوزاعيّ. ومن ولد سدد بن زُرعة وهو حمير الأصغر: الأوزاع بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد بن سدد، والأوزاع بن زيد بن سدد، والأوزاع بن سدد، والأوزاع بن شقران بن المعلل بن سدد.
قال: وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن. وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب؛ فلنرجع إلى عمود النسب المحمديّ فنقول: إن عمود النسب من عابر بن شالخ في ابنه: فالغ بن عابر؛ وأمّه ميشاخا؛ وكان له من الولد غير عمود النسب الجبابرة، مثل تميم وقينان وسيري ومُدبِّر وغيرهم انقرضوا كلهم لم يعقب منهم إلا أرغو بن فالغ، وهو الجدّ الذي يرجع إليه كلّ قرشيّ وكل قيسي، وهو أحد شعبي النسب.
والعقب من ولده في أرغو بن فالغ وكان منه جبابرة انقرضوا. وعقبه في ابنه ساروغ بن أرغو. وكان له غير عمود النسب من العقب عشائر وأولاد جبابرة. منهم يعصم، ويعظم، ونعمان، وبعلاك، وبهران، وكاشم، وطولان، وغيرهم هلكوا دارجين.
والعقب منه في ابنه ناحور بن ساروغ، فالعقب من ناحور في ابنه تارح: وهو آزر بن ناحور.
ومن تارح غير عمود النسب: هاران بن تارح وناحور بن تارح، فولد هاران: لوطاً النبيّ صلى الله عليه وسلم.
وعمود النسب من آزر في ابنه: إبراهيم خليل الله
وهو الجدّ الحادي والثلاثون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم! وأمه أدبا بنت نمر بن أرغو بن فالغ بن عابر. وله من الولد غير إسماعيل عمود النسب: إسحاق عليه السلام ويشباق: وهو طالب، وسوّاح: وهو خاضع، وزمران: وهو نجدان، ومدان، ويُقشان: وهو مصعب؛ فهؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير عمود النسب وهو إسماعيل لإسحاق لا غير.
فولد إسحاق صلى الله عليه وسلم: يعقوب إسرائيل الله صلى

الله عليه وسلم والعيص وهو عيصو، ولدا في بطن واحد، فخرج عيصو أوّلاً وخرج يعقوب بعده، ويده عالقة بعقبه فسميّ يعقوب. وأمّهما رفقا بنت ناحور بن تارح بنت عمّ أبيهما إسحاق.
فولد العيص بن إسحاق: رعوال ويعُوس وأليفاز ويعلام وقُورح وروم. فولد أليفاز بن العيص: عمالق وغيره.
وولد رعوال بن العيص: ناجب وغيره. وولد روم بن العيص بن إسحاق: بني الأصفر لأن روم كان رجلاً أصفر في بياض فلذلك سُمِّيت الروم: بني الأصفر. قال: وعمّر عيصو مائة وسبعا وأربعين سنةً. وكذلك يعقوب؛ ودفنا معاً عند قبر أبيهما إبراهيم الخليل عليه السلام في مزرعة حبرون. وقيل: هي مزرعة عفرون كان إبراهيم اشتراها لقبره، وفيها دُفنت سارة.
ومن ولد العيص: أيوب النبيّ عليه السلام، قيل: هو أيوب بن أموص بن تارح بن رفو بن عيصان بن إسحاق، وأمّه من ولد لوط بن هاران عليه السلام. وولد يعقوب عليه السلام: اثنى عشر سبطاً. منهم يوسف النبي عليه السلام: عزيز مصر وصاحبها، وإخوته: كاد وبنيامين ويهوذا ونفتالي وزبولون وشمعون ورأوبين، وكشاحاً، ولاوى، ودان، وياشير. جاء من ولد يهوذا: سليمان النبيّ عليه السلام، وجاء من سليمان: مريم بنت عمران أمّ المسيح عليهما السلام. وجاء من لاوى بن يعقوب: موسى كليم الله وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن قاهث، وجاء من ولد هارون: يحيى بن زكريا والياس واليسع والعزير. وقد روى: أن الياس بن مضر نبيّ، وأنه المعنيّ بقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين. سلامٌ على آل ياسين في قراءة نافع وابن عامر، وأن آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم.
والعقب من يوسف الصدّيق عليه السلام: أفرائيم ومنشّا ابنيه لصلبه؛ فمن ولد أفرائيم: يُوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام: وهو الذي رُدّت عليه الشمس في حربه: وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالج بن داباد بن ناحب بن العاد بن ناحب بن يارد بن شوتالج بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. وفي ولد منشا بن يوسف: موسى بن منشا بن يوسف. وولد لمنشا ابنة اسمها رحمة: وهي امرأة أيوب عليه السلام.
قال: وزعم أهل التوراة أن الله تعالى نبَّأه وأنه صاحب الخضر. وذكر المؤرّخون أنه لما مات يعقوب، فشا في الأسباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى بن منشا يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وهو قبل موسى بن عمران بثمانمائة سنة والله تعالى أعلم.
ونرجع إلى عمود النسب؛ وهو من إبراهيم في ولده إسماعيل: الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. وأمه أم ولد، تدعى هاجر، من قبط مصر، من قرية يقال لها: أمّ العرب نحو الفرما.
واختلف العلماء فيما بين عدنان إلى إسماعيل في ذكر الآباء: فمن العلماء من ينسب اليمن إلى إسماعيل عليه السلام ويقولون: إنهم من ولد يمن بن نبت بن إسماعيل، وافترق باقي ولد إسماعيل في أقطار الأرض فدخلوا في قبائل العرب ودرج

بعضهم فلم ينسب النسابون لهم نسباً إلا من كان من ولد قيدار ابنه عمود النسب.
قال: واتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه في التوراة وكما حملوه من علماء أهل الكتاب، وكما روي عن عبد الله بن عباس: أن النسب فيما بين آدم وإسماعيل صحيح على ما أوردناه لا خلف فيه بينهم ولا خلف إلا في الأسماء لتنقل الألسنة، وإنما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض، فمن أجل ذلك حدث الاختلاف فيما حفظوه، فقال قوم برواية وقال آخرون برواية. قال: وهذه الرواية التي أوردها في هذا التأليف هي أحسن الروايات، وهي عمدة أكثر النسّابين الأجلاّء، وعليها كان يعتمد شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسينيّ العُبيدليّ النسابة، وهي رواية عبد الله بن عباس، واختيار أبي بكر محمد بن عبده العبقسيّ النسّابة الطرسوسي وغيره.
وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قيدار عمود النسب أحد عشر ولداً: وهم مسّاً ويطور ومسماع ودُوماء، وقيل: هو الذي بنى دُومة الجندل، ومبشام وإديال ونعابوا وتيما، وحُداد ونافيس وقيدما.
وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام في ابنه قيدار بن إسماعيل، وأمّه هالة بنت الحارث بن مُضاض الجرهميّ ويقال: اسمها سلمى، وقيل: الحنفا، وقيل: هي أم أولاد إسماعيل كلهم.
والعقب منه في ابنه حمل بن قيدار؛ وأمه الغاضريّة بنت مالك الجرهميّ. والعقب منه في نبت بن حمل وأمّه هامة بنت زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وتدعى حُريرة. والعقب من نبت في ابنه سلامان بن نبت. والعقب من سلامان في ابنه الهميسع بن سلامان، أمّه حارثة بنت مراد بن زرعة ذي رُعين الحميريّ. والعقب منه في ابنه اليسع بن الهميسع.
والعقب من اليسع في ابنه أدد بن اليسع، وأمّه حيّة من قحطان. والعقب منه في ابنه أدّ بن أدد، وأمّه النعجا بنت عمرو بن تُبَّع سعد ذي فائش الحميريّ. والعقب منه في ابنه عدنان بن أدّ، وأمّه المتمطِّرة بنت عدي الجرهميّة: وهو الجدّ الحادي والعشرون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقد قال أكثر النسّابين: إن العقب من عدنان غير معدّ عمود النسب من عكّ: وهو الحارث والذئب والنعمان والضحّاك لا عقب له: وهو المُذهب الذي يقال في المثل: "أحسن من المُذهب" وعديٌّ درج؛ والغنيّ وأبيّ وعدن: وهو صاحب عدن، وعمرو ونبت وأدّ وعدا انقلبت في اليمن.
فأما عكّ بن عدثان فكلّ من كان منهم بالمشرق فهم يُنسبون إلى الأزد، والذي في الأزد أيضاً عكّ بن عدنان بالثاء المثلثة بن عبد الله بن الأزد. وقال شيخ الشرف النسّابة: عكّ بن عدنان

بالنون. وقال الأفطسيّ النسابة: عكّ بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وكلّ من كان منهم بالشام ومصر واليمن والمغرب فهم مقيمون على نسبهم في عدنان. وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده. قال عباس بن مرداس:

وعكّ بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طرّدوا كلَّ مُطردِ.

نرجع. وعمود النسب من عدنان في ابنه معدّ بن عدنان، وأمّه مهدد بنت اللّهم الجرهمية. قال النسابون في أولاده لصلبه فقالوا: إن ولده أحد عشر رجلاً: وقالوا: ثمانية، وزاد آخرون، وقال قوم: لم يكن له غير نزار.

قال: فالذي أورد له أحد عشر ولداً قال: والعقب من معدّ بن عدنان: عُبيد الرَّمَّاح أعقب، وجُنيد وجُنادة وحيد وقبضة، وقيل: بل اسمه قنصٌ انقرض، وقُناصة وحيدان أعقب، وشط وعوف وسنام وقضاعة، قال العلماء: وكلهم انتقلوا في اليمن وغيرها إلا نزاراً. وقد قيل: إن حيدان هذا هو أبو مهرة: القبيلة. وقال النسابون: والقحم أعقب، وسنام أعقب، وحبيب والضحّاك أعقب، وأود أعقب: أولاد معدّ.

فأما عبيد الرماح فانتسب في بني مالك بن كنانة، ومنهم كان إبراهيم بن عربيّ صاحب اليمامة. وأما سنام بن معدّ فإنه انتسب في سعد العشيرة بن مالك في اليمن. وأما حيدة بن معدّ فانتسب في الأشعريِّين. وأمّا القحم بن معدّ فانتسب في مالك بن كنانة. وأمّا أود بن كعب فانتسب في مذحج.

وأمّا قنصٌ فانقرض عقبه، وقيل: كان منهم النعمان بن المنذر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ذو القرنين عبد الله بن الضحاك بن معدّ بن عدنان.

نرجع. وعمود النسب من معدّ بن عدنان في ابنه نزار بن معدّ وأمّه مُعانة بنت جوشم الجرهمية، ومنه غير مضر الذي هو عمود النسب ثلاث بطون: ربيعة الفرس وإياد وأنمار: بنو نزار.

والصَّريحان من ولد إسماعيل عليه السلام: مُضر الحمراء وربيعة الفرس. وقولهم: ربيعة الفرس ومضر الحمراء، فزعموا أنه لما مات نزار تقسم بنوه ميراثه واستهموا عليه؛ وكان له فرس، مشهور فضله في العرب فأصابه ربيعة فقيل: ربيعة الفرس؛ وكان له ناقة

حمراء، مشهورة الفضل بين العرب فأصابها مضر فقيل: مضر الحمراء؛ وكان له جفنةٌ عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد؛ وكان له قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمار. هذا أحد ما قيل في ذلك، وسنذكر ما قيل في قسمة ميراث نزار وما اتفق لأولاده مع الأفعى الجرهميّ في أمثال العرب في حرف الهمزة وفي قولهم: "إن العصا من العُصيّة"، وهو في الباب الأوّل من القسم الثاني من هذا الفن في أول السفر الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

نرجع. فأما أنمار بن نزار فإنها انقلبت في اليمن، قال: كذا روينا عن شيوخنا في النسب ومن قال: إنها انقلبت في اليمن يقول فيه: إنّ خثعم وبجيلة ابنا أنمار بن نزار، وإنما لحقا باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
وأمّا إياد بن نزار وهي القبيلة التي يرجع إليها كلّ إياديّ، فمنها فخذان: بنو دُعميّ بن إياد، وبنو زهر بن إياد؛ ومن زهر بنو حُذاقة بن زهر: عشيرة في إياد، إليها ينسب الحذاقيون.
وأما ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ، فأعقب من ثلاثة أبطن: أسد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضُبيعة بن ربيعة، وأكلب. وضبيعة يقال له: ضبيعة الأضجم: لأنه كان مائل الفم. ومن أكلب أفخاذ: منها لصلبه: هرير وعوف ومعن ومبشر وجليلة.
والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من ثلاث قبائل: جُلّى وعوف وبدر: بنو أحمس بن ضبيعة؛ ومن بني جلّى: بنو مُجمع الشعوب: ربيعة بن سلمة بن سعد بن بلال بن بهثة بن حرب بن وهب بن جلّى: بطن.
وأما أسد بن ربيعة فمن ثلاث بطون: أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد، وعنزة بن اللهازم بن أسد، واسمه عمرو، وعميرة بن أسد؛ وإلى عنزة ينسب كل عنزيّ محرك النون. والعقب من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان: وهما أسلم ويقدم: ابنا يذكر بن عنزة بن أسد. فمن أسلم فخذان: بنو صباح، وهو قمر الليل والنهار، وبنو حُلان: ابني العتيك بن أسلم. ومن يقدم بن يذكر فخذان: تيم ونصر: ابنا يقدم. ومن بني تيم: بنو هميم بن عبد العُزّى بن ربيعة بن تيم بن يقدم. والعقب من عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان: هما مبشر وعديّ: ابنا عميرة بن أسد بن ربيعة.
وأما أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد، فمنه بطنان: هنب وعبد القيس: ابنا أفصى بن دعميّ بن جديلة؛ وإلى عبد القيس هذا ينسب كلّ عبقسيّ. والعقب من عبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد من أفصى بن عبد القيس، واللّبود بن عبد القيس. والعقب من أفصى بن عبد القيس من لُكيز بن أفصى وشنّ بن أفصى. فمن لكيز بن أفصى ثلاث عشائر: وديعة وصباح ونكرة. فمن ولد نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس: دُهن بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس؛ وليس دهن هذا فخذ عمارة الدهنيّ، إنما فخذه دهن التي في بجيلة.
والعقب من وديعة بن لكنز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي من عمرو بن وديعة ودهن بن وديعة وغنم بن وديعة.
والعقب من عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى - وقال لولده: العمور - أنمار وعجل ومحارب والدِّيل: أولاد عمرو بن وديعة.

والعقب من هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط بن هنب وعمرو بن هنب، فمن ولد عمرو بن هنب هذا: عتيب بن عمرو، ومن عتيب في دهن: فخذ، وخفاجة: ابني عتيب.
والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط؛ وإليه ينسب كل نمري، وعمرو وهو غُفيلة بن قاسط: قبيلة، ومعاوية بن قاسط في عاملة، ووائل بن قاسط: البطن الأعظم من قاسط.
فالعقب من النمر بن قاسط من تيم الله ويقال: تيم اللات، وأوس مناة: ابني النمر؛ ومن النمر بن قاسط: بنو الضَّحيان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم الله بن النمر. وإليه كانت الرياسة واللواء والحكومة والمرباع. وقيل له الضحيان لأنه كان يحكم بين العرب في الضُّحى.
وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربع أبطن: تغلب بن وائل: البطن المشهورة، إليها يرجع كلّ تغلبي معدّيّ. وفي قضاعة أيضاً تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة جدّ بني كلب، وبكر بن وائل، وعنز بن وائل ساكنة النون كما يُنسب في نزار إلى عنزة بن أسد كلّ عنزي محرك النون، وعمرو بن وائل. فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان: وهما رفيدة بن عنز وأراشة بن عنز، وفيهما عدّة أفخاذ وعشائر.
والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعليّ ويشكر وجشم وبدن: بني بكر؛ وإلى عليّ هذا يُنسب كلّ علويّ في نزار؛ وإلى يشكر هذا يُنسب كلّ يشكريّ. والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه: وهم حرب وكنانة وكعب؛ فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهل: ولدي كنانة بن حرب؛ ومن بني جشم بن حرب: بنو عصيم بن سعد بن عمرو بن جشم؛ وبنو الحمير: حُبيب بن كعب بن جشم، وإلى جشم هذا يُنسب كلّ جشميّ في نزار.
وأعقب كنانة بن يشكر من ذبيان بالكسر بضد ذبيان عبس الذي هو بالضم؛ وأعقب ذبيان من فخذ وائلة وعامر: ابني ذبيان بن كنانة بن يشكر. فمن بني عامر بن ذبيان: بنو جشم بن عامر: فخذ يقال لهم: الجشميّون أيضاً. وأما بنو عليّ الوائلي فالعقب من عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن عليّ وحده؛ وإليه يرجع كلّ صعبيّ في نزار. والعقب من صعب من ثلاث بطون: عُكابة ولُحيم ومالك: أولاد صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، فأعقب مالك بن صعب في بني زمّان بن مالك: فخذ: وإليه ينسب كلّ زمّانيّ.
وأما لُحيم بن صعب، فأعقب من حنيفة بن لحيم: البطن المشهورة، ومن عجل بن لُحيم. قال الزبير بن بكار: وحنيفة امرأة نُسب إليها ولدها: وهي حنيفة بنت كاهل بن أسد بن خزيمة. فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل: الدُّؤْل بن حنيفة: القبيلة المشهورة في بني حنيفة، ويقال في النسبة إليه: دؤلي كذا

بضد النسبة إلى دؤل كنانة، وعامر بن حنيفة وعدّي بن حنيفة؛ وفيهم عدّة عشائر وقبائل، والعزوة إلى حنيفة تغني عنها؛ منها بنو يربوع بن الدؤل بن حنيفة إليه يُنسب كلّ يربوعيّ: وهم قبيلة خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أمّ أبي القاسم محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية؛ وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لعليّ "سيولد لك ولد وقد نحلته اسميّ وكنيتي".

قال: ولعبيد بن ثعلبة بن يربوع غير سلمة خمس أفخاذ لصلبه: مسلمة وشيبان وزيد ووهب وأرقم؛ ولهم عدد في بني مسلمة المذكور: عمرو بن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة، إليه يُنسب كنز الدولة حامي أسوان.

وأما عجل بن لحيم فأعقب من أربع أبطن: وهي سعد وكعب وهم قليل، وربيعة وضبيعة أولاد عجل؛ وإليه ينسب كلّ عجليّ. وفيهم عدّة أفخاذ وعشائر، وإلى ضبيعة يُنسب كلّ ضبعيّ.

وأما عكابة بن صعب بن عليّ فأعقب من بطنين: ثعلبة وفيه العدد، وقيس: ابني عكابة. والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي من خمسة: قيس من اللّهازم: بطن، ومالك وتيم الله من اللهازم: قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة، وشيبان وذهل وهما الذهلان: ابنا ثعلبة؛ وإلى شيبان هذا يرجع كل شيبانيّ، وإلى ذهل يرجع كلّ ذُهليّ.

فأما قيس بن ثعلبة فأعقب من ضُبيعة وسعد: ابنيه لصلبه. والعقب من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة وهو جحدر، وإليه يرجع كلّ جحدريّ، وسعد وتيم وعباد ومالك: بطن.

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة من سبع أفخاذ: وهم الحارث وذهل وعديّ ومالك وعامر وزمّان وحاطبة؛ ومن بني مالك بن تيم الله: بنو عائش بن مالك: فخذ. فأما شيبان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه: ذهل، وإليه يرجع الذهليّون، وتيم وثعلبة؛ وثعلبة هذا: هو الفخذ الذي يُنسب إليه ويرجع أبو الصقر محمد بن إسماعيل وزير المعتمد. وفيه يقول ابن الروميّ الشاعر:

قالوا: أبو الصقر من شيبان، قلت لهم: كلاّ لعمري ولكن منه شيبانُ

وكم أبٍ قد علا بابنٍ له شرفاً كما علا برسول الله عدنانُ

وأعقب ذهل بن شيبان من أولاده لصلبه: وهم مُرّة؛ وإليه يرجع المرّيون الشيبانيون وأبو ربيعة ومُحلِّم وصبح والحارث وعمرو: وهو جذرة وعوف وعبد غنم، ومن ولد أبي ربيعة بن ذهل: المُزدلف: وهو عمرو بن أبي ربيعة: فخذ كبيرة. وفي مرة بن ذهل بن شيبان عدّة أفخاذ: وهم سعد ودُبّ وسيّار وكثيّر وجندب وبُجير وجسّاس ونضلة وهمّام: قبيلة الأحلاف أولاد مرة. قال: وهمام بن مرة بن ذهل هو بيت ذهلٍ وقعدد فخرهم. وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف وثعلبة خمسين بيتاً، وعمرو

وعائشة والأسعد وحبيب: هؤلاء هم الأحلاف ومرّة وعبد الله والحارث.
وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الذهليين فمنه بطنان لصلبه: شيبان وعامر، فأعقب شيبان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أفخاذ لصلبه: وهم سدوس ومازن وعمرو الأعمى وعلباء ومالك وعامر وزيد مناة. وإلى سدوس هذا يُنسب كل سدوسيّ. ومن ولد مازن هذا: أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن. وإليه أيضاً يُنسب أبو عثمان المازنيّ النحويّ وكلّ مازنيّ، وفي مذحج في بني سُليم: زبيد مازن المعروفة.
نعود إلى باقي نسب وائل.
وأما تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، واسم تغلب دثار وكان أكثرهم نصارى، فالعقب منه في ثلاث أفخاذ لصلبه: عمران وهم قليل، وأوس وغنم؛ وفيه العدد والبيت؛ ومن قبائل غنم الخنَّاقون: بكر ورزاح ومالك وعديّ: بنو معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب، والأراقم الستة: جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية وثعلبة: أولاد بكر بن حُبيب بن غنم بن عمرو بن تغلب، ومن جشم هذا: بنو عُطيف مُجزئة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب: رهط سيف الدولة بن حمدان. فهذا نهاية الاختصار في نسب بني نزار.
وعمود النسب منه في ابنه مضر بن نزار، وأمّه سودة بنت عكّ العدنانية. ومنه غير عمود النسب وهو الياس ابنه قيس بن عيلان بن مضر؛ واسم عيلان: الناس، وهو أخو الياس.
ويقال: قيس عيلان بن مضر؛ وعيلان حاضنٌ كان لقيس فنُسب إليه كما نُسب غير واحد من العرب إلى الحضان: كسعد هذيم حضنه هذيم فنُسب إليه؛ والصحيح: أن عيلان بن مضر، واسمه الناس، وقيساً ولده. وقد قيل في الناس: الناسّ بتشديد السين.
نسب قيس وبطونها
والعقب من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عيلان ثلاثة نفر: خصفة وسعد وعمرو. وقال قائلون: وبر بن قيس وإنه ولد طوائف من البربر، وفي ذلك خلاف عند النسّابين.
فالعقب من خصفة هذا من بطنين: عكرمة ومُحارب ابني خصفة بن قيس. وقيل: إن خصفة بن عكرمة غلب اسمها عليه فنُسب إليها كما قيل في خندف. أعقب عكرمة بن خصفة من منصور بن عكرمة: البيت الأوّل من بني قيس، فيه العدد، وسعد بن عكرمة وأبي مالك وعامر: بني عكرمة. أعقب منصور بن عكرمة من هوازن بن المنصور: القبيلة المشهورة، ومن سليم بن منصور: القبيلة المشهورة، وسلامان بن منصور: قبيلة، ومازن بن منصور: قبيلة.
فأما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لا غير، وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث أفخاذ: معاوية بن بكر، وفيه العدد، وقسيّ وهو

ثقيف، واسمه منبِّه بن بكر، وإليه يرجع كل ثقفيّ؛ وسعد بن بكر؛ وإليه يرجع كل سعديّ من عشيرة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية: ظذر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قُصية بن نصر بن سعد المذكور؛ واسم زوجها وهو والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة: الحارث بن عبد العزّي بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سعد؛ وكنيته أبو كبشة؛ وبه كانت العرب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ابن أبي كبشة. وقيل في أبي كبشة أقوال منها أن جدّه لأمّه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة كان يكنى أبا كبشة فنسبوه إلى ذلك ليتمه وموت أبيه. وكان أيضاً عمرو بن زيد أبو أسد النجاريّ أبو سلمى بن عبد المطلب جدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يكنى: أبا كبشة. وقيل: بل لحظوا لقولهم: أبا كبشة يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن الحارث، وهو أبو قيلة أمّ وهب بن عبد مناف والد آمنة أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن قتيبة: إنه كان يعبد الشعرى دون العرب، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة الله دون الأصنام، شبهوه في شذوذه عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أمّه بعبادة الشعرى وانفصاله منهم.
وأما معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب من صعصعة بن معاوية: القبيلة العظمى، وجشم بن معاوية؛ وإليه ينسب كل جشمي في هوازن. وله ثلاث أفخاذ: عُصيمة وزِمّان وبنو جشم ونصر بن معاوية جدّ النصريّين القيسيّين. ومنه فخذان: بنو دهمان وبنو عوف: ابني نصر، وجحش بن معاوية: فخذ، وسيار بن معاوية: فخذ، وكلاب بن معاوية، ومنجاب بن معاوية، وعمرو بن معاوية، وأدحية بن معاوية، ودُحية بن معاوية، ودحوة بن معاوية، والسَّبَّاق: وهو يعيش بن معاوية، وعوف بن معاوية، وجحاش بن معاوية: هؤلاء كلهم أفخاذ قليلو العدد، يقال لهم: الهوازنيون.
وأما صعصعة بن معاوية فأعقب لصلبه عامر: القبيلة المشهورة، ومرّة: وهم سلول؛ وكل سلوليّ ينسب إلى مرّة هذا؛ وأمّ ولده سلول الشيبانيّة: وهي سلول ابنة شيبان بن ذهل بن ثعلبة؛ وولده عشرة أفخاذ: وهم عمرو وضبيعة ونهار وسُحيم: وهو أعيا، وغاضرة وعُدية وجابر ومعاوية وجنى ودهى.
وباقي ولد صعصعة لصلبه قبائل صغار: عبد الله وعائذ وعمرو وقيس وكبير وسيار ومساور وزبيبة وربيعة وغالب ووائل ومازن وعوف ومنجور والحارث: خمس عشرة قبيلة؛ وفي هذه القبائل: بنو عادية وبنو عُديّة بالضم، فأما بنو عادية فهي أم عبد الله عادية والحارث. وأما بنو عدية فهي أم قيس عدية وعوف عدية. وإلى عمرو بن صعصعة بن معاوية تُعزى الطائفة المعروفة بالأكراد. ومن النسّابين من ذكرهم إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة المذكور. ومنهم من نسبهم إلى أكراد بن

فارسان بن أهلوا بن إرم بن سام بن نوح، وعليه اعتمدوا.
ومنهم من قال: كرد بن مرد بن يافث بن نوح.
وأما غامر بن صعصعة فأعقب من أربع بطون: وهم نمير وسواءة وهلال وربيعة.
فأما نمير بن عامر، وإليه يُنسب كلّ نميريّ، ففيهم عدّة أفخاذ: بنو المقشّب: وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو خُويلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو أسقع: وهو مالك بن عامر بن نمير.
وأما سواءة بن عامر بن صعصعة فمنه عدّة أفخاذ: منها بنو حُبيب بن سواءة وبنو جسّاس بن سواءة وبنو حرثان بن سواءة.
وأما هلال بن عامر بن صعصعة فالبطن المشهور، وقد نزلوا المغرب من تلمسان إلى طرابلس، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه.
أوّلهم البيت المقدّم عبد الله ونهيك وربيعة وعائدة وعبد مناف ورويبة وصخر وشعبة وشعيبة وناشرة وحضرة.
وفي هلال عدّة أفخاذ وعشائر: كزُغبة ورياح وفادع والأثيج وحُوثة، وقُرّة وغيرهم. فأعقب عبد الله: وهو البطن الأولى من بني هلال من ثلاث أفخاذ: رُويبة بن عبد الله وحوثة وحارثة: ابني عبد الله؛ فأعقب رويبة بن عبد الله من أربع عشائر: زغبة ورياح وهزوم ومعاوية: بني رويبة بن عبد الله، فمن بني الهزم بن رويبة بن عبد الله: ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بُجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله أمّ المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بني رياح: بنو نجيّة بن عليّ بن فادع: فخذ أعقب، إليه يرجع جنادة بن كامل مقدّم بني هلال.
وأما نهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه: وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو حشم.
وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل: الحارث وعمرو وربيعة ويعمر: بني عبد مناف لصلبه. فمن بني ربيعة بن عبد مناف بن هلال: قرّة بن عمرو بن ربيعة: فخذ مشهورة كبيرة، إليه يرجع كلّ قرّيّ. ومن بني عمرو بن عبد مناف بن هلال: زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف أمّ المساكين زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أمّ المؤمنين.
فهذا مختصر قبائل هلال.
وأما ربيعة بن عامر بن صعصعة، فأعقب من خمس قبائل: وهم الحارث وكليب وعامر وكلاب وكعب: بنوه لصلبه. أما الحارث بن ربيعة فأعقب من فخذين لصلبه: عوف وعُويف. وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أفخاذ لصلبه: أبان وجهم وجشم وخلف ومسروق.
وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أفخاذ لصلبه: عمرو وعوف والبكّاء ومعاوية.
وأما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن، قال الشاعر:

وإن كلاباً هذه عشر أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر.
يعني شُمر بن ذي الجوشن الضِّبابيّ، والعشر أبطن لصلب كلاب: وهم جعفر وأبو بكر واسمه عبيد، ومعاوية: وهو الضِّباب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط وعمرو وعبد الله ورؤاس قيل: بالفتح وواو بدل الهمز، وكعب. فأما جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أفخاذ لصلبه: مالك والأحوص وخالد وعُتبة؛ وفيهم عدّة عشائر.
وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ لصلبه: عبد وكعب وعبد الله. فأما عبد بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه: بنو قُرط وبنو قُريط. وأما كعب بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه: بنو جحش بن كعب. وأما عبد الله بن أبي بكر فمن عشائره لصلبه: بنو المجنون: وهو ربيعة بن عبد الله. وأما معاوية بن كلاب وهو الضِّباب فمنه ثلاث عشرة، قبيلة: وهم ضبّ ومُضبّ وضباب؛ ولأجلهم عرف هذا البطن أعني بني معاوية بالضّباب، وحُسيل وحسل وعمرو وأنس والأعور وزفر وأنيس ومالك وربيعة وزهير: أولاد عمرو بن معاوية. ومن ولد الأعور هذا شمر بن شُرحبيل بن الأعور قاتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه.
وأما عامر بن كلاب فمنه أربع قبائل لصلبه: وهم بنو الأصمّ، وهم قليل، وبنو كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطريف بن عامر وعقيل بن عامر. فأعقب كعب بن عامر من الوحيد: وهو عامر بن كعب، من أفخاذه: خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، منه أمّ البنين بنت حزام بن خالد المذكور زوج عليّ بن أبي طالب، وهي لأمّ ابنه العباس السقّاء؛ عرف بذلك لأنه سقى الحسين الماء بكربلا.
وأما ربيعة بن كلاب فمنه ثلاثة أفخاذ لصلبه: وهم بُجير وعُبيد ونفيل أبو نمير. وأما الأضبط بن كلاب ففخذه: بنو وبر بن الأضبط؛ ومن بني وبر سبع عشائر: وهم وهب الأكبر ووهب الأصغر وواهب وإهاب ووهبان وخالد وأبو ربيعة: أولاد وبر بن الأضبط.
وأما عمرو بن كلاب فمنه فخذان: نفيل وأبو عوف: ابنا عمرو بن كلاب. وأما عبد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ: عامر وعمرو والصَّموت: أولاده لصلبه. ومن عشائر الصموت بن عبدالله: صُبيعة الأغر بن عبد الله بن الصموت. وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ: بجاد وبُجيد وعُبيد: أولاده لصلبه؛ ومن بُجيد: عُفيف بن بُجيد: فخذ؛ وإلى رؤاس هذا ينسب كلّ رؤاسيّ. وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه: عامر ووهب وربيعة وأوس. فهذا مختصر بني كلاب وأبطنها - نعود إلى باقي ولد ربيعة بن عامر.
وأما كعب بن ربيعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه: وهم جعدة بن كعب: البطن المشهورة؛ إليها يرجع كلّ جعديّ؛ وفيها عدة قبائل وعشائر، وحبيب بن كعب: البطن المشهورة؛ وإليها

يرجع كلّ حبيبيّ؛ وفيها أفخاذ، وعبد الله بن كعب منه العجلان بن عبد الله: بطن، وربيعة بن عبد الله، ونهم بن عبد الله؛ وفيهم أفخاذ، وقُشير بن كعب، وإليه يرجع كلّ قُشيريّ؛ وفيها عدة أفخاذ وعشائر، والحريش بن كعب، وإليه يرجع كلّ حرشيّ: كعبد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش الحرشيّ الصحابيّ وغيره، وعُقيل بن كعب: البطن المشهورة، إليها يرجع كلّ عُقيليّ بالضم. والعقب من عقيل بن كعب: بن ربيعة بن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيل: البطن المشهورة، وعبد الله وربيعة ومعاوية وعامر وعُبادة؛ كل هؤلاء أبطن. والعقب من خفاجة من أحد عشر فخذاً لصلبه: وهم بنو معاوية ذي القرح: فخذ، وبنو كعب ذي النُّويرة، وبنو الأقرع: فخذ، وبنو كعب الأصغر، وبنو عامر ، وبنو مالك، وبنو الهيثم، وبنو الوازع؛ إليه ينسب كلّ وازعيّ، وبنو عمرو، وبنو حزن، وبنو خالد. والفخذ العظمى من بني عقيل بعد بني خفاجة: بنو يُزيد بضم الياء بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة: عشيرة الأمير أبي المنيع شرف الدولة محمد بن مرداس؛ ودرج شرف الدولة، وهو ملك العرب.
فهذا مختصر من نسب بني عقيل، وهؤلاء هوازن وهم بكر، والله سبحانه وتعالى أعلم. وأما سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان: وهو البطن المشهورة، فأعقب من بهثة بن سليم، وأعقب بهثة من خمسة أفخاذ لصلبه: معاوية وعوف وامرئ القيس والحارث وثعلبة. ومن بني امرئ القيس بن بهثة: بنو عُصيّة بن خُفاف بن امرئ القيس: بطن.
وأما محارب خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب فخذين لصلبه: طريف وجسر، ويقال لبني جسر: بنو عليّ لأن العقب من جسر بن محارب في عليّ بن جسر لا غير. انقضى ذكر بني خصفة بن قيس بن عيلان. وأما سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه: وهما غطفان، ومنبه: وهو أعصر؛ والعقب من ريث بن غطفان من أربع أبطن لصلبه: بغيض ومازن وأشجع وإليه يرجع كلّ أشجعيّ، وأهون: بنو ريث.
والعقب من بغيض بن ريث من عبس وذُبيان وهما القبيلتان المشهورتان. وذكر بعض النسابين أنمار بن بغيض منهم أبو كبشة الأنماريّ. وقيل: إن أبا كبشة الأنماريّ إنما هو من مذحج.
والعقب من عبس بن بغيض بن ريث بن عطفان من فخذين: قطيعة وورقة ابني عبس. والعقب من قطيعة بن عبس من الحارث، ومُعتمر: قبيلة قليلة، وعوف: قبيلة، وغالب: قبيلة الحطيئة، ومُريطة: قبيلة من ولد خالد بن سنان نبيّ أهل الرسِّ بن جابر بن غيث بن مريطة.
والعقب من الحارث بن قطيعة بن عبس من جروة وعامر ومازن: قبيلة وذكوان وشدّاد: بني الحارث بن قطيعة. ومن مازن بن الحارث أفخاذ: منهم جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن: فخذ؛ إليه يرجع الجذميون بالجيم: منهم عشيرة بني زهير

بن جذيمة في آخرين. وأما ذبيان بن بغيض، فأعقب من فزارة: البطن المشهورة، وسعد؛ فأعقب فزارة بن ذبيان من مرّة وظالم ورومي، درج وشمخ وعديّ ومازن: أولاد فزارة؛ وفيهم قبائل وعشائر
وأفخاذ. وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المرّيون: بنو مرّة بن عوف بن سعد، وفيهم أفخاذ، وبنو عقال بن سعد: فخذ، وبنو بحالة بن ثعلبة بن سعد وبنو عجب بن ثعلبة وبنو رزام بن ثعلبة. وأما عبد الله بن غطفان بن سعد فالعقب منه في بهثة بن عبد الله وقُطبة وعديّ وعُذرة وكلب وباعث وشبابة وغنم وعوف ومنبّه؛ عشرة أفخاذ. وأما أعصر: وهو منبّه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة: وهم ولد مالك بن أعصر، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بجيلة بن مذحج؛ ولد سعد بن مالك بن يعصر ومعن بن مالك بن يعصر فغلب اسمها عليهم ونُسبوا إليها؛ وكلّ باهليّ ينسب إلى باهلة وهم ولد مالك بن أعصر بن معن بن مالك، وغنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس أعقب من غنم وجعدة، إليها ينسب كلّ غنويّ والطّفاوة، اسمه الحارث بن أعصر إليه ينسب الطّفاويّون، وعامر بن أعصر.
وأما عمرو بن قيس بن عيلان، فمنه بطنان لصلبه: وهما عدوان واسمه الحارث، وفهم: ابنا عمرو بن قيس؛ وإنما قيل له عدوان: لأنه عدا على أخيه فهم فقتله. وفهم وعدوان يقال لهما: جديلة قيس، وهي أمّهم جديلة بنت مرّ بن أدّ: أخت تميم بن مرّ. ومن قبائل عدوان: بنو يشكر وبنو دوس: ابني عدوان: القبيلتان المشهورتان.
هذا آخر مختصر نسب قيس بن عيلان بن مضر. فلنرجع إلى عمود النسب. وعمود النسب من مضر في ابنه:
الياس بن مضر بن نزار
وأمّه الرِّباب بنت إياد المعدّية؛ ومنه غير عمود النسب وهو مُدركة بطن واحد وهو طابخة بن الياس؛ قال: لأن قمعة بن الياس فيه خلاف كثير، وأكثر مشايخ النسب يذكرون أنه درج ولا عقب له؛ وذكر آخرون: أنه أبو خزاعة، وخزاعة ليست بأبٍ ولا أمٍّ وإنما هم انخزعوا من مضر إلى اليمن ببطن مرٍّ، وذلك حين أقبل بنو عمرو بن عامر يريدون الحجاز؛ ألا ترى قول عون بن أيوب الأنصاريّ:

ولما هبطنا بطن مرٍّ تخزَّعت خزاعة منّا في حُلولٍ كراكرِ
حمت كلَّ وادٍ من تهامة واحتمت بصُمّ القنا والمرهفاتَ البواترِ.

وقد أوردنا نسب خزاعة في بني عمرو بن عامر ماء السماء الغسانيّ في نسب اليمن، ومن قبائل طابخة بن الياس خمسٌ: بنو مُرِّ بن أدّ بن طابخة، وبنو ضبّة بن أدّ بن طابخة، وبنو عمرو، وبنو خميس، وبنو عبد مناة: أولاد أدّ بن طابخة. فأما بنو مُرّ بن أدّ بن طابخة، فمنه بنو تميم بن مرّ، وبنو ثعلبة بن مرّ: ظاعنة من الشُّعيراء، وبنو صوفة: وهم ولد الغوث: وهو الرَّبيط بن مرّ وبكر

بن مرّ من الشعيراء، ومحارب بن مرّ، فهم عدة أفخاذ وقبائل.
وقبائل تميم: وهم ثلاث: زيد مناة والحارث وعمرو: أولاد تميم لصلبه. فمن قبائل زيد مناة بن تميم: نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبنو سدوس بن دارم: قبيلة. وبنو عبد اللهِ بن دارم: منهم عطارد: قبيلة حاجب بن زُرارة بن عُدس وكلٌّ من عداه بفتح الدال ابن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس، وبنو أبان بن دارم: قبيلة. وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة: قبيلة. وبنو كليب بن يربوع: قبيلة. وبنو رياح بن يربوع: قبيلة. وبنو غُذانة بن يربوع: قبيلة. وبنو جارية بن سليط بن يربوع. وبنو البراجم: وهم ظُليم وعمرو وقيس وغالب وكلفة: أولاد حنظلة بن مالك؛ فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك؛ سموا براجم لتجمُّعهم كالأصابع. ثم قبيلة الجوع: وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة؛ والكردوسان من بني زيد مناة: معاوية وقيس ابنا مالك بن زيد مناة بن تميم. ومن زيد مناة: بنو سعد بن زيد مناة، ومنه عدّة قبائل، منهم قبائل الأبناء: وهم عبشمس وعُوافة وعوف وجشم ومالك وعمرو: بنو سعد بن زيد مناة. ومن بني سعد بن زيد مناة: بنو الحرام: وهو من الخدعة بن كعب بن سعد، وبنو حمَّان بن عبد العُزَّى بن كعب بن سعد، وبنو الأعرج: وهو الحارث بن كعب بن سعد، وبنو قُريع بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بهدلة بن عوف بن كعب، وبنو برنيق بن عوف بن كعب، وبنو عطارد بن عوف بن كعب قليلون.
ومن قبائل كعب بن سعد المذكور: بنو منقر بن عبيد بن مُقاعس: وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المنقريُّون. ومن بني زيد مناة: بنو امرئ القيس بن زيد مناة. له عدد ومدد، منه ثلاثة أفخاذ: بنو عُصيَّة وبنو مالك وبنو الحارث: أولاد امرئ القيس المذكور. ومن بني زيد مناة: بنو عامر الصحيح بن زيد مناة؛ فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم.
وأما الحارث بن تميم فمنه شقرة بن الحارث: قبيلة، اسمه معاوية، وسُمي شقرة ببيت قاله:

وقد أحمل الرمح الأصمَّ كُعوبه به من دماء القوم كالشقراتِ

والشقرات: شقائق النعمان، والنعمان: الدم؛ والله أعلم.
وأما عمرو بن تميم فمنه سبعة أفخاذ، وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهجيم وبنو أسيد وبنو الحبطة: وهو الحارث، وبنو القُليب: وهو أليهة وزن عليهة وكعب: بنو عمرو بن تميم؛ وولي كعب هذا البيت قبل قريش.
فأما مالك بن عمرو بن تميم فمنه فخذان: مازن، منهم أوفى بن مطر المازنيّ جليّ العرب، والحرماز: وهو الحارث بن مالك.
فمن بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: أنمار بن مازن: فخذ قليلون، ورألان بن مازن: قبيلة، وخُرقوص بن مازن، ورزام بن مازن: قليل، وخزاعيّ بن مازن: قليل.

وأما بلعنبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة: كعب وجندب ومالك: أولاد العنبر؛ وكلّ بلعنبريّ ينسب إلى بلعنبر هذا: وهي قبيلة مشهورة.
وأما بلهجيم بن عمرو بن تميم وهو الهجيم فأعقب من خمسة: عامر وسعد وعمرو وربيعة وأنمار. ويقال لبلعنبر وبلهجيم: الخبطات. وكذلك أخوهما الحارث الخبط؛ وهو الذي عرفوا بذلك من أجله، يقال: إنه أكل خبطاً فسُمي به.
وأما أسيد بن عمرو بن تميم فأعقب من ستة لصلبه: عقيل ونمير وجروة: قبيلة، وعمرو والحارث. فمن بني جروة بن أسيد بن هند بن أبي هالة: نبَّاش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غويّ بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم: ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأمّه خديجة بنت خويلد.
وأما الحارث الخبط بن عمرو بن تميم فمنه قبيلة سعد بن الحارث، وهي قبيلة الخبطات، ومشادة بن الحارث الخبط ونضلة بن الحارث الخبط: فهؤلاء بنو تميم في مُرّ بن أدّ بن طابخة.
وأما بنو ضبة بن أدّ فثلاث قبائل: سعد وسعيد وباسل. ولسعد وسعيد المثل السائر أسعد أم سُعيد. أما سعيد بن ضبة فقليل عددهم. أما سعد بن ضبة فأعقب من اثنين: ثعلبة وبكر: ابني سعد؛ فأما ثعلبة بن سعد، فمن قبائلها: بنو مسعود بن دُلجة بن نُعيم بن قُرامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد: قبيلة يُنسب إليها كلّ مسعوديّ، وبنو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد: قبيلة. ومن بني بكر بن سعد بن ضبة: صبح وبجالة: ابنا ذهل بن مالك بن بكر بن سعد: فخذان، وعائذة بن مالك بن بكر بن سعد: فخذ، ونصر بن عبد الله بن بكر بن سعد: فخذ.
وأما باسل بن ضبة فإنه خرج مغاضباً لأبيه فوقع بأرض الدَّيلم فتزوج امرأة من الديلم، فولدت له الديلم بن باسل: جدّ القبيلة المشهورة؛ ومن رجالها في الجاهلية: زيد الفوارس بن حصين، وفي الإسلام بن شُبرمة القاضي. وأعقب من الديلم فخذان: الأبيض بن معاوية بن الديلم، وبُجير بن معاوية بن الديلم.
فأعقب الأبيض ابن معاوية من الضحاك ولار وشهريار وإيران وناشر: أولاد الأبيض بن معاوية بن ديلم من بهرام بن الضحاك؛ وفيروز وزربوران وبريانوس: أربعة أفخاذ. وأعقب بريانوس بن الضحاك من قابوس بن بريانوس. وأعقب قابوس من شاه مرد. وأعقب لار بن الأبيض من كامياد بن لار. وأعقب كامياد من ابنه جور.
وأعقب بجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما، فأعقب تيداذما من دادوه.
فهذه النهاية في اختصار نسب الديلم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.
وأما عمرو بن أدّ بن طابخة فهو مُزينة، ومزينة أمه: وهي بنت كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن

قضاعة، وكلّ مزنيّ ينسب إلى مزينة هذا. ومن مزينة: عثمان وأوس: ولدا عمرو؛ فمن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بطنان: عدا ولاطم: ابنا عثمان. ومن مزينة: النعمان بن مقرَّن وزهير بن أبي سُلمى؛ وليس في العرب سُلمى بالضم سواه، ورؤبة بن العجّاج. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم! "أسلم وغفار ومزينة وجهينة أو قال: من كان من جهينة خيرٌ من بني تميمٌ وبني عامر بن صعصعة ومن الحليفين أسد وغطفان".
وأما عبد مناة بن أدّ بن طابخة فمنه ثور أطحل بن عبد مناة: بطن رهط سفيان الثوريّ رحمه الله، وأطحل جبل، وبنو الرباب: ولد تيم بن عبد مناة وعديّ بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة: سُمُّوا الرِّباب: لأنهم غمسوا أيديهم في رُبٍّ إذ تحالفوا على بني تميم. قال: ومن النسابين من يجعل الرباب بني تيم وعديّ وثور وعُكل: وهم بنو عبد مناة وضبة بن أدّ.
فأما عديّ بن عبد مناة، فإليه ينسب كلّ عدويّ ليس من عديّ قريش؛ ومنهم: أبو قتادة العدويّ: تابعيّ؛ وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كلّ عوفيّ؛ ومنهم: عطيّة العوفيّ. قال: وشيخ الشرف النسابة يقول: إن عكلاً هو عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة، وعُكل: أمةٌ لامرأةٍ من حمير يقال لها: بنت ذي اللِّحية، تزوجها عوف بن وائل، فولدت له جشماً وسعداً وعليّاً، ثم هلكت، فحصنت عكل ولدها فغلبت عليهم ونُسبوا إليها.
وأما تيم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ففخذه: عمرو بن الحارث بن التيم بن عبد مناة وفيه العدد.
انقضت خندف فلنرجع إلى عمود النسب من الياس في ابنه: مدركة بن الياس بن مضر
واسمه عمرو، وأمّه خندف: وهي ليلى بنت حلوان القضاعية؛ وإنما سُمي مدركة: لأن أباه الياس خرج منتجعاً، ومعه أهله وماله، فدخلت بين إبله أرنب، فنفرت الإبل، فخرج أولاد الياس، فأدركها عمرو، فسمّاه أبوه الياس: مدركة؛ وخرجت ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمّه تهرول فقال لها الياس: مالك تخندفين؟ والخندفة: الهرولة، فسميت خندف، وخرج عامر بن الياس أخو مدركة في طلب الأرنب فاصطادها وطبخها، فقال له أبوه الياس: أنت طابخة، ورأى عمراً أخاهما قد انقمع في الظلّة فهو يخرج رأسه منه، فقال له أباه الياس: أنت قمعة.
ومن مدركة غير عمود النسب: بنو هذيل بن مدركة، ومن هذيل: بطنان لصلبه: بنو لحيان وسعد؛ ومن قبائل سعد بن هذيل: بنو خُناعة بن سعد، وبنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل؛ منهم: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة الصحابيّ: أحد القرّاء رضي الله عنه. ومن شعراء هذيل: أبو ذؤيب الهذليّ وأبو كبير وأبو المثلم وغيرهم.

وعمود النسب من مدركة في ابنه خزيمة بن مدركة، وأمّه سلمى بنت أسلم القضاعية؛ ومنه غير كنانة عمود النسب قبيلتان: وهما الهون وأسد. فأما الهون ابن خزيمة، فأعقب من عضل والدِّيش ابني بليغ بن الهون، وهم القارة: سُموا قارة: لأن يعمر بن عوف بن الشدّاخ أحد بني ليث لما أراد أن يفرّقهم في بطون كنانة، قال رجل منهم: دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم فسمّوا قارة: وهم رماة العرب وفيهم قيل قد أنصف القارة من راماها وسبب هذا المثل أن رجلين التقيا، أحدهما من القارة، فقال القاريّ للآخر: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك، فقال خصمه: قد اخترت المراماة، فقال القاريّ:

قد أنصف القارة من راماها إنا إذا ما فئةٌ نلقاها
نرد أولادها على أخراها

ثم انتزع له سهماً فسلّ فؤاده؛ وقيل غير ذلك.
ومن أسد بن خزيمة أربع عشائر: بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان: بني أسد. فمن دودان: بنو عمرو بن دودان: قبيلة: وهم وجوه بني أسد؛ منهم زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة؛ زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم: وهي بنت عمتّه أميمة بنت عبد المطلب. وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة. ومن شعرائهم: بشر بن أبي خازم الوالبيّ الجاهليّ. وبنو قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة، منهم: فخذ بني نصر بن قعين، ومنهم بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة. وبنو أعيا بن طريف: قبيلة، وبنو قيس بن طريف: قبيلة، وبنو كعب بن عمرو بن قعين: قبيلة، وبنو سُواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان: فخذ، وبنو ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان.
وعمود النسب من خزيمة بن مدركة في ابنه كنانة بن خزيمة، وأمه عوانة بنت سعد القيسية. وبنو كنانة أوّل عربٍ تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه. ومن بني كنانة عمود النسب وهو النضر: خمس قبائل لصلبه: بنو عبد مناة وعمرو وعامر وملكان ومالك منهم: بنو حداد بن مالك بن كنانة: فخذ.
فأما عبد مناة بن كنانة، فمنهم: بنو بكر وبنو عامر وبنو مرة: بني عبد مناة، ومن بني بكر بن عبد مناة: بنو الدُّئل بن بكر بن عبد مناة: رهط أبي الأسود الدؤليّ: وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عديّ بن الدئل بن بكر المذكور: وهو تلميذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النحو، ويقال في النسبة إلى هذا الفخذ: دؤلي مهموز مفتوح. ومن بني بكر: بنو الحارث بن بكر: فخذ، وبنو ليث بن بكر: فخذ؛ منهم: بنو حدج بن ليث بن بكر فخذ، وبنو ضمرة بن بكر: فخذ.

منهم: بنو غفار بن مُليل بن ضمرة بن بكر: رهط أبي ذرّ الغفاريّ: وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صُعير بن حرام بن غفار، وقد انقرض أبو ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه.
وأما عامر بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: قين بن عامر: قبيلة أهل الغميصاء، قتلهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.
وأما مرّة بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: بنو مُدلج بن مرة: قبيلة سراقة بن مالك بن جعشم وهم المدلجيّون، قالوا: وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر والقيافة.
وأما عمرو بن كنانة، فهم العمريّون. وأما عامر بن كنانة، فهم العامريون، وأما ملكان بن كنانة فهم الملكانيّون، وأما مالك بن كنانة فمنه في الحارث، ومن الحارث في ثعلبة، ومن ثعلبة في فخذين: بنو عامر وبنو غنم. أما غنم فمنه: فراس بن غنم: وهم الفراسيّون. ومن بني غنم: أمّ رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم: وهي أم عائشة بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها زوج النبي
صلى الله عليه وسلم.
ومن عامر عشيرتان: بنو مخدج بن عامر بن ثعلبة المخدجيون، وبنو فُقيم بن عديّ بن عامر النسأة. فهؤلاء أفخاذ كنانة؛ والله أعلم.
وعمود النسب من كنانة بن خزيمة في ابنه النَّضر بن كنانة، واسمه قيس، وأمه برة بنت مرّ الأدّية، والنضر: الذهب؛ وكان له: يخلد بن النضر، منه: بدر بن الحارث بن يخلد الذي سُميّت به بدرٌ بدراً. قال: وليس له ولد باق. والعقب من النضر بن كنانة في ابنه عمود النسب وه:
مالك بن النضر
وأمه عكرشة بنت عدوان القيسية، ولا عقب لمالك إلا من عمود النسب وهو ابنه: فهر بن مالك وهو قريش، وأمه جندلة بنت عامر الجرهمية، وكل من لم يلده فهرٌ فليس بقرشيّ. وقد قيل في تسميته بقريش أقوال: منها أنه اسم دابة في البحر، وأنه اسم للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه: إن التقريش: التفتيش، فكان يقرش عن خلّة كل ذي خلّة فيسدّها بفضله: فمن كان محتاجاً أغناه، ومن كان عارياً كساه، ومن كان طريداً آواه، ومن كان خائفاً حماه، ومن كان ضالاً هداه. قال الحارث بن حلّزة اليشكريّ عفا الله تعالى عنه:
أيها الناطق المقرّش عنا عند عمرو، وهل لذاك بقاء؟
وقيل: التقرش: التجمّع، وسُميت قريش لتجمعها، فإنها لما تجمعت بمكة وجمعت خصائل الخير سُميت قريشاً؛ وتُسمى أيضاً الحمس من الحماسة؛ وذلك أنها تحمست في دينها فقالت: لا نطوف بالبيت عراةً، ولا تسلأ نساؤنا سمناً، ولا تغزل وبراً، ولا نخرج إلى عرفات، ولا نزايل حرمنا، ولا نعظم غيره، ولا نطوف

بين الصفا والمروة. وكانوا يقفون بالمزدلفة ومن سواهم من العرب يقال لهم: الحلّة: كانوا يطوفون بالبيت عراةً ويقولون: نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التي اجترحنا فيها الآثام.
قال: ومن بني فهر غير غالب عمود النسب: بنو الحارث بن فهر وبنو محارب بن فهر. فمن بني الحارث بن فهر: قيس بن الخلج بن الحارث. ويقال: الخلج بلاد قيس، سموا بذلك: لأنهم نزلوا الخلج بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام. منهم آل هرمة الشاعر: وهم هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبح بن عديّ بن قيس.
ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة أمين هذه الأمة: وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر، لا عقب له. ومن بني محارب بن فهر: ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن حبيب بن شيبان بن محارب بن فهر وهو القائل:

ونحن بنو الحرب العوان نشبّها وبالحرب سُمينا فنحن محاربُ

وعمود النسب من فهر بن مالك في ابنه غالب بن فهر وأمه ليلى بنت الحارث الهذلية، منه فخذ واحد غير عمود النسب، وهم الأدرميون: ولد تيم بن غالب. والأدرم: الناقص الذقن، وهم قليل وقد ولدوا في العرب ولادات. وعمود النسب من غالب بن فهر في ابنه لؤي بن غالب، وأمه عاتكة بنت مخلد الكنانية النضرية، وقيل بل هي سلمى بنت عمرو الخزاعية؛ وهو تصغير اللأي وهو ثور الوحش مهموز، وقال أبو حنيفة: اللأي البعرة، وقيل لؤيّ تصغير لأيٍ وهو البطء: نقيض العجلة.
وأنشد أبو أسامة:

فدونكم بني لأيٍ أخاكم ودونك مالكاً يا أمَّ عمرو.

وقال ابن دريد: هو مشتق من لواء الجيش وهو مهموز، وإن كان من لوى الرمل فهو مقصور، قال امرؤ القيس:

بسقط اللِّوى بين الدَّخول فحوملِ

واللوى: اعوجاجٌ في ظهر الفرس. قال: ومن قبائل بني لؤي غير كعب عمود النسب: بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمة: وهم عائذة قريش وسعد، وإليه ينسب بنو نُباتة بفتح النون وضمها: وهي أمّ سعد بن لؤيّ؛ بها يعرفون، وإليها ينسبون، وقيل: نُسبوا إلى حاضنةٍ لهم اسمها نباتة من بني القين بن جسر بن شيع الله؛ ويقال: سبع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة. والحارث بن لؤيّ، وعوف وجشم: أولاد لؤيّ.
فأما عامر بن لؤيّ، فمنهم ابن أمّ مكتوم الأعمى الذي نزل فيه "عبس وتولّى" وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة؛ واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعيص بن عامر بن لؤيّ؛ ومنهم عمرو بن

عبدودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، الذي قتله عليّ بن أبي طالب يوم الخندق.
وأما بنو أسامة بن لؤيّ، فيزعم من نسب بني ناجية إلى قريش أنهم يلقون بني لؤيّ عند أسامة بن لؤيّ، وقد كان عليّ بن أبي طالب سباهم حين أقاموا على النصرانية ثم باعهم فيمن يريد، فاشتراهم مصقلة بن هُبيرة الشيبانيّ بمائة ألف درهم، فقدم منها ثلاثين ألفاً وأعتقهم، فأنفذ عليّ عتقهم، وهرب مصقلة ببقية المال إلى معاوية. وقد قيل عن عليّ إنه قال: ما أعقب عميّ سامة بن لؤيّ.
وأما خزيمة بن لؤيّ، فإليه يُنسب القوم الذين يزعمون أنهم عائذة قريش. قال: وشيخ الشرف بن أبي جعفر النسابة يدفعهم عن النسب؛ وهم قوم تكثر بهم معاوية فأدخلهم في قريش، وعائذة هي ابنة الخمس بن قُحافة بن خثعم، بها يُعرفون: وهم بنو الحارث بن مالك بن عبيد بن خزيمة بن لؤيّ، وعائذة أم الحارث هذا؛ ويقال: الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤي، وهم بمالك خمس أفخاذٍ من عوف: بنو جذيمة، وبنو عامر، وبنو سلامة، وبنو معاوية: أولاد عوف، وعائذة مع بني محلب بن ذهل بن شيبان، باديتهم مع باديتهم، وحاضرتهم مع حاضرتهم يد واحدة.
فلنرجع إلى عمود النسب، وهو من لؤيّ بن غالب في ابنه:
كعب بن لؤيّ بن غالب
وأمه مارية بنت كعب القضاعية. ومنه غير مرّة عمود النسب وهما بطنان: بنو عديّ وبنو هُصيصٍ؛ فأما بنو عديّ، فمنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن نُفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب. وسعيد بن زيد بن نفيل المذكور أحد العشرة. ومن بني عديّ: عبد الله بن مطيع بن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بفتح العين وضمها، بن عديّ بن كعب، وهو وأبوه من الصحابة، وهو الذي أمره أهل المدينة حين أخرجوا بني أمية منها في وقعة الحرّة.
وأما بنو هُصيص بن كعب فمنه فخذان: بنو جُمح وبنو سهم: ابني عمرو بن هصيص.
فأما بنو سهم: فمنهم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص.
وأما بنو جمح، فمنهم عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح: هاجر الهجرتين وشهد بدراً. منهم صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة المذكور، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم! "أبا وهب". ومنهم أبو محذورة: أوس بن معين بن لوذان بن سعد بن جمح، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
ويرجع إلى عمود النسب وهو كعب بن لؤيّ في ابنه:
مرّة بن كعب

وأمّه وحشية بنت شيبان الفهرية. ومنه غير كلاب الذي هو عمود النسب: بطنان وهما: بنو تيم، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ويكنى بعتيق، ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه في الغار بنص القرآن بقوله تعالى: "ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا" فشهد له القرآن بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وناهيك بذلك شرفاً، وصهره، وخليفته صلى الله عليه وسلم ورضي عن أبي بكر وأرضاه.
ومن بني تيم: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد العشرة، وبنو يقظة بن مرة، منهم: أم سلمة الصادقة: زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة، وخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقب بسيف الله، قال وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقاً ولا غرباً، وإن انتمى إليهم أحد فهو مبطل في إنتمائه، وكل من ادعى إليه، فقد كذب. قال الشريف: وكان شيخنا الفقيه مجلّى بن جميع بن نجاء الشافعيّ قاضي مصر يدعى إليه، وهو على كتبه بخطه وشافهنا به ولا صحة لذلك.
وعمود النسب من مرة بن كعب في ابنه:
كلاب بن مرة بن كعب
وأمه هند بن بهز بن حكيم، وقبل عروة وقيل عروة. ومنه غير قصي عمود النسب: بطن واحد: وهم زهرة بنت كلاب؛ ومنهم: السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف، بن زهرة: أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة: أحد العشرة، وسعد بن أبي وقاص.
ويرجع عمود النسب منه في ابنه قصيّ بن كلاب بن مرة.
وأمّه فاطمة بنت سيل الأزدية، واسمه زيد؛ ويدعى مجمعاً: لجمعه أمر قريش بالرحلتين وأول من جمع يوم الجمعة. وقيل: إنما سُمي قصيٌّ مجمِّعاً: لأنه لما أخرج خزاعة من مكة ورأى أنه من صريح ولد إسماعيل عليه السلام، وأنه أحق من خزاعة بالبيت الحرام، وبني دار الندوة، وجعل بابها إلى البيت الحرام، وتجمعت قريش بمكة، فسمى بذلك مجمعاً، لأنه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم وكان يجمعهم في دار الندوة.
وأما الرحلتان، فأوّل من سنهما هاشم: فكان يرحل في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه، ويرحل في الصيف إلى الشام إلى غزة، وبها مات، وربما وصل إلى أنقرة ويدخل على قيصر فيكرمه. وقد قال ابن الزِّبغريّ:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجافُ
سُنت إليه الرحلتان كلاهما: سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وأما أول من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤي، وكان يسمى: يوم العروبة، فكان يجمعهم ويعظهم ويحثهم على اتباع نبيّ من صلبه.
وإنما سمي قصياً: لأن أمه فاطمة بنت سعد بن سيل لما تقصت به مع زوجها ربيعة بن جذام الفضاعيّ، فأحملها إلى بلاده من أرض عذرة من بلاد الشام سُمي بذلك. قال: ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان: بنو أسد بن عبد العُزَّى بن قصيّ، وبنو عبد الدار بن قصيّ.
فأما بنو أسد، فمنهم خديجة بنت خويلد بن أسد : زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأما بنو عبد الدار قصي، فمنهم الحجبة، فيهم: بنو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار. وفي بني عبد الدار: هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.
قال: وهي مسألة في النسب يمتحن بها من يدَّعي علم النسب: يقال له: من يعلم في بني قصيٍّ جد الرسول صلى الله عليه وسلم هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصي؟
نرجع إلى عمود النسب من قصيّ بن كلاب في ابنه:
عبد مناف بن قصيّ
وأمه حُبيّ بنت حليل الخزاعية، واسمه المغيرة والقمر. ومن غير هاشم عمود النسب ثلاث بطون: بنو المطلب: وهو العيص، وبنو عبد شمس وبنو نوفل: أولاد عبد مناف. فمن بني عبد شمس: أميه الأصغر ، يقال لولده: العبلات: لأن أم أميه هذا عبلة بنت عبيد من البراجم بن تميم، وبنو أميه الأكبر بن عبد شمس، منهم: ذو النورين: عثمان بن عفان بن العاص بن أميه بن عبد شمس أحد العشرة وزوج ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه، ومن بني عبد شمس: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يثني عليه في صهارته خيراً. ومن بني عبد المطلب بن عبد مناف: رهط بن عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب البدري، انقرض، وشافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب جدّ الشافعي رضي الله عنه: وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع. ومن بني نوفل: جبير بن مطعم بن عديّ بن نوفل، وكان ممن قان في أمر الصحيفة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكر له ذلك، وهم يدٌ مع بني أمية. وعمود النسب من عبد مناف في ابنه هاشم بن عبد مناف، وأمّه عاتكة بنت مرة السلمية، واسمه عمرو العلا، وسُميّ هاشماً لكرمه وهشمه الثريد في الجدب مبتدئاً بذلك، انقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطلب، وكان له أسد بن هاشم، منه:

فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً فولدت له؛ وانقرض أسد إلا منها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسل يقول: هي أمي بعد أمي.
والعقب من هاشم في ابنه:
عبد المطلب بن هاشم
وأمه سلمى بن زيد النجارية: وهو شيبة الحمد، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بني أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب والعباس بن عبد المطلب والحارث بن عبد المطلب وأبا لهب بن عبد المطلب وهو عبد العزيّ.
فأما بنو أبي طالب فهم ثلاث بطون: بنو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب: وهم العلويون، وبنو جعفر الطيار: وهم الجعفريون، وبنو عقيل بن أبي طالب: وهم العقيليون.
فالعلويون خمسة أفخاذ: بنو الحسن بن علي، وبنو الحسين بن علي، وبنو محمد بن الحنفية: وهم المحمديون، وبنو العباس السقاء بن علي: سمي بذلك لأنه كان قد سقى أخاه الحسين بالقربة في الطَّفِّ، وبنو عمر الأطراف بن علي. وفي كل فخذ منهم عدة عشائر. وأما الجعفريون فثلاث أفخاذ: بنو عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهم الزينبيون، لأن أم عليّ هذا زينب بنت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت علي رضي الله عنه، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنو إسحاق العرضي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. والعرض: موضع بالمدينة. وفي كل فخذ عدة عشائر.
وأما العقيليون، ففخذان: بنو محمد ومسلم: ابني عبد الله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: فهؤلاء بطون أبي طالب. وأما العباسيون فبطنان: بنو عبد الله الحبر ومعبد: ابني العباس بن عبد المطلب.

(البقية في الملف التالي)